الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: العلوم الإنسانية

المرأة الصوفية في بلاد المغرب الإسلامي

(5هـ- 10هـ/11م-16م)

مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص الغرب الاسلامي

إعداد الطالبتين:

- عائشة زغود
- وسام طواهرية

إشراف

د/ البشير غانية

لجنة المناقشة

الاستاذ	الرتبة	الصفة	المؤسسة الأصلية
علال بن عمر	استاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
البشير غانية	استاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
واعظ نويوة	استاذ مساعد أ	عضو مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

السنة الجامعية:2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

لابد لنا ونحن نخطو خطواتنا الاخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود الى اعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع اساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الامة من جديد...

وقبل ان نمضي نقدم اسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة الى الذين حملوا اقدس رسالة في الحياة...

الى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة...

الى كل اساتذتنا الافاضل.....

الى كل من ساعدنا في من قريب او بعيد وقدموا لنا يد المساعدة

ونخص بالتقدير والشكر الى الدكتور "البشير غانية" الذي رافقنا طوال مشوارنا ولم يبخل علينا في اتمام مذكرتنا

الاهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أما بعد :

نهدي ثمرة جهدنا إلى الوالدين الكريمين حفظهم الله .

وإلى كل من كانوا معنا طوال رحلتنا في هذا البحث بصبر وتوجيه ودعاء .

وإلى كل الأساتذة الكرام نخص بالذكر الأستاذ المشرف الفاضل الدكتور البشير غانية الذي أخد بأيدينا طيلة مسار هذا البحث منذ أن كان فكرة حتى رأى نور الوجود، وإلى كل عمال جامعة الوادي ،

وّإلى كل من أنساه القلم ولم ينساه الفؤاد نهدي ثمرة جهدنا هذا .

قائمة المختصرات

الـرمــز	المعنى
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
(د.ب)	دون بلد النشر
(د.د.ن)	دون دار نشر
(د.س.ن)	دون سنة نشر
ج	جزء
ص	صفحة
ص–ص	أكثر من صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
م	ميلادي
مج	مجلد
هـ	هجري
Page	P

مقدمة

انتشرت حركة التصوف بالعالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي كنزعات فردية تدعو إلى الزهد الذي تمثل في العبادة والنسك والانقطاع عن الدنيا، ثم تطور حتى صار ظاهرة إسلامية ومنطلقا مهما من منطلقات الإسلام فأصبح اتجاه نفسيا؛ عقليا سلوكيا؛ عملا وعبادة، ومدرسة أنجبت منذ أن نشأت شخصيات تركت بصمات على التراث الديني، انتشرت هذه الشخصيات في مشارق الأرض ومغاربها.

تسربت أفكار التصوف لبلاد المغرب عن طريق تنقل الرجال من المشرق إلى المغرب والعكس كذلك، وبوصول المصنفات الصوفية المشرقية مثل: كتاب "قوت القلوب" لأبي طالب المكي وكتاب "الرعاية" للمحاسبي وكتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي وذلك في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وأقبل على هذه المصنفات العديد من زهاد ومتصوفة بلاد المغرب، فتطور التصوف وتحول من سلوك فردي إلى ظاهرة جماعية كان لها تأثير عميق في مجرى الحياة اليومية لسكان المغرب الإسلامي، إذ شكل قوة اجتماعية فاعلة ذات أبعاد دينية وثقافية وسياسية واقتصادية.

لم يبق التصوف حكرا على الرجال فحسب، بل كان للجانب النسوي حضور مهم في هذا النهج الصوفي؛ فظهرت مجموعة من المتصوفات ارتقين في مقامات السلوك والعرفان، ومزاحمة الأولياء والصالحين في مكانتهم وقداستهم لدى العامة، حيث آثرت بعض النسوة اقتحام هذا الميدان الرجولي ليثبتن عبره أن المرأة ليست أقل تقوى من الرجل، ولا أقل علما

منه، كما عملت جنبا إلى جنب الرجل الصوفي الذي سخر نفسه لنشر التصوف عبر أرجاء بلاد المغرب وضمن هذا الإطار وفي هذا السياق يأتي العمل الذي بين أيدينا، والموسوم بـ:

المـرأة الـصـوفيــة في بلاد الـمـغـرب الإســلامـــي

(5هـ-10هـ/ 11م - 16م)

- **الإشكالية العامة:**

وتمحورت إشكالية هذا الموضوع حول:

كيف كانت أحوال المرأة الصوفية بالغرب الاسلامي؟ وإلى أي مدى أَثرَت وتأَثرت بمحيطها؟

- **الإشكاليات الفرعية:**

- ما الذي أدى إلى انتشار ظاهرة التصوف عند النساء؟ وما هي العوامل التي ساعدت على إتباع هذا النهج؟
- ما مدى انتشار التصوف النسوي في بلاد المغرب؟ وفيما تمثل المسلك التقشفي والصوفي؛ وكذا المراتب التي وصلت إليها المرأة المغربية؟
- ما هي مميزات العلاقة بين المرأة الصوفية وأسرتها وكذا طبقات المجتمع المغربي سواء الخاصة (السلطة، الفقهاء)، أو العامة؟
- في ماذا تمثلت أدوار المتصوفات المغربيات في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية؟

- **أهمية الموضوع:**

تكمن أهمية هذا الموضوع في التعرف على المرأة المغربية التي سلكت نهج التصوف مثلها مثل الرجل، وإبراز علاقاتها مع المجتمع سواء السلطة أو الفقهاء أو العامة، ومساهمتها في الجانب الديني والاجتماعي والسياسي خلال هذه الحقبة المدروسة.

- **دواعي اختيار الموضوع:**

إن اختيارنا لموضوع المرأة الصوفية في بلاد المغرب الإسلامي (5هـ-10هـ/ 11م - 16م) لعدة أسباب منها:

أ-أسباب موضوعية:

من بين أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع هي دراستنا للتصوف بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، وهناك أسباب أخرى نوردها كالتالي:

- جل الدراسات السابقة لم تتناول موضوع المرأة سواء المرأة العادية أو المتصوفة، فكان التركيز أكثر على التصوف عند الرجال وإهمالهم للتصوف النسوي، وهذا يرجع للمصادر المناقبية التي توفرت فيها الكم الكافي من المعلومات حول التصوف عند الرجال، بيد أن هناك إشارات عابرة على التصوف عند النساء، فمن خلال هذا الموضوع نحاول دراسة المرأة الصوفية في بلاد المغرب الإسلامي منذ انتشار التصوف كظاهرة عند النساء إلى نهاية العصر الوسيط.
- المساهمة في دراسة تاريخ المغرب الإسلامي الاجتماعي، وإثبات أن للمرأة دور كبير خاصة في علاقاتها سواء بين السلطة والمجتمع أو بينها وبين الفقهاء، بالإضافة إلى مساهمتها في نشر التصوف ببلاد المغرب الإسلامي، فهذا التاريخ أهمله معظم مؤرخي ومؤلفي تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط للنظرة الدونية التي كانوا ينظرونها إليها.

ب- **أسباب ذاتية:**

- التعرف على صوفيات بلاد المغرب، بخاصة اللاتي كانت لهن مواقف إيجابية في الحياة الاجتماعية.

- الميول الشخصي الذي دفعنا لدراسة المرأة الصوفية في بلاد المغرب والتعرف على العوامل التي مهدت لتصوفها، ومدى انتشار ظاهرة تصوف المرأة، وكذلك الاطلاع أكثر على الحياة اليومية لمتصوفات العصر الوسيط وارتقائهن في مدارج السالكين، بالإضافة إلى إظهار علاقات المرأة الصوفية بعالمها الخارجي.

- **أهداف الموضوع:**

- تسليط الضوء على الحضور النسائي في التصوف المغربي، بخاصة أن المجتمع المغربي يتسم بسيطرة الرجال على مظاهر الحياة الدينية والفكرية والثقافية.
- إبراز دور المرأة ومساهمتها في نشر التصوف في بلاد المغرب.
- إعطاء هذا الموضوع حقه من الدراسة؛ وذلك لقلة الأبحاث التي تناولته.

- **المناهج المتبعة:**

تطلبت منا هذه الدراسة استخدام المناهج التالية:

المنهج التاريخي وهو الملائم لتتبع الوقائع والأحداث التاريخية (منذ القرن 5 إلى القرن 10هـ/11-16م)، كذلك استخدمنا المنهج الإحصائي في تصنيفنا لمتصوفات المغرب حسب المكان، فكان تقسيمنا كالآتي: متصوفات البوادي والأرياف، ومتصوفات المدن والحواضر.

- **الإطار الزماني والمكاني للموضوع:**

تمثلت حدود دراسة هذا الموضوع (من القرن 5 إلى القرن 10هـ/11-16م) منذ وصول التصوف من المشرق إلى بلاد المغرب وانتشاره عبر كامل أرجاء بلاد المغرب الإسلامي إلى نهاية العصر الوسيط وبداية العصر الحديث.

- **خطة الموضوع:**

لمعالجة الإشكالية الرئيسية والتساؤلات الفرعية قسمنا موضوعنا إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة.

- **مقدمة:** احتوت على تمهيد للموضوع وطرح الإشكال العام والإشكاليات الفرعية التي سنحاول الإجابة عليها أثناء دراستنا لهذا الموضوع، وأهمية الموضوع، ثم دواعي اختيار الموضوع التي تنقسم بدورها إلى أسباب موضوعية وأسباب ذاتية، وأهداف الموضوع الذي ندرسه، دون أن ننسى المناهج المتبعة والإطار الزماني والمكاني للموضوع، ثم نشير للخطوط العريضة للموضوع، بعدها نتطرق لعرض وتقييم المصادر المعتمد عليها في الموضوع، وأخيرا ذكر الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا الموضوع.
- **الفصل الأول:** قمنا برصد العوامل الممهدة لتصوف المرأة المغربية من خلال وضعية المرأة المغربية في العصر الوسيط، فتطرقنا للمكانة التي تمتعت بها المرأة المغربية مقابل الذل والاحتقار من طرف المجتمع، وأهم المؤسسات التي نشأت بها المرأة الصوفية التي تمثلت في المسجد والرابطة والرباطات والزاوية، وكذلك المحيط الصوفي المتمثل الأسرة وبيوتات الصلاح وكذا القبيلة التي ساهمت بشكل كبير في تصوف المرأة، بالإضافة إلى أن نظرة الرجل الصوفي للمرأة هي الأخرى ساهمت بشكل أو بآخر في تصوفها، ثم تطرقنا إلى تطور ظاهرة الزهد عند النساء وتحولها إلى تصوف، فكل هذه العوامل ساعدت المرأة على تبني الفكر الصوفي.

– **الفصل الثاني:** خصصته للتعريف بالمرأة المغربية المتصوفة؛ فتطرقنا إلى المجال الصوفي النسوي في بلاد المغرب ونقصد بالمجال أي الأماكن فقمنا بتصنيفه إلى متصوفات البوادي والأرياف ومتصوفات المدن والحواضر، بالإضافة إلى إعطاء صورة للحياة اليومية التي عاشتها المرأة الصوفية في بلاد المغرب من مأكل وملبس ومسكن...وغيرها، ثم تطرقنا إلى المستوى العلمي للمرأة الصوفية وبعده المسلك الصوفي للمرأة المغربية فمنهن من اتبعت مسلك الوعظ والإرشاد ومنهن من انتهجت مسلك الساحة في الأرض وأخرى اتبعت مسلك المجاهدات النفسية، ثم تحدثنا على مراتب المتصوفات ووصول بعضهن إلى درجة القطبية، وتطرقنا أيضا للمرأة الصوفية ومسألة الكرامة عند المتصوفات والتي صنفناها إلى كرامة حسية وكرامة معنوية من خلالها يتم التضامن والتكافل ووقوف المتصوفات جنبا إلى جنب مع المجتمع، كما تناولنا متصوفات المغرب والحب الإلهي الخالي من الفلسفة فمعظم من سلك هذا النهج هن النساء اللائي يعبرن عن الحب الإلهي لرقة عواطفهن.

– **الفصل الثالث:** وهو آخر فصل تحدثنا فيه على تواصل المرأة الصوفية وعلاقاتها مع المجتمع من خلال واقع المرأة الصوفية وعلاقتها بأسرتها ثم تطرقنا إلى تجليات علاقة المتصوفات بالصوفية الرجال وكذلك علاقة المرأة المتصوفة مع الفقهاء وعلاقة المرأة الصوفية بالسلطة التي كانت بين سياسة العنف أو الاحتواء ثم علاقة المرأة المتصوفة بالمجتمع من خلال الوظائف التي قدمتها لخدمة العامة، وأخيرا مساهمة المرأة ودورها في نشر التصوف المغربي.

– **الخاتمة:** فكانت عبارة على حوصلة تضمنت مجموعة من الاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال هذا الموضوع.

- **عرض المصادر والمراجع:**

أ-**المصادر**: لقد اعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة من المصادر ولعل أبرزها:

- **كتاب التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي لابن الزيات (ت 627هـ/1229م):** فهو من أهم كتب المناقب في هذه الفترة، ويعتبر المصدر الأول في جزء كبير من الدراسة، من خلال ما ذكره وقد ترجم في كتابه لمائتين وسبعة وسبعين صوفيا من بينهم سبع نساء شملت الفترة مابين القرن 5-7هـ/11-13م، تكمن الاستفادة منه لثرائه بمعلومات عن المتصوفات.

- **كتاب أنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1408م):** عاصر ابن قنفذ الطرقية الصوفية التي تعتمد على الكرامات والخوارق، وكان الهدف من السياحة التي قام بها هو زيارة أولياء وقته والوقوف على أضرحة الصالحين السابقين لزمانه؛ ويأتي هذا المصدر في المرتبة الثانية من ناحية الأهمية، وذلك لقلة تراجمه للنساء المتصوفات، فترجم لأربع نساء فقط.

- **كتاب جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام للبرزلي (ت 844هـ/1438م):** يعرف هذا الكتاب بنوازل البرزلي، وهو موسوعة فقهية تندرج تحتها مجموعة من الأبواب، ومن المسائل التي اعتمدت عنها في هذا الموضوع مسائل النكاح وما ترتب عنها سواء الطلاق أو الخلع أو الفرار أو عدم مشورة المرأة في الزواج...وغيرها من المسائل التي تخص المرأة، فكان يدرسها من الناحية الشرعية لكن يحلينا كباحثين في التاريخ للأحداث والوقائع التي جرت في العصر الذي نحن بصدد دراسته.

ب- المراجع:

من بين أهم المراجع التي اعتمدنا عليها:

كتاب بركة النساء الدين بصيغة المؤنث لمُؤَلِفه بوبريك رحال، وكتاب الأنوثة في فكر ابن عربي لنزهة براضة ، وكذلك اعتمدنا على مُؤَلَفات إبراهيم القادري بوتشيش ولعل أبرزها كتاب المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع –الذهنيات- الأولياء بالإضافة إلى كتاب المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي لمحمد حسن، وكتاب المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب في الهوية والتدين والثقافة حفريات في أدب الرحلة- القرن 16 للباحث عادل النفاتي.

كما اعتمدنا على مجموعة من المقالات من بينها: مقال للدكتور توفيق بابن عامر والمعنون بـ "منزلة السيدة عائشة المنوبية في الطريقة الشاذلية" ومقال للباحثة نادية درقام والمعنون بـ"المرأة في رحاب التصوف: التصوف النسوي المغاربي نموذجا"، وهذا ضمن مُؤَلَف المرأة بالغرب الإسلامي، بالإضافة إلى مقال للباحث رشيد قطان "المرأة المغربية في أدب المناقب، التشوف إلى رجال التصوف أنموذجا" ومقال لمحمد ياسر الهلالي الذي أصدره بعنوان "نظرة المجتمع للمرأة في مغرب القرن15/14م" وهذان المقالان الأخيران صادران عن مجلة أمل المغربية.

- **صعوبات الموضوع:**

وقد واجهتنا أثناء إنجاز هذا الموضوع صعوبات أبرزها:

- لم نجد مصادر متخصصة أو دراسات سابقة متخصصة في هذا الموضوع.
- قلة المادة سواء المصدرية أو الدراسات السابقة التي تطرقت لمتصوفات المغرب الأوسط.
- صعوبة الإلمام بجميع متصوفات بلاد المغرب الإسلامي.

- لطبيعة الموضوع واجهتنا صعوبة في الحصول على بعض العناصر التي تخدم هذا الموضوع، فتطلب منا استنتاجها.

- صعوبة قراءة بعض المصادر كالمخطوطات الغير محققة التي تناولت التصوف في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط.

- قصر الفترة الزمنية المحددة لإنجاز هذا الموضوع الذي لم يسمح لنا بالبحث المعمق لدراسته.

الفصل الأول

العوامل الممهدة لتصوف المرأة المغربية.

أولاً: وضعية المرأة المغربية في العصر الوسيط.

ثانياً: مؤسسات التنشئة الصوفية.

ثالثاً: المحيط الصوفي.

رابعاً: نظرة الرجل المتصوف المغربي للمرأة.

خامساً: تطور ظاهرة الزهد عند النساء.

الفصل الأول: العوامل الممهدة لتصوف المرأة المغربية.

تعتبر قضية المرأة بصفة عامة والمتصوفة بصفة خاصة، شبه ثانوية في اهتمامات كُتَّاب العصر الوسيط، إذ جل المصادر التي كتبت من طرف رجال؛ هم متشبعون بذهنية فقهية تنسجم مع ثقافة العصر الذي عاشوا فيه، إلا أننا لا يمكننا أن نتغاضى على تاريخ المرأة الذي يعتبر جزء من تاريخ المغرب، وفي هذا الفصل نحاول دراسة العوامل التي ساهمت في تصوف المرأة المغربية من بينها الوضعية التي كانت عليها المرأة وتبوئها لمكانة رفيعة في المجتمع، هذا بالإضافة إلى تعليم النساء وانتشار مؤسسات التنشئة الصوفية، وغيرها من العوامل التي ساعدت المرأة على التصوف[1].

ونبدأ أولا بالوضعية التي كانت عليها المرأة المغربية في العصر الوسيط.

أولا: وضعية المرأة المغربية في العصر الوسيط.

لقد كان مجتمع المغرب الإسلامي يتألف من فئات سكانية متنوعة ومختلفة عرقيا وثقافيا ودينيا، سادت بينهم علاقات مصالح حينا وحرب أحيانا كثيرة، ولا شك أن هذه الظروف أثرت على وضع المرأة المغربية، فمنهم من كان يمجدها ويبجلها ومنهم من كان يهينها ويحتقرها، فمن خلال هذا العنصر نحاول التعرف أكثر على وضعية المرأة في المجتمع المغربي.

[1] – يعرفه بن خلدون: بأنه علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أنه طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، طريقة الحق والهداية. وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة. للمزيد ينظر: عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تح محمد الإسكندراني، (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2014م، ص432.

1- مكانة المرأة المغربية في العصر الوسيط.

كانت المرأة المغربية محترمة ومبجلة تتمتع بكل حقوقها في المجتمع المغربي، فكان الرجل يراها ساعده الأيمن لقوة شخصيتها، فتمتعت بحياة مستقلة في بيتها، جعلتها هي الأصل في الأسرة[1]، استطاعت المرأة قبل الفتح الإسلامي أن تكون آلهة مثل: " تانيت" آلهة الخصب[2]، التي كان المغاربة يقدمون أبناءهم إليها قربانا لها[3].

بالإضافة إلى الملكة الكاهنة[4] التي عاصرت الفتح الإسلامي[5]، تأتت لها السيطرة على بلاد المغرب من خلال نفوذها الروحي، وبقيت ظاهرة العرافة والكهنة والسحر منتشرة حتى بعد انتشار الإسلام في بلاد المغرب، فيذكر البكري في القرن الرابع 04هـ/ 10م: "أن هناك كاهنة ساحرة تعرف بتانفيت وهي عمة حاميم بن منَّ الله بن حريز[6] تقطن بالقرب من

---

[1] – محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج2، ط2، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2010م، ص 74.

[2] – تانيت بينيبعل وهي أكبر آلهة عند القرطاجيين، تعبد كآلهة البذر والحصاد ويستغاث بها عند الولادة، ويوجد تمثالها بمتحف باردو في صورة امرأة ترضع ابنها. للمزيد ينظر: أحمد صفر: مدنية المغرب العربي في التاريخ عشرون قرنا من تاريخ افريقية من عصور ماقبل التاريخ إلى آخر العهد البيزنطي، ج1، (د.ط)، دار بوسلامة، تونس، (د.س.ن)، ص، ص 115،117.

[3] – محمد الهادي حارش: دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، (د.ط)، دار هومة للنشر، الجزائر، 2014م، ص 07.

[4] – تعرف الكاهنة باسم داهية بنت مانية بنت تيغان وهي زناتية جراوية، ملكة جبل الأوراس، جرت بينها وبين حسان بن النعمان معركة كبيرة بوادي العذارى (مسكيانة) بالقرب من باغاي (ولاية خنشلة حاليا) سنة75هـ، فانتهت بهزيمة جيش حسان بن النعمان وأسر ثمانين رجلا من أصحابه، فتراجعت فلول جيشه إلى منطقة الجريد. للمزيد ينظر: عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تح أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، تقديم حمادي الساحلي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص ،ص 71، 73.

[5] – عبد الرحمان بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، ج7، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م، ص11.

[6] – يسميه ابن خلدون "حاميم المتنبي"من قبيلة غمارة، عرف على أهل هذه القبيلة الجهل والبعد عن الشرائع بالبداوة والانتباذ، تنبأ هذا الرجل سنة ثلاث عشر وثلاثمائة بجبل حاميم الذي عرف به قريبا من تطوان، واجتمع إليه كثير منهم وأقروا بنبوته وشرع لهم الشرائع والديانات من العبادات والأحكام، وصنع لهم قرأنا يتلوه عليهم بلسانه. للمزيد ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص288.

تيطاوان[1] فكان النساء يزورونها ويتبركون بها بعد وفاتها، وكذلك أخته تسمى دجو فكانت هي أيضا ساحرة كاهنة فكانوا يستغيثون إليها في كل حرب وضيق ويزعمون أنهم يجدون نفعها"[2].

إلا أن الإسلام حرم السحر والكهنة التي كانت تلجأ إليه المرأة من أجل تحقيق هدف ما تسعى إليه، كما منع وأد البنات، ودعا إلى الرفق بهن وأخذ موافقتهن في الزواج والمهر بالإضافة إلى حقها في الميراث، وغيرها من الحقوق التي أنصفها بها الإسلام، من أجل صيانة كرامة المرأة.

ففي عصر الدولة المرابطية (442-541هـ/1050-1147م)[3] تمتعت المرأة الصنهاجية في العائلات الوجيهة بحرية كبيرة ومكانة رفيعة فاعتبرت ندا للرجل وتتمتع بالمساواة التامة، بل تفوقه أحيانا[4]، فكانت تشارك في مجلس القبيلة[5] وتجمع الثروات عن طريق الميراث وتمتلك العبيد، ولا تباشر أعمالها البيتية بل يقوم العبيد بأدائها[6]، فأعطي لها

---

1 – تيطاوان: مدينة صغيرة بناها الا فارقة القدامى على بعد 18 ميلا من مضيق جبل طارق، وعلى بعد 6 أميال من البحر، فتحها المسلمون بعد استيلائهم على مدينة سبتة، وحسب الأسطورة أن اسمها يرجع إلى المرأة العوراء التي حكمتها، وتطاون نسبتا لها وتعني في اللغة الإفريقية عين واحدة. للمزيد ينظر: عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات: مرجع سابق، ص25

2 – أبو عبيد الله البكري: المسالك والممالك، تح أدريان فان ليوفن وأندري فيري، ج2، دار الغرب الإسلامي، (د.ب.ن)، 1992م، ص776.

3– امتدت هذه الدولة شمالا حتى تخوم أوروبا، وجنوبا نحو بلاد السودان، وشرقا تجاوزت جزائر بني مزغنة، وغربا المحيط الأطلسي، أسست هذه الدولة قبيلة صنهاجة واستطاعت أن تجمع المغرب على كلمة سواء، مذهبا وعقيدة وسلوكا وهدفا، أصبحت عاصمتهم مراكش. للمزيد ينظر: عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مج5، (د.ط)، مطابع الفضالة، المحمدية، المغرب، 1986م، ص07

4 – حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، (د.ط)، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، (د.س.ن)، ص52.

5 –حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس" عصر المرابطين والموحدين"، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م، ص 252.

6 – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع –الذهنيات– الأولياء، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1993م، ص45.

حق الخروج والعمل والمشاركة في كثير من أنشطة الحياة، وربما يرجع هذا التصرف لعادات قبلية مضافا لها تمسكهم بتعاليم الإسلام الذي كرم المرأة ومنحها حقوقها كاملة، مما سمح لها المشاركة في الحياة العامة[1].

لكن المرأة المستقرة في الوسط الشعبي تقوم بالشؤون المنزلية من كنس وطهي للطعام وسقاية ماء وتربي الأولاد وتحيك الثياب[2]، مما جعلها تنحصر بين جدران البيت، بينما مهام الرجل كانت خارج البيت، فأخذت علاقتهما طابع التبعية، إذْ حولت إلى كيان تابع للرجل[3].

وهناك من يرى أن المرأة احتلت مكانة متميزة في الحياة العامة والخاصة في عهد المرابطين ولم تكن هذه الحرية التي تتمتع بها وليدة قيام دولتهم، وإنما تعود إلى عادات وتقاليد القبائل الصحراوية[4].

وإن خير ما نستدل به على ذلك هو مدح شعراء الأندلس لحواء بنت تاشفين[5] التي عاشت في المجتمع الأندلسي المتحضر والمغاير لبيئتها فاكتسبت بعض الحرية من البيئة الأندلسية[6]، وترجع المكانة التي حظيت بها للخصال الحميدة التي تميزت بها " حواء" كالتقوى والجود والعلم والتدين[7].

---

[1] – مليكة حميدي: المرأة المغربية في عهد المرابطين(448هـ – 541هـ/1056م–1146م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف صالح بن قربة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1422-1423هـ/2001–2002م، ص143.

[2] – حمدي عبد المنعم محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، (د.ب.ن)، 1997م، ص 331.

[3] – إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص 45.

[4] – عصمت عبد اللطيف دندش: أضواء جديدة على المرابطين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991م، ص163.

[5] – هي ابنة أخ يوسف بن تاشفين وزوجة الأمير سير بن أبي بكر وهو القائد الذي قاد الجيوش التي قضت على ملوك الطوائف في الأندلس، كان للحرة حواء دور بارز في الحياة الأدبية سواء في مراكش حاضرة المرابطين أو في إشبيلية التي سكنتها بعد ذلك. للمزيد ينظر: راوية عبد الحميد شافع: المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة (92–422هـ) (711–1031م)، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2006م، ص192.

[6] – نفسه.

[7] – مليكة حميدي: المرجع السابق، ص143.

وتجلى دور المرأة المرابطية في النفوذ السياسي فحركت من خلف الستار الأمور السياسية، مثل: زينب النفزاوية (ت 464هـ/1071م)[1] زوجة يوسف بن تاشفين (400-500هـ/1009-1106م)[2] التي أدت دورا عظيما في إدارة الأمور بدقة في الدولة في حياة زوجها[3].

ويذكر بن خلكان:" أن زوجته كانت من أحسن النساء ولها الحكم في بلاده"[4]، والسيدة قمر زوجة علي بن يوسف بن تاشفين(500-537هـ/1106-1143م)[5] تدبر سياسة الدولة

[1] – زينب بنت إسحاق النفزاوية هي من أسرة كانت تعمل بالتجارة تزوجت العديد من الرجال أبرزهم أبو بكر بن عمر اللمتوني بن عم يوسف بن تاشفين وهذا الأخير تزوجها بعد طلاقها من ابن عمه أبو بكر بن عمر اللمتوني، فكانت هذه السيدة مشهورة بالجمال والرئاسة، بارعة الحسن حازمة لبيبة ذات عقل رصين ورأي سديد ومعرفة بإدارة الأمور، فكانت القائمة بملك زوجها والمدبرة لأمره حتى وفاتها سنة464هـ/1071م. للمزيد ينظر: سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، ط1، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، لبنان، 1985م، ص37.

[2] – هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الصنهاجي اللمتوني لقب بأمير المؤمنين ومؤسس الدولة المرابطية، بنى مدينة مراكش، عاش في صحراء المغرب، ولاه عمه أبو بكر بن عمر اللمتوني إمارة المغرب، وبايعه أشياخ المرابطين، تولى قيادة الحركة المرابطية سنة 462هـ/ 1070م، مهد له الطريق قبله في المغرب عبد الله بن ياسين الذي يعتبر القائد الروحي للمرابطين، فقام بعدة فتوح أهمها: فتح بلاد السوس ومراكش وهذه الأخيرة اتخذها عاصمة له، في عهده لأول مرة تصبح الأندلس تابعة لبلاد المغرب فعبر للأندلس ثلاث مرات: الأولى سنة 779هـ/ 1089م، والثانية سنة 481هـ/ 1091م، والثالثة سنة 496هـ/1103م، توفي سنة 500هـ/1106م. للمزيد ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مراجعة محمد يوسف الدقاق، مج 08، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م، ص-ص329-330.

[3] – ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح إحسان عباس، ج4، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ص22.

[4] – ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس، ج7، (د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.س.ن)، ص125.

[5] – تولى الحكم بعد وفاة والده سنة (500هـ/1106م) بلغت في عهده الدولة المرابطية أوج قوتها، سار بنفس السياسة التي كان يقوم بها والده، حيث قرب إليه العلماء والفقهاء، واجه علي بن يوسف في بلاد المغرب حدثًا جلل أرق ملكه منذ سنة (515 هـ / 1121م)وحتى وفاته سنة(537 هـ/1143م) بظهور محمد بن تومرت وتأسيسه لحركة الموحدين التي عجلت سقوط ملك المرابطين. للمزيد ينظر: ابن الأثير: مصدر سابق، مج09، ص99.

ولا يعقد الأمير إلا إذا استشارها في كل الشؤون الإدارية والسياسية[1]، فتتدخل المرأة في شؤون الحكم وبخاصة في أمر ولاية العهد، وعزل الولاة والقضاة وردهم إلى مناصبهم[2].

كذلك ساهمت المرأة في تنشيط الاقتصاد؛ لاشتغالها بغزل الصوف والنسيج، فيقول الإدريسي في هذا الصدد:" يعمل ببلاد السوس من الأكسية الرقاق والثياب الرفيعة ما لا يقدر أحد على عمله بغيرها من البلاد" ويشترك في هذه المهنة النساء والرجال[3]، فعمل بنات المعتمد بن عباد(ت 488هـ / 1095م) [4] بعد نفيهم من اشبيلية إلى أغمات بعدما تحولهن من أميرات إلى أجراء ومستخدمين يغزلن الصوف للناس بالأجرة [5] وفي هذا يقول ابن عباد في عيد الأسر:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا فساءك العيد في أغمات مسرورا

ترى بناتك في الأطحار جائعة يغزلن للناس مايملكن قطميرا[6]

[1] – الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1986م، ص 234.

[2] – شهاب الدين النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح عبد المجيد ترحيني، ج24، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.س.ن)، ص146.

[3] – الشريف الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (د.ط)، مطبعة بريل، لندن، 1863م، ص 62.

[4] – عاش(431–488هـ/1040–1095م) نشأ في مدينة شلب وتعلم فنون الأدب على جماعة من أهلها، ثم رحل إلى قرطبة فتأدب بها وبرع في صناعة الشعر، في عمر الحادي عشر تقلد قيادة جيش اشبيلية، ثم أصبح ملك لاشبيلية وضم إليه قرطبة وخلال فترة حكمه (461–484هـ/1069–1091م) حاول ألفونسو السادس ملك قشتالة مهاجمة مملكته، فاستعان بيوسف بن تاشفين حاكم المرابطين، وخاض معه معركة الزلاقة التي هزمت بها الجيوش القشتالية، لكن في عام 484هـ شن يوسف بن تاشفين حربا على المعتمد فحاصر اشبيلية وأسر المعتمد ونفاه إلى مدينة أغمات في المغرب. للمزيد ينظر: دوزي: ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، تر كامل كيلاني، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر، 1933م، ص، ص 185، 300.

[5] – إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، (د.ط)، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1997م، ص 127.

[6] – عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، (د.ط)، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1990م، ص 259.

بالإضافة إلى مساهمة المرأة في الجانب الزراعي من حصاد وجني وتربية الماشية، كما كانت بعض النساء يقمنا ببيع اللبن[1].

إلا أن هناك بعض العادات عرفت بها المرأة الصنهاجية من بينها:

سفور المرأة: أي من عادتهن أن لا يتخذن الحجاب حتى أمام الرجال الأجانب[2]، ويبدو أن عادة سفور المرأة المرابطية نشأت معهن في مواطنهن الأولى في الصحراء[3].

اختلاط النساء بالرجال: حيث تربط نساء المدينة علاقة صداقة مع الرجال الأجانب من غير ذوي المحارم وتختلط بهم في الأماكن العامة والمناسبات المختلفة، وكذلك يفعل الرجال، فيذكر في هذا الشأن ابن القطان الذي كان معاديا للدولة المرابطية ويقول: "حضر- ابن تومرت(ت 524هـ/1130م)[4]- عيدًا فرأى فيه من اختلاط الرجال بالنساء والصبيان المتكحلين مالا يحل، فزجرهم وغير ذلك عليهم، فوقعت لأجل ذلك نفرة استطال فيها الشر وسلبت النساء حليها وقام الهرج فسأل العزيز عن سبب ذلك فعرف بأنه لا سبب إلا الفقيه السوسي وكان ابن تومرت في بلاد المشرق يعرف بالفقيه السوسي"[5].

---

[1] – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، مرجع سابق، ص 45.

[2] – إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج1، (د.ط)، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 2000م، ص243.

[3] – يحي هويدي: تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، ج1، (د.ط)، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1965م، ص211.

[4] – هو محمد بن عبد الله عرف بابن تومرت من أهل السوس، اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ميلاده، فجعلوه بين سنتي 469و486هـ، نسب نفسه إلى الأسرة العلوية إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، لزم المسجد وحفظ القرآن الكريم وهو صغير، رحل إلى الأندلس والمشرق سنة 501هـ، استمرت رحلته إلى حدود سنة 514هـ، اتصل خلالها بكبار علماء الأندلس والمشرق، ثم رجع إلى بلاد المغرب حاملا معه العقيدة الأشعرية وداعيا لها، ويعتبر مؤسس الدولة الموحدية ببلاد المغرب (ت 524هـ/1130م)، للمزيد ينظر: حسن جلاب: الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب، ط3، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب الأقصى، 1995م، ص- ص21-22.

[5] – ابن القطان المراكشي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح محمود علي مكي، ط2، دار الغرب الإسلامي، (د.ب.ن)، 1980م، ص 93.

ويذكر البيذق كذلك عند خروج ابن تومرت (ت 524هـ/ 1130م) من تلمسان وينظر إلى النساء يستقين والرجال يتوضأون، فقال أليس هذا منكرا النساء مع الرجال مختلطين[1].

لكننا نأخذ كلام هذان المؤرخان بتحفظ لأنهم من أعداء الدولة المرابطية، وأن تاريخ الدولة المرابطية يرتابه نوع من الغموض لأنها لم تصل لنا كتابات مؤرخون موالون للدولة المرابطية مثل: كتاب الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية لابن الصيرفي الذي عاصر دولة المرابطين في بلاد المغرب، إذا فكتب تاريخ المرابطين هم أعدائهم الموالون للدولة الموحدية.

وكذلك من عاداتهن أن النسب والإرث تتم من جهة الأم، ذلك أن الأبناء لا ينتسبون إلى أبيهم ولا يرثونه، بل ينتسبون لخالهم ويرثونه[2]، ولا يسمون الرجل إلا باسم أمه فيقولون ابن فلانة ولا يقولون ابن فلان[3]، فكان أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين (ت509هـ /1115م) من أعظم القادة العسكريين لدولة المرابطين يعرف بابن عائشة، وأيضا محمد ويحي ابنا علي بن يوسف المسوفي[4] وتزوج والدهما بامرأة تسمى غانية فنسبا إلى أمهما[5].

أما في عهد الدولة الموحدية (524-667هـ/1126-1268م)[6] لم تتمتع المرأة بالنفوذ والحرية التي كانت تتمتع بها نظيرتها في الدولة المرابطية.

---

[1] – أبو بكر بن علي الصنهاجي البيذق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، (د.ط)، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، 1971م، ص21.

[2] – حسين إسكان: "المرأة الصنهاجية"، **مجلة أمل**، الدار البيضاء، المغرب، العدد 13-14، 1998م، ص68.

[3] – شهاب الدين النويري: مصدر سابق، ص146.

[4] – كان علي بن يوسف المسوفي من قبيلة لمتونة من كبار رجال يوسف بن تاشفين، تزوج من قريبة له تدعى غانية، وقد أنجب منها ولدين هما محمد ويحيى أصبح يدعا باسم والدتهما، قادوا ثورة في أفريقية سنة(580 -631هـ/ 1184-1233م) بهدف إحياء دولة المرابطين والقضاء على دولة الموحدين. للمزيد ينظر: ابن الأبار القضاعي: الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، ج2، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1985م، ص205.

[5] – نفسه.

[6] – صاحب الدعوة لهذه الدولة هو محمد بن تومرت (ت 524هـ/1130م) لكنه توفي قبل ظهورها، فاستطاع خليفته عبد المؤمن بن علي الكومي من القضاء على دولة المرابطين والسيطرة على كامل بلاد المغرب والأندلس، فبهذا تتوحد كامل بلاد المغرب بانسجام العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي والتصوف السني مما جنبها الكثير من القلاقل والفتن التي كانت تقع في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي بسبب الخلافات العقدية.

أمر ابن تومرت (ت 524هـ/1130م) في دعوته إلى منع الاختلاط بين الرجال والنساء والحد من حريتهم ومنع سفورهن وهذا أول ما حاربه الخلفاء الموحدون وخاصة الأوائل منهم[1]، وهذا يدل على إتباع الموحدين لأحكام الدين من ناحية صيانة المرأة وحمايتها، فوصف ابن تومرت (ت 524هـ/1130م) نساء دولة المرابطين بأنهن "كاسيات عاريات...وأنهن مائلات، يعني على الحق والرشاد...وأنهن مميلات[2]" فلهذا منحت المرأة في عهدهم حرية محدودة.

لم يكن للمرأة الموحدية نفوذ سياسي مثلما كانت عليه المرأة المرابطية، فتدخلها في الشؤون السياسية بذلك الشكل الواضح وجدناه في زوجة الخليفة الموحدي الثاني يوسف بن عبد المؤمن(558- 580هـ/1163-1184م)[3]، فيقول ابن الخطيب: "فاستطاعت هذه الزوجة أن تتغلب عليه حتى كان الناس يضربون المثل بحب الخليفة للزرقاء المردنيشية واتفق لقومها من البخت بسببها ما لم يتفق لثائر ولا مخالف ملك من إعادته إلى ملكه. فأنفذ تقديم الأمير أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش على بلنسية وجهاتها. وقدم غانم بن محمد، على ابن أخيه، على أساطيل العدوة بسبتة وأمسك هلالا بحضرته أثير الرتبة لديه"[4]، فكانت تشير على زوجها بتعيين بعض أقربائها في بعض المناصب.

كذلك زوجة الخليفة الموحدي السابع المأمون(624-630هـ/1227-1233م) وهي جارية مسيحية أدت دورا بارزا، من أجل ترشيح ابنها الصغير الخليفة الثامن الرشيد

[1] – نوارة شرقي: الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524-667هـ/1126-1268م)، مذكرة ماجستير، إشراف عبد العزيز محمود لعرج، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008/2007م، ص112.

[2] – محمد القبلي: مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الأوسط، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1987م، ص39.

[3] – محمد ماهر حمادة: الوثائق الإدارية والسياسية في الأندلس وشمالي افريقية 64-897هـ/683-1492م، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1986م، ص86.

[4] – لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تاريخ إسبانيا الإسلامية، تح ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت لبنان، 1956م، ص271.

الموحدي(630-640هـ/1233-1244م)[1]، بيد أن هذا النفوذ للمرأة الموحدية لم يبلغ الدرجة التي وصلت إليها المرأة المرابطية.

لكن الدور الأساسي للمرأة الموحدية تمثل في رعاية الأسرة والإشراف على شؤون البيت وتربية الأبناء، وهناك من كانت تعمل من أجل الكسب مثل نساء أهل السوس وأغمات، فيشير البكري إلى:" أن أهل السوس وأغمات أكثر الناس تكسبا ولطلبهم للرزق يكلفون نسائهم وصبيانهم التحرف والتكسب"[2].

واشتغل بعضهن بغزل الصوف فيقول ياقوت الحموي: "لنسائهم يد صناع في غزل الصوف، فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الأرز تفوق القصب الذي بمصر يبلغ ثمن الإزار خمسة وثلاثين دينارا وأكثر"[3]، ففي فاس كانت النساء يغزلن الخيوط في بيوتهن، ثم يرسلونها للحاكة، ويقومون بالتطريز الذي هو من اختصاص النساء ويمارسون هذه الحرفة في البيوت[4]، ويجتمعن في منزل امرأة واحدة ويعرف هذا الاجتماع بالتويزة[5] .

وفي عهد الدولة الحفصية، أصبحت السلطة السياسية التي يمكن أن تقوم بها علانية امرأة معترف بها لدى القبائل ومثال ذلك المرأة "شمسي" بالنسبة للسكان المستقرين في منطقة

[1] – إبراهيم القادري بوتشيش: تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1994م، ص100.

[2] – أبو عبيد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، (د.ط)، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، (د.س.ن)، ص 163.

[3] – ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج3،(د.ط)، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.س.ن)، ص 192.

[4] – روجيه لو تورنو: فاس في عصر بني مرين، تر نقولا زيادة، (د.ط)، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1967م، ص-ص 133- 134.

[5] – مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاجتماعية، ج3، (د.ط)، منشورات الحضارة، بئر توتة، الجزائر، 2009م، ص209.

القبائل الكبرى، فيرى الباحث روبار برنشفيك "أن احترامها وتبجليها من طرف مجتمعها كان في مظهر قريب من حركة صوفية "[1].

ومهما بلغت المرأة من مكانة رفيعة في أوساط المجتمع إلا أن المجتمع ينظر إليها بنظرة دونية، فتبقى دائما تحت وصية الرجل[2]، كما أحيطت بها نظرات سلبية لخصها الأستاذ محمد ياسر الهلالي في عدة نقاط: أولا نظرة التقدير والهيبة لذوات الشرف والصلاح[3]للنساء اللاتي لهن كرامات من بينها: الدعاء المستجاب واستشفاء المرضى[4]و النظرة إليهن نظرة وقار واحترام؛ ومن بين الصالحات: مؤمنة التلمسانية [5]في فاس (ت خلال القرن 9هـ/15م)[6] وعزيزة السكسوية(ت خلال القرن 9هـ/15م) [7] التي حظيت بمكانة كبيرة داخل المجتمع مما جعلت صاحب مراكش عامر بن محمد الهنتاتي(ت خلال القرن 9هـ/15م) يقدم على زيارتها، كما كانت تتوسط لتصلح بين القبائل، وهناك نظرة الرغبة إلى المرأة المحبوبة، ونظرة الشك في المرأة النابعة أساسا من مخالطة المرأة عالم الرجال، باعتبارها مصدر للفتنة والإغواء وعدم الثقة، فتحول الخطاب إلى الرجل محذرين إياه من

[1] – روبار برنشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13إلى نهاية القرن 15م، تر حمادي الساحلي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ص181.

[2] – إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، مرجع سابق، ص44.

[3] – محمد ياسر الهلالي: "نظرة المجتمع للمرأة في مغرب القرن15/14م"، **مجلة أمل**، مرجع سابق، ص93.

[4]– ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، تح محمد الفاسي وأدولف فور، (د.ط)، مطبعة أكدال، الرباط، المغرب، 1965م، ص80.

[5]– مؤمنة التلمسانية: عابدة وزاهدة متقشفة في الدنيا كان لباسها بسيط مصنوع من صوف تعمل على كسب قوتها من عمل يدها وهو غزل الصوف، عاشت في حدود القرن التاسع للهجرة. للمزيد ينظر: ابن قنفذ: مصدر سابق، ص80.

[6] – المصدر نفسه، ص– ص 86–87.

[7] – عاشت هذه الصالحة أيام ابن قنفذ (ت 810هـ/1408م) من المغرب الأقصى في طرف سكسوية من جبال درن بموضع يقال له القاهرة [الحرة]، لها أتباع كثر من الرجال والنساء فيضرب لهذا قيطون وتسدل على نفسها كساء وتقوم بإلقاء دروس الوعظ، ويقول ابن قنفذ أنها فصيحة جدا في أجوبتها وأوامرها ووعظها. للمزيد ينظر: ابن قنفذ: المصدر السابق، ص 86.

التعامل معها فمخالطتها تؤدي إلى الفتنة، ونظرتهم للمرأة على أنها مصدر الشرور، وأنها ناقصة عقل ودين ومصدر للبدعة، بالإضافة إلى نظرة الكراهية والاحتقار[1].

2- الاضطهاد الذي تعرضت له المرأة في المجتمع المغربي:

إن اضطهاد المرأة وتهميشها لم يكونا في الحقيقة والواقع بسبب العامل البيولوجي أو الديني أو النفسي، إنما سببه العوامل الاجتماعية والطبقية والأعراف والقيم الذكورية التي تنتج عن مصالح الرجل في الهيمنة والاستحواذ بها وإخضاعها لمشيئته، وهو أساس عدم المساواة بين الجنسين[2]، فالعلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة خاضعة لسلطة الأب أو الزوج أو الأخ، فهناك من يشكك في رجاحة عقل المرأة حتى أن البعض منهم قال:" أن عقول العوام أكثر رجاحة من عقول النساء وعقول النساء أكثر من عقول الصبيان"[3]، ونتيجة لهذا تعرضت شريحة من النساء لألوان عديدة من القهر والاضطهاد الذي تمثل في: ضرب المرأة وغصبها على الزواج وحرمانها من الإرث وغيره من الاضطهاد الذي عانت منه المرأة المغربية والذي كان من أسباب تصوفها.

2-1 ظاهرة الكراهية والاحتقار:

تكرست نظرة كره واحتقار المرأة في المجتمع المغربي منذ الولادة، ففي القرن الخامس والسادس الهجري، رجل هدد بقتل زوجته متى ولدت له بنتا، وتظل هذه النظرة ماثلة طوال تربية الأطفال فقد ذكر ابن عباد أن رجلا كان له ابن وابنة يحبهما حبا شديدا والولد أكثر[4]،

---

[1]- محمد ياسر الهلالي: مرجع سابق، ص، ص 76، 94.

[2] - إبراهيم الحيدري: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2011م، ص03.

[3] - أبو حامد الأندلسي الغرناطي: تحفة الألباب ونخبة الأعجاب، تح إسماعيل العربي، ط1، دار الأفاق الجديدة، المغرب، 1993م، ص33.

[4] - ابن عباد الرندي: الرسائل الكبرى المسماة نزهة الناظر المتأمل وقيد السائر المستعجل، طبعة حجرية، 1339، ص203.

فيقول الوزان:"في فاس إذا كان المولود أنثى قل استبشارهم بها"[1]، ونفس الرأي فإنجاب الذكور كان يعني لهم الكثير لعل أبرزها أنه سوف يكون سندا لأسرته ويعول عليهم كثيرا في تغيير مستوى الأسرة إلى الأحسن.

والراجح أن المرأة كانت تحتقر لاعتبارها مصدر للعار والفضيحة في الأسرة في حال وقوعها في الخطأ، لأن ذلك لا يغتفر لها والعكس بالنسبة للرجل، بالرغم من أن الشريعة الإسلامية تفرض على المرأة كما تفرض على الرجل الالتزام بالفضائل، ولهذا نجد الأب يتخوف من فكرة انحراف ابنته.

وتمثلت نظرة الكره والاحتقار أيضا في بيع النساء أيام المجاعات قبل أن يضطر الرجل إلى بيع نفسه، ولا نستغرب تمادي طائفة العكاكزة في القرن التاسع، فأصبحت المرأة مجرد آلة متعة تتداولها الأيدي، فاعتبرت "كالسجادة صل وأعط أخاك يصلي"[2].

ومن صور احتقار المرأة أيضا أنه كان يتم تزويجها بغير إذنها: فيذكر البرزلي(738-841هـ/1337-1438م):" أن بكر يتيمة زوجها عمها معجل ومؤجل ...فزعمت أنها أجبرت على النكاح، فلم تكن رضية بذلك الزوج وذكر السامعان منها أنها في حالة الاستئذان باكية"[3]، وهناك من كان يشتم زوجته ويقول لها: خنزيرة أو جيفة أو يهودية أو نصرانية، يا حرامية وغيرها من الألفاظ الغير لائقة[4].

[1] – حسن الوزان: وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ص 258.

[2] – عبد الله نجمي: التصوف البدعة بالمغرب طائفة العكاكزة ق16-17م، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2000م، ص340.

[3] – البرزلي: جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام، تح محمد الحبيب الهيلة، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م، ص 265.

[4] – محمد ياسر الهلالي: مرجع سابق، ص89.

2-2 ظاهرة ضرب المرأة:

ارتكن بعض الأزواج إلى ما منحته الشريعة الإسلامية من حق في تأديب زوجاتهم عن طريق الضرب، وبالغوا في استعماله، بحجة فتاوى الفقهاء التي كرست هذا الواقع وسربته إلى صفوف المجتمع، إلى أن[1] " تدمية المرأة على زوجها آيلة إلى الضعف ولا يقام عليه القود لجواز ضربه لها الأدب لقوله تعالى ﴿واضربوهن﴾ وقد يأتي من الضرب ما يتصل بالموت فتسقط تدميتها، إذ قد يكون هذا ما أبيح له"[2]، وقد ترد إشارات عمن "حلف يمين بطلاق زوجته ليضربنها خمسين سوطا"[3]، وعمن أتت الفقيه "وبها أثر الضرب...تدعي ضرب زوجها لها[4]، وعمن تركت بيت زوجها وامتنعت من الرجوع لكثرة ما ادعت عليه من الضرب[5]، وعمن أغضبته زوجته فأراد ضربها على ذلك بعمود، وهناك من انتهى الخلاف بينه وبين زوجته إلى أن رمى بيده في رأسها وصار يجرها ويضربها، وأمعن آخرون في إلحاق الأذى الجسدي بزوجاتهم من خلال تشويه بعض الأعضاء وإصابتهن بعاهات مستديمة، حيث وردت بالمصادر إشارات عمن قطع أصابع زوجته وحلّق شعرها[6]، وهناك من كانت "تشكو ألم ست جراحات من جسدها أن زوجها جرحها ذلك على وجه الاعتداء والقصد الموجب للقود"[7].

---

[1] – خالد حسين محمود: "الخلافات الزوجية بالمغرب الأدنى خلال العصرين الفاطمي والزيري296-543هـ/909-1148م"، **مجلة العصور الجديدة**، جامعة وهران، الجزائر، العدد13، 2014 م، ص113.

[2] – البرزلي: مصدر سابق، ج6، ص93.

[3] –أبو العباس الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف محمد حجي، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981م، ص107.

[4] – البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص421.

[5] – خالد حسين محمود: مرجع سابق، ص 113.

[6] – ابن هلال السجلماسي: الدر النثير على أجوبة أبي الحسن الصغير، كتاب مخطوط، المكتبة العامة، الرباط، المغرب، ص 57.

[7] – البرزلي : مصدر سابق، ج6، ص 92.

وكان واقع الإهانة والضرب المبرح والرغبة في الإفلات من عنف الزوج وراء نشوز بعض النساء وهروبهن من بيت الزوجية، ففي القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي فرت إحدى نساء جبل وسلات إلى القيروان للإشتكاء بزوجها إلى القاضي...ففضلت المرأة الاستقرار بالمدينة خوفا من قتل زوجها لها، وقام القاضي بتزويجها ثانية، وقد حصل نفس الشيء لامرأة خرجت من جبل نفوسة كي تستقر بصفاقس[1].

وقد تلجأ بعض النساء إلى أحد الصالحين ممن لهم مكانة اجتماعية مثل البنت الصالحة البصيرة من تاغرويت التي فرت من غضب أخيها عليها إلى الولية الصالحة بجبل نفوسة[2]، كما كانت العديد من الرباطات والزوايا ملجأ للنساء الفارين من عنف الزوج أو الأخ، لكي تمنح لهم الزوايا الأمان بالإضافة إلى حياة الزهد والتعبد والانقطاع عن الدنيا.

2-3 حرمان المرأة من الميراث:

ظلت المرأة مهضومة الحق في بعض الجوانب، فقد امتنع الكثير من أهل البادية – وخاصة القرى المغربية– إعطاء المرأة قسطها في الإرث، فكن يمنعن من أخذ حقهن في الميراث ليضمنوا بذلك عدم خروج ميراث الأسرة إلى رجل غريب، وهذه الظاهرة عرفت في مناطق مختلفة منذ القرن الخامس الهجري[3]، ولعل سبب حرمان المرأة من الميراث هو أن الدولة الفاطمية في بلاد المغرب وفي ظل حكم القائم بأمر الله(322-334هـ/ 934-946م)[4] الذي جاء بتعديلات جديدة من بينها: توريث البنت إذا انفردت بجميع المال كله،

[1] – محمد حسن: المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، ج2، (د.ط)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، تونس، 1999م، ص795.

[2] –أحمد بن سعيد الشماخي: كتاب السير، تح أحمد بن سعود السيابي، ج1، (د.ط)، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، 1987م، ص 249.

[3] – أبو العباس الونشريسي: مصدر سابق، ج11، ص293.

[4] – أبو القاسم بن عبيد الله المهدي، الخليفة الثاني للدولة الفاطمية في بلاد المغرب، لم يكن اسمه مقرونا بأي عمل باهر، بل ذكر اسمه يشير إلى الهزائم الفادحة، وتحجبه شهرة أبي يزيد مخلد بن كيداد المعروف بـ"صاحب الحمار" =

والله تعالى يقول: "وإن كانت واحدة فلها النصف" مما جعل فيما بعد الزيريين والحماديين يتغاضون عن توريث المرأة[1].

وأشارت المصادر إلى أن الشيخ القاضي أبو سالم سيدي إبراهيم العقباني[2](720-811هـ/1320-1408م) منع النساء من الميراث من القرن الخامس إلى هلم جرا...وقصارى ما يستند إليه فيها الامتناع من توريثهم في الحال، ...كانت عادة لهم في ما مضى أو كونه لم يشاهد للنساء نصيب من الإرث في ريع ولا عقار"، ويرى الفقيه أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي(832-895هـ/1430-1493م): أن قهرهن على ترك الميراث بعيد جدا، لكونه على خلاف الأصل، ولمعارضته لاحتمالات كثيرة. والدليل على ذلك سكوت النساء طول هذه المدة[3].

ويذكر محمد حسن: "أن نساء البادية لا يطلبن ميراثهن من أقاربهن ولا يطلبن الغلة خوفا من قطع رحمها. فإن طلبن، قطعن رحمهن وجفاهن ويصرن بذلك كالمقهورات"[4].

وكانت هذه العادة منتشرة في كامل بلاد المغرب لكن الأمر اختلف في المدينة، حيث تمكنت المرأة في الغالب من أخذ قسطها من الميراث، حتى لو أدى الأمر إلى تعقد المسألة

=والمعروفة هذه الثورة بثورة الخوارج (323- 335هـ / 935- 946م) فكانت الدولة الفاطمية في بضعة شهور قاب قوسين من الاندثار ولم تتعرض المصادر بإسهاب للإنجازات في عهده الذي دام اثني عشر عاما. للمزيد ينظر: فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب التاريخ السياسي والمؤسسات (296- 365هـ/909-975م)، تر حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م، ص، ص239، 246.

[1] – مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، (د ط)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، (د.س.ن)، ص205.

[2] - أبو سالم سيدي إبراهيم العقباني: فقيه وخاتمة قضاة العل بتلمسان، ألف شرحا على الحوفي، وله تفسير سورة الانعام والفتح، توفي سنة 811للهجرة. للمزيد ينظر: ابن مريم التلمساني: مصدر سابق، ص222.

[3] – أبو العباس الونشريسي: مصدر سابق، ج11، ص، ص 294، 296.

[4] – محمد حسن: مرجع سابق، ص 797.

ومرورها بمتاهات قانونية صعبة، ومعلوم أن فقهاء المدينة تحروا من رسوم أهل البادية ولم يأخذوا بما جاء فيها " لقلة المعرفة وضعف الدين"[1].

وفي هذه الحالة لا نستطيع أن نجزم بأن حرمان المرأة من الميراث هو الذي دفعها إلى العزوف عن الدنيا، إلا أننا نعرف أن الصوفية زهدوا في الدنيا التي يعتبرونها أنها فانية، وفي هذا الصدد يذكر ابن الزيات(ت617هـ/1220م):"أن عبد السلام التونسي (749هـ/1348م)[2] جاءته أخته من تونس[3] بألف دينار وقالت له: هذا ميراثك في أخيك.

فقال لها: جئتني بهذه الشياطين لاحاجة لي بها! فقالت له: خذ مني مالك. فقال: إنما هو مالك لأنه بيدك وأما أنا فلا أدري ما هو ولا آخذه منك"[4].

2-4 ظاهرة استرقاق المرأة:

كانت المرأة في المغرب الإسلامي تباع وتشترى، وأكبر سوق للنخاسين في بلاد المغرب يوجد ببجاية، فجزء من هذا السوق متخصص في بيع العبيد والجواري[5]، فمن المشترين عندما يريد شراء عبد أو جارية يقوم بتقليبها كما يقلب السلع الأخرى كالأقمشة والأواني فيتفحص سائر جسمها كالعين والأسنان والأنف وغيرها، فكان ثمن الجارية يختلف

[1] – المرجع نفسه، ص–ص 797– 798.

[2] – أصله من تونس صحبه عمه إلى أغمات، ولما مات بها عمه نزل إلى تلمسان وبها توفي ودفن بالعباد في الرابطة المعروفة برابطة التونسي، كان عارفا بالمسائل زاهدا في الدنيا متقشفا، لا يخاف في الله لومة لائم. للمزيد ينظر: ابن الزيات التادلي: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح أحمد توفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1997م، ص110

[3]– تونس مدينة كبيرة محدثة بافريقية بناها حسلن بن نعمان على ساحل بحر الروم عمرت على انقاض مدينة قرطاجة وكان اسمها قديما ترشين. للمزيد ينظر ياقوت الحموي: مصدر سابق، ج8، ص60.

[4] – المصدر نفسه، ص111.

[5] – جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين (3و4هـ9–10م)، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.س.ن)، ص101.

من فترة إلى أخرى[1]، ففي بجاية الحفصية بيعت رومية وسودانية بالمقايضة؛ فيذكر الغبريني "بيضاوان من الروم بسوداء من الوخش"[2]، أما عن عملهن فكان داخل البيوت والقصور ويتمثل في الطبخ وسقاية الماء وغسل الثياب والنسيج بالإضافة إلى تربية الأبناء، كما تولى الرقيق خدمة الدواب والقيام بشؤونها وجمع الحطب للتدفئة[3].

فقد سجلت عدة ممارسات مهينة للمرأة منها ما يشترط أن تباع المرأة عريانة، وعلى الشاري أن يعاينها قبل الشراء[4]، وكثيرا كن يشتكين إضرار أسيادهن وضربهم لهن، فهناك جارية شكت إضرار سيدها وضربه لها وظهر عليها أثر الضرب[5].

هذا الوضع دفع بهن إلى الفرار تجاه الصالحين والزوايا بحثا عن الأمان، فقد كانت زاوية الولي أبو محمد المرجاني (ت699هـ/1300م) ملجأ للعديد من الجاريات من بينها: جارية السلطان الحفصي الواثق بالله بعد قتله سنة(679هـ/1281م)[6]، بالإضافة إلى زاوية ابن عروس التي هربت لها جارية من جواري بعض كبار قواد الدولة الحفصية، فسعى إلى إخراجها إلا أنها أبت وامتنعت عن الخروج إلى سيدها[7]، فهروبهن إلى الزوايا يمثل بداية حياة الانقطاع والتصوف.

إلا أن هناك من الجواري من كانت على أحسن حال من سابقاتها، لكونهن أصبحن أمهات، أو يتجه سيدها إلى التصوف فتسير على خطاه، مثلما فعلت جارية أبي عبد الله

---

[1] – هبيرات بلال وحلاق أحلام: تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي إلى القرن: 6هـ/12م، مذكرة ماستر، إشراف سرحان عبد الحليم، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2017/2016م، ص54.

[2] – أبو العباس الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض، ط2، دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979م، ص45.

[3] – خميسي بولعراس: الحياة الاجتماعية والثقافية في عصر ملوك الطوائف 400-479هـ/1009-1086م، مذكرة ماجستير، إشراف مسعود مزهودي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007/2006م، ص67.

[4] – البرزلي: مصدر سابق، ج3، ص289.

[5] – البرزلي: مصدر سابق، ج2، ص 420.

[6] – الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح، محمد ماضود، (د.ط)، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص53.

[7] – محمد حسن: مرجع سابق،ج2، ص793.

محمد بن مسروق[1]، فلهذا نستشف من خلال ما سبق أن للاسترقاق أثر كبير في ميل النفس نخو حياة العزلة والانقطاع إخلاص العبودية لله وحده، والتوجه نحو التصوف باعتباره بديل اجتماعي عن الظلم والقهر التي تعاني منه المرأة.

ثانيا: مؤسسات التنشئة الصوفية.

ارتبطت التيارات الزهدية في بلاد المغرب بظاهرة الانقطاع والتعبد، في المساجد أو الرباطات أو الرابطات أو الزوايا، ففي هذه المؤسسات الدينية نشأت أجيال من الزاهدات والمتصوفات كان لهن أدوار ووظائف في الحياة العامة والخاصة، ومن خلال هذا العنصر نحاول التعرف على المؤسسات التي نشأت فيها المرأة المتصوفة المغربية.

1- المساجد:

لا شك في أن المسجد هو المكان المفضل للعبادة، ، فيعد المسجد المؤسسة الوحيدة التي تستقبل المصلين والطلبة في حلقات دراسية داخله[2]، فيمثل إذا مركز الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية؛ فهو بيت الله تقام فيه شعائر الصلاة وتؤدى به الخطب والأعياد وتعقد فيه مجالس الذكر والعبادة، وحتى محاولات الاعتكاف الفردية الأولى كانت

[1]- أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م، ص193.

[2] - هوارية بكاي: العلاقات الزيانية والمرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة ماجستير، إشراف بودواية مبخوت، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2008/2007م، ص42.

تجري في ذلك الإطار[1]، ويعتبر كذلك المكان الذي يساعد على انتشار التعليم[2]، فيعقد فيه العلماء حلقات لتحفيظ القرآن الكريم، والفقه وعلوم الدين واللغة الأدب[3].

ومما لا شك فيه أن الدولتان المرابطية والموحدية قامتا على أساس ديني، فانصب اهتمام جل ولاة الأمر ببناء المساجد في أماكن متفرقة، فأمر يوسف بن تاشفين (400-500هـ/1009-1106م) ببناء مسجد في كل شارع، كذلك أصدر الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (527-558هـ/ 1133- 1163م)[4] أوامر ببناء المساجد في جميع أرجاء البلاد، فأحصيت المساجد في فاس في عهد الدولة الموحدية بلغ عددها 782مسجدا وأعظم مساجدها مسجد القرويين الذي بني سنة (245هـ/860م) من طرف أم البنين الفهرية المرأة الصالحة العابدة الزاهدة[5].

وفي بجاية التي عرفت هي الأخرى انتشارا كبيرا للمساجد منذ الفتح الإسلامي، وبشكل أكبر في العهد الحمادي الناصر بن علناس (454-461هـ/1062-1088م) الذي بنى

[1] – توفيق بن عامر: التجربة الدينية بين الوحدة والتنوع، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2013م، ص 146.

[2] – علي محمود عبد اللطيف الجندي: مدينة فاس خلال عصري المرابطين والموحدين، أطروحة دكتوراه، إشراف محمد عبد الوهاب فضل، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، 2004م، ص 307.

[3] – محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، (د.ط)، دار المعارف، (د.ب.ن)، 1987م، ص199.

[4] – أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن بن علي بن يعلى الكومي لقب بسراج الموحدين، التقى بابن تومرت بعد عودته من المشرق في قرية ملالة بمسجد الريحانة، ثم اتخذوا من تينملل قاعدة عسكرية لهم للقضاء على دولة المرابطين، وبدأت المناوشات بينهم منذ سنة (517هـ/1123م) وحتى سنة (524هـ/1130م) انتصر المرابطون في هذه المعركة التي تعرف باسم البحيرة، فبعد هذه المعركة توفي ابن تومرت وبويع عبد المؤمن بن علي خليفة لابن تومرت سنة (524هـ/1130م). للمزيد ينظر: سكورة قصاري ونعيمة سوداني: عبد المؤمن بن علي ودوره في الدولة الموحدية، (524-558هـ/ 1130-1164م)، مذكرة ماستر، إشراف محمد شافع بوعناني، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة، 2015/2014م، ص، ص19،22.

[5] – جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين448هـ/1056م إلى 668هـ/1269م دراسة سياسية حضارية، (د.ط)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2001م، ص273.

فيها حوالي 72 مسجدا، فظل نشاطها الديني والتعليمي إلى غاية العهد الحفصي[1]، ومن بين مساجدها: مسجد الفقيه أبو زكريا الزواوي[2] (ت 611هـ/1214م) الذي كان يجلس فيه، ويدرس فيه الشيخ أبي مدين شعيب (ت 594هـ/ 1198م)، ومسجد الريحانة الذي نزل به المهدي بن تومرت (ت 524هـ/1130م) عند عودته من المشرق[3].

كذلك عرف المغرب الأدنى العديد من المساجد على غرار المسجد الجامع بالقيروان، الذي اختطه عقبة بن نافع(ت 63هـ/683م)[4]، وجامع الزيتونة الذي بناه عبيد الله بن الحبحاب سنة (114هـ/732م)[5]، ومسجد سوسة، ومسجد الأبواب الثلاث الذي بناه محمد بن خيرون المعافري الأندلسي على نفقته سنة(252هـ/ 866م)[6]، بالإضافة إلى جامع القصبة الذي بناه [7] أبو زكريا يحي الحفصي(626-647هـ/1228-1249م)[8].

[1] – محمد حمدي: المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي، **مجلة حوليات التراث**، العدد13، مستغانم، الجزائر، 2013م، ص 104.

[2]– زواوة: وهم اخوة زواغة حسب بعض النسابين من ولد يحي بن ضريس بن زحيكبن مادغيس الابتر، وهم شعب كبير يثم مجموعة من القبائل، يقكنون الجبل المنسوب اليهم في الواقع بين بجاية ودلس. للمزيد ينظر: عبد الوهاب منصور: قبائل المغرب، ج1، (د.ط)، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1968م، ص321.

[3] – نسرين عامر يحي وأسماء بوشارب: الحواضر العلمية في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط 2-9هـ/8-15م (دراسة مقارنة)، مذكرة ماستر، إشراف نسيم حسبلاوي، شعبة تاريخ، قسم العلوم الإنسانية، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، الجزائر، 2015/2014م، ص- ص 59- 60.

[4] – غوستاف لوبون: حضارة العرب، تر عادل زعيتر، (د.ط)، هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م، ص271.

[5] – السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1999م، ص349.

[6] – بشير رمضان تليسي: الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003م، ص 77.

[7] – شوقي عطا الله الجمل: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر 1977م، ص27.

[8]- أبو زكريا يحي الحفصي: وهو أبو زكريا يحي بن المولى أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص عمر بن يحي بن محمد بن واندين بن علي بن أحمد بن والال بن إدريس بن خالد بن اليسع بن الياس بن عر بن ياسين بن محمد بن نجبة بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويكنى أبو يحي ولد سنة 599هـ/ 1203 م، بمراكش. للمزيد ينظر: الزركشي: مصدر سابق، ص24.

فيمثل المسجد فضاء لممارسة الحياة الصوفية، إذ اقترن بوظائف ومقومات نوجزها على النحو التالي: السكنى والاحتراس والتعبد ومجانبة الناس والانفراد والانقطاع وتجنب مخالطة عامة الناس ومزاولة نشاط علمي كإقامة مجلس أو نشاط طقوسي كالذكر والميعاد وقراءة الأشعار والرقائق[1]، وهناك من عارض هذه النزعة ورأى فيها ضربا من الرهبنة، إلا أن مرحلة الانتقال من الزهد إلى التصوف قد اتسمت باستفحال هذه النزعة وتجذرها في الصوفية الأوائل حتى غدت سنة من سنن السلوك الصوفي[2].

حيث تسجل المصادر حضور نسائي في بعض المساجد، فيذكر التجاني في رحلته وهو يسأل المؤدب محرز بن خلف رحمه الله بعد عودته من الحج، فيقول له: من رأيت في طريقك من الصلحاء؟ فأجابه: بأنه رأى رجلا وامرأة أما الرجل فهو أبو عثمان الحساني وأما المرأة فسمدونة، فهي عجوزا صالحة تسكن مسجد الشعاب، وكان أبو نزار خطاب الرجل الصالح يزورها ويعتقد بركتها[3].

وهناك عجوز الصالحة بالقيروان التي كانت تصلي في مسجد السبت[4]، وجاءت لأبي الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بابن القابسي (403هـ/1001م) وهو في ميعاده الذي يعظ ويرشد فيه الناس، لتسأله فقالت له: يابني فإني أخرج في الليل إلى الجامع لصلاة العتمة وعرضت له طريقان: طريق قريب فيها ضوء مصابيح أهل السوق وفي أموالهم اشتباه، وطريق بعيد ليس فيه ضوئهم، فهل أتجنب الطريق الأولى أم لا؟ فأعجب بها الشيخ لشدة ورعها وتقواها، كانت لها كرامات مثل رؤية الخضر عليه السلام، ورؤية النبي

[1] – نللي سلامة العامري: الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي، ط2، دار الفارابي، تونس، 2006م، ص 85.

[2] – توفيق بن عامر: مرجع سابق، ص147.

[3] – أبو محمد عبد الله بن محمد التجاني: رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، (د.ط)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981م، ص251.

[4] – مسجد السبت: يقع هذا المسجد خارج القيروان، يعرف بمسجد العربي، وسمي بمسجد السبت لأنهم كانوا يقرءون فيه الرقائق يوم السبت كل جمعة، وبحضره أولياء الله والصالحون والعلماء، للمزيد ينظر: الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح محمد ماضود، ج2، (د.ط)، المكتبة العتيقة، تونس، 1978م، ص–ص 114– 115.

صلى الله عليه وسلم في المنام، إذ جاءت إلى شيخ ابن القابسي (ت 403هـ/1012م) وقالت له إني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقال لي أتقرأ للشيخ أبي الحسن السلام: وقل له تأهب فإنك عندنا ليلة الاثنين[1]، فهذا دليل على علو مقامها في الصلاح.

كما كان النساء يقمنا بإلقاء دروس الوعظ والإرشاد في المساجد، فمنهم أم طلحة تميمة بنت يوسف بن تاشفين[2]، والفقيهة المفتية أم هانئ العبدوسية (ت 860هـ/1456م)، وشقيقتها العالمة فاطمة اللذان تلاقيا العلم مع بعضهم البعض على أخيهم في جامع القرويين[3]، فكانت لهن دور مخصصة تساعد المرأة على الحضور للمسجد والاستماع للدروس التي يلقونها، فأسهموا بذلك في دفع الكثيرين منهم إلى حياة الزهد والانقطاع والبعد عن الحياة الدنيا وملذاتها.

ويقول البرزلي (738-841هـ/1337-1438م) عن مجالس النساء في المواعظ والتذكير فالإنكار عليهن فيه كثير لما فيه من مخالفة الشريعة وبعض المناكير. ولم يزل القضاة ينكرون عليهن وتجري عندهم مسائل في الفتوى ما أنزل الله بها من سلطان[4]، فهذا دليل على أن هناك مجالس للمواعظ والذكر خاصة بالنساء، وأنهن وصلن إلى مستوى عال من العلم، لدرجة إصدارهن لفتاوى تخص قضاياهن.

فعلى سبيل المثال: كان الشيخ ابن عفيف يحي شهر رمضان في مسجد بجمع من المسلمين الذين كانوا يصحبونه ويلتزم كل يوم جمعة القراءة على من كان يجتمع إليه فيه من الناس بكتب الزهد والمواعظ كرقائق الفضيل وابن المبارك...وعدَّد كتبا في الزهد والمواعظ يعظ الناس ويحضهم على الخير وينهاهم عن الشر ويأتي إليه كثير من الرجال

[1] – الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص142.

[2] – أحمد بن القاضي المكناسي: جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، (د.ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1973م، ص173.

[3] – أحمد بابا التمبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح محمد مطيع، ج2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000م، ص257.

[4] – البرزلي: مصدر سابق، ج6، ص428.

والنساء فرادى وجماعات[1]، وعليه فإن مجالس الوعظ كان لها تأثير كبير في زهد النساء وتصوفهن؛ ولعل أبرز مثال على ذلك: توبة أمية بنت يغروسن التي كانت تحضر للمجالس التي يقيمها بعد صلاة الجمعة، فكانت من الذين يدعو لهم، فتقول: "انصرفت إلى بيتي وتجردت من أثوابي وتطهرت وأقبلت على طاعة الله عز وجل"[2].

وخلاصة القول أن المساجد كانت تمثل فضاء روحيا وعلميا نهلت منه العديد من الصالحات مبادئ الزهد والتصوف الذي يتصف بالصلاح والأخلاق الرفيعة، كما فتح أمامها المجال لاعتناق التصوف لتصبح تبث الرقائق والمواعظ التي تدعو إلى الزهد والعزوف عن الدنيا والإقبال على الآخرة.

2- الرباط:

إلى جانب المساجد وجدت الربط التي ساهمت بشكل واضح في الحياة الاجتماعية والدينية للمجتمع المغربي وعلى مر العصور فتعدد وجودها سواء في المناطق الداخلية أو الساحلية[3].

فالرباط في اللغة رابط يرابط بمعنى لازم المكان، أي ملازمة ثغر العدو[4]، ويطلق في اصطلاح الفقهاء والصوفية على شيئين أولهما البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد ورد الهجوم عن العدو، والثاني عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه صالحوا المؤمنين لعبادة الله وذكره والتفقه في أمور الدين[5]، وجاء في القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا

[1] – البرزلي: مصدر سابق، ج4، ص396.

[2] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص112.

[3] – رحماني عائشة ورحماني مريم: الحركة العلمية في الدولة الحفصية 625-981هـ/1227-1574م، مذكرة ماستر، إشراف خالدي مسعود، تخصص تاريخ، جامعة 08 ماي 1945م، قالمة، 2017/2016م، ص43.

[4] – حسن جلاب: الحركة الصوفية بمراكش: ظاهرة سبعة رجال، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، 1994م، ص25.

[5] – محمد حجي: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1988م، ص21.

ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾[1]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[2].

وتأسس الرباط في الأصل من أجل هدف عسكري[3]، وذلك لحفظ الأمن في البلاد، وحماية الثغور من الغارات البحرية التي يشنها الروم على سواحل بلاد المغرب[4]، فكان لزاما أن تقام مراكز للجيوش لتكون منتجعا ومراحا ولعتادهم مخزنا ولزادهم ومؤنهم سوقا[5].

بالإضافة إلى وجود رباطات تأسست من أجل محاربة العادات السيئة والبدع، والجهاد ضد إمارات الخوارج وإمارة برغواطة المسيطرة على منطقة تامسنا[6]، وأهم هذه الرباطات: رباط أبو النور عبد الله بن وكريس(ت541هـ/ 1146م) في دكالة في المغرب الأقصى[7].

[1] – سورة الأنفال: الآية 60.

[2] – سورة آل عمران: الآية 200.

[3] – محمد حسن: الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع الهجري، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، 2003م، ص147.

[4] – عبد الحميد حسين حمودة: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، 2007م، ص317.

[5] – نقولا زيادة: إفريقيا دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي، (د.ط)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2002م، ص 205.

[6]– تامسنا: وهي المنطقة من مناطق المغرب الاقصى، الممتدة من نهر سلا الى نهر ام الربيع. للمزيد ينظر: عبد الوهاب بن منصور: مرجع سابق، ص 323.

[7] – أبو النور عبد الله بن وكريس: وهو الشيخ الصالح سيدي عبد الله بن وكريس الدكالي، من قرية مشزاية، كان يدرس بأغمات وريكة مدة ثلاثين سنة بلا مقابل ت سنة 541 هجري. للمزيد ينظر: أحمد التادلي الصومعي: كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبو يعزى، تح علي الجاوي، (د.ط)، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، 1996م، ص32.

هناك نوعان من الرباطات:

الأول: عبارة عن محلة يرابط فيه المجاهدون، كرباط المنستير الذي بني في عهد هرثمة بن أعين سنة(180هـ)، ورباط سوسة[1] الذي بني في عهد الأمير زيادة الله الأغلبي[2] سنة(206هـ) بالمغرب الأدنى[3]، ورباط شاكر ورباط نفيس، ورباط أغمات بالمغرب الأقصى[4]؛ ورباط بونة المعروف برباط مروان البوني، أسسه أبو عبد الملك الأندلسي الأصل(ت 440هـ/1048م)[5] لكن بمرور الوقت واستتباب الأمن أصبح الناس يقصدونها لتحصيل العلم، فكان المجاهدون والمرابطون ينقطعون فيها للعبادة والعلم، ويتواجد بالرباط أيضا مكتبة تشتمل على كثير من أمهات الكتب مما ساعدت على ازدهار العلم وانتشار التصوف، ونتيجة لاضطراب الأوضاع وانتشار المذاهب الخارجية؛ تسببت في فوضى فأدت إلى اعتزال الناس وتمسكهم بالدين الإسلامي، بحثا عما يعصمهم مما يحيط بهم، ومن هنا تقول الباحثة إلهام حسين: "ظهر الزهد والتصوف ارتباطا بالرباطات، حيث زهد المرابطين وتصوفوا وانصرفوا إلى الجهاد بشقيه، جهاد النفس وجهاد الدفاع عن الوطن"[6].

---

[1]– سوسة: مدينة من مدن المغرب الأدنى حيث يصفها ابن حوقل بأنها مدينة بين الجزيرة والمهدية، أرضها طيبة وتربتها خصبة تقع على نهر البحر لها سور حصين وتتميز بالماء المعين والمواجن القليلة، وبها رباط مشهور يعرف برباط المنستير، وهو رباط يسكنه الناس على مر الأيام. للمزيد ينظر إسماعيل العربي مرجع سابق، ص233

[2] – زيادة الله بن الأغلب(201–223هـ/ 817– 838م): يكنى أبو محمد بويع في 07 ذي الحجة 201هـ، اشتهر بفصاحة اللسان واعتبر عهده من أزهى فترات الدولة الأغلبية ومن أهم إنجازاته العلمية والغمرانية خاصة عندما عين أسد بن الفرات قاضيا على القيروان سنة 204هـ، كذلك بناء صور حول مدينة القيروان، بالإضافة إلى إقامته العديد من الأحصنة والأربطة، وفتحه لجزيرة صقلية. للمزيد ينظر: لسان الدين ابن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، (تح) أحمد مختار العيادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص 16.

[3]– عبد الحميد حسين: مرجع سابق، ص317.

[4] – حسن جلاب: الحركة الصوفية في مراكش الموحدية، ملتقى "مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، ط1، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1989م، ص187.

[5] – رضا بن مقلة وطيب جاب الله: "تاريخ الوجود الصوفي في الجزائر وتأثيره على الحياة الاجتماعية للأفراد"، **مجلة الخطاب الصوفي**، الجزائر، العدد السابع، 2017م، ص250

[6] – إلهام حسين دحروج: مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية (442–625هـ/ 1051–1247م)، أطروحة دكتوراه، إشراف محمد بركات البيلي، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 1421هـ/2000م، ص201.

والثاني: رباط يشمل المدينة بكاملها كرباط تيط[1] الذي كانت تحكمه أسرة الأمغاريين، الذين تعززت مكانتهم بحظوة الدولة الموحدية وتزكيتها لنسبها الشريف، فهذا جعلها تنتظم في سلك الأسر الصوفية التي جمعت بين الصلاح والولاية وعلو النسب[2].

إلا أن مع دولة الموحدين تضاءل دور الرباط العسكري وهذا يعود لامتلاك الدولة الموحدية لجيش نظامي وأسطول بحري[3]، فأضحى الرباط مقصد للصالحين، خاصة في إقامة الأعياد والمناسبات الدينية، فجلب العديد من الرجال والنساء؛ فرباط شاكر يحي كل عام موسم ليلة سبعة وعشرين، ويحضر إليه آلاف النساء من الأولياء ومن بينهم المتصوفة منية بنت ميمون الدكالي(ت 595هـ/1199م)، ويقومون بقراءة القرآن والوعظ الديني والتربية الصوفية [4]، ويذكر صاحب كتاب الصلحاء: "هناك مكان يسمى موناستير وهو ملتقى عدة زاهدات مسلمات عرفن بالعلم والصلاح فيرتادهن العامة"[5]، ورباط ملولاسن التي كانت تتعبد فيه أم عصفور تيعزات بنت حسين الهنتيفي (ت خلال القرن 7هـ/13م)[6].

وصفوة القول أن انتشار الرباط في بلاد المغرب ساهم في زهد وتصوف المرأة المغربية، بعد الاستقرار والأمن الذي شهدته بلاد المغرب، وتغير دوره من الدور العسكري إلى الدور الديني الصوفي، وإقبال المتصوفة عليه لاستماع المواعظ والرقائق الصوفية.

---

[1]– رباط تيط: له عدة تسميات مثل تيطنفطر ورباط عين الفطر، يقع على بعد 15 كلم غربي من مدينة الجديدة الحالية وقد أسس من طرف أسرة بني أمغار. للمزيد ينظر: أحمد التادلي الصومعي: مصدر سابق، ص 174.

[2] – محمد المازوني: رباط تيط من التأسيس إلى ظهور الحركة الجزولية، الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، دراسات تاريخية مهداة للأستاذ إبراهيم حركات، إنجاز الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ندوات ومناظرات رقم 69، تنسيق نفيسة الذهبي، ط1، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1997م، ص– ص 28–29.

[3] – محمد الأمين بلغيث: الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، إشراف عبد الحميد حاجيات، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1987/1986م، ص231.

[4] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص316.

[5] – ادموند دوتي: الصلحاء مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، تر محمد ناجي بن عمر، (د.ط)، دار إفريقيا الشرق للنشر، المغرب، 2014م، ص109.

[6] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص 388.

3- الرابطة.

هي من المؤسسات الصوفية القديمة التي عرفها بلاد المغرب، وتعدد أشكال الرابطة فقد تكون مسجد مثل: رابطة تامرونت هو مسجد للشيخ (أبو محمد الصالح) قبل بناء الرباط الذي يتعبد فيه قرب البحر بآسفي، وقد تكون الرابطة مقر سكنى الولي فيقول ابن الزيات: "اعتكف عندي أبو العباس التوزري (ت610هـ/1213م)[1] برابطة أنبدور خارج مدينة سجلماسة[2] فدخلت عليه بين العشاءين فدفع لي جاما فيه خبز ولحم"[3]، وقد تكون أيضا ضريح لولي: كرابطة التونسي وهي ضريح محمد بن عبد السلام التونسي (749هـ/1348م) بالعباد ضواحي مدينة تلمسان[4].

وعرفت بلاد المغرب العديد من الأربطة، فاشتهرت بجاية برابطة بن يبكي بداخل باب أميسون لصاحبها أبي محمد بن عبد الكريم بن عبد الملك خلال القرن (7هـ-13م)، وكذلك

[1]- أبو العباس التوزري: ولي صالح اقام مدة في سجل ماسة ثم توجه الى بلاد المشرق، الى ان وافته المنية هناك سنة عشر وستمائة للهجرة. للمزيد ينظر: محي الدين الطمعي: التكملة جامع كرامات الأولياء، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م،ص56.

[2] - سجلماسة: وهي مدينة من مدن المغرب الاقصى تقع على مسافة مئة ميل من الجنوب الشرق لمدينة فاس على تخوم الصحراء، وعلى الجهة اليسرى لوادي زيز موقعها على خط طول 317 درجة غربا، وخطي عرض 84 و80 شمالا، شيدها اهل مكناسة سنة 140 هجري تحت حكم دولة بني مدرار الصفرية. للمزيد ينظر: إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص 122.

[3] - نللي سلامة العامري: مرجع سابق، ص93.

[4] - ابن الزيات: مصدر سابق، ص، ص112،110.

رابطة علي بن أبي نصر بن عبد الله البجائي (ت 625هـ/1228م)[1] خارج باب ميسون كما تحولت أبراج مدينة بجاية إلى أربطة[2].

وهناك عباد بجبل جيليز؛ فاشتهر هذا الجبل بحلول أبي العباس السبتي به (ت 601هـ/1204م)[3]، إذ قضى في خلوته زهاء الأربعين سنة، فيقع هذا الجبل خارج أسوار المدينة، وفي مكان خالٍ وهادئ، فكان ملجأ للعباد والزهاد.

وتعددت أشكال انقطاع المرأة وزهدها، فمنهم من كانت تتعبد في جبل مثل: أم اليمن (ت حوالي 663هـ/ 1235م) [4] التي تتعبد في الجبل المطل على ساحل مكرم، وهي رابطة فاضلة أمرت ببنائها امرأة صالحة اسمها أم اليمن، فعرفت الرابطة باسمها فكان من عادة عباد بقوية وصالحيهم أن يجتمعوا ليلة النصف من شعبان وليلة سبعة وعشرون من رمضان وليلة عاشوراء في الرابطة المعروفة بأم اليمن، الكائنة فوق الجبل[5]. وهناك شابة هسكورية

[1] – علي بن أبي نصر بن عبد الله البجائي: يكنى بأبي الحسن دخل الأندلس سمع على العديد من الشيوخ مثل يونس يحي الهاشمي بمكة وبالقدس أبا الحسين بن جبير وبدمشق الدمياطي وبالإسكندرية الأبياري .وعاد إلى بجاية فأقرأ وأسمع، كان على درجة كبيرة من الزهد والورع، توفي بها في آخر جمادى الاخيرة سنة ست وستين وخمسمئة للهجرة. للمزيد ينظر: أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد الهراحة، ط2، دار الكتاب، طرابلس، 2000م، ص 321.

[2] – ابن الحاج النميري: فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، إعداد محمد بن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص95.

[3] – أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي: نزيل مراكش، هو شيخ وفقيه وقطب من أقطاب التصوف ببلاد المغرب الإسلامي فصيح اللسان، قديرا على الكلام، لا يناظره أحد إلا أفحمه تلقى العلم على يد الشيخ أبو عبد الله الفخار، (ت 601هـ/1204م)ودفن بباب تاغزوت. للمزيد ينظر: ابن الزيات: مصدر سابق، ص– ص451–452.

[4]– أم اليمن: وهي امرأة صالحة، كان يقصدها الناس للتبرك بها في ليلة النصف من شعبان، وليلة سبع وعشرين من رمضان، وليلة عاشوراء في الرابطة المعروفة باسمها " أم اليمن" الكائنة فوق الجبل المطل على ساحل مكرم. للمزيد ينظر: مراد جدي: التدين الصوفي في طبعته النسوية ورهان النوع الاجتماعي لالة ميمونة انموذجا،مجلة مؤمنون بلا حدود، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، الرباط، 16 نوفمبر 2016م، ص 09.

[5] – عبد الحق بن إسماعيل البادسي: مصدر سابق، ص92.

انقطعت على الناس في كهف بجبل درن[1]، وبتونس من حولت القصر إلى رابطة وكان ذلك في القرن 9هـ/15م[2].

والسيدة المرابطة التي دفنت في المقبرة التي بها قبور الموحدين والصالحين والعلماء والسادات الأشراف[3]، فيذكر مؤلف رحلة الوافد أنه "لما أشرف على مدينة تينملّ[4] من ناحية ثنية موضع يقال له أَسْقِمُ فيه هناك مقبرة قديمة. وزار من بها من الصالحين واستقبل حينئذ المقبرة الكبرى بعدوة وادي النفيس، التي بقرب سور المدينة عند الطريق...وفي وسطها(المقبرة) بيت المرابطة (التي) يقال لها تعزى بنت ناصر ومعها قبور أخرى في البيت، ومازال القوم يتبركون بها إلى الآن"[5].

ونتاج ما تقدم أن الرابطة هي المكان الذي يساعد المرأة على خلق جو صوفي، نتيجة الانقطاع والخلوة التي تعيشها في هذه الرابطة لتسلك فيما بعد طريق صوفي.

4- الزوايا:

لغة: جمع زاوية وهي مأخوذة من فعل زوى وانزوى، بمعنى ابتعد وانعزل، أما اصطلاحا فيراد بها مأوى المتصوفين والفقراء[6]. وتطلق الزاوية على البناية ذات الطابع الديني والثقافي

---

[1] – ابن الزيات: المصدر السابق، ص 266.

[2] – البرزلي: مصدر سابق، ج5، ص403.

[3] – علي صدقي أزايكو: نماذج من أسماء الأعلام والجغرافية البشرية المغربية، (د.ط)، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2004م، ص94.

[4] – **تينمل:** وهو اسم لقرية صغيرة تقع وسط المجرى الجبلي لنهر نفيس وهو احد روافد نهر تاناسيفت الذي يقع على بعد مئة كلم من مراكش. للمزيد ينظر: علي صدقي ازايكو: المرجع السابق، ص 53.

[5] – عبد الله بن إبراهيم التاسافتي: رحلة الوافد لحظات من تاريخ أدرار ن–درن (أطلس مراكش) وسوس في القرن 12 الهجري/18الميلادي، تح علي صدقي ءازايكو، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة بن طفيل، القنيطرة، المغرب،1993م، ص174.

[6] – صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها، (د.ط)، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002م، ص، ص302،301.

وتُعرف في المشرق بالخانقاه [1]، ويعرفها ابن مرزوق(629-681هـ/1231-1281م) قائلا: " والظاهر أن الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاج من القاصدين"[2].

ظهرت الزوايا بالمغرب الأقصى في أواخر العصر المرابطي وبداية العهد الموحدي، ومنها انتشرت في افريقية عبر موجتين أساسيتين: الأولى تمثلت في تلامذة أبي مدين شعيب (ت 594هـ/1198م) ومثلها أبو يوسف يعقوب الدهماني (440هـ- 535هـ/ 1048-1140م)[3] وأبو علي النفطي(ت 621هـ/1224م) والطاهر المزوغي (ت594هـ/1197م) وغيرهم، والثانية خصت الشيوخ الأربعين الذين أخذوا عن أبي الحسن الشاذلي (ت 656هـ/1258م)[4].

وقيل أن الزوايا عرفت في بلاد المغرب بعد القرن الخامس الهجري، وسميت في بادئ الأمر باسم " دار الكرامة"، ثم أطلق المرينيون على الزوايا التي بنوها في عهدهم اسم " دار

[1] – عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، (د.ط)، دار موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص148.

[2] – محمد بن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح ماريا خيسوس، تقديم محمود بوعياد، (د.ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص، ص 411، 413.

[3]– أبو يوسف يعقوب الهمداني: هو الامام الورع التقي الناسك صاحب الأحوال والمقامات أسس رابطة سمع عن الشيخ أبا إسحاق ببغداد ولازمه مدة توفي سنة 535هـ/1140م، للمزيد ينظر الذهبي : مصدر سابق، ج 20، ص69.

[4]– أبو الحسن الشاذلي: هو علي بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قص بن يوسف بن يوشع بن ورد بن أبي البطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن إدريس المبايع له ببلاد المغرب بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ولد في غمارة سنة 593هـ /1197م، حفظ القرآن الكريم بمسجدها وتعلم على يد شيوخها نشأ في بني زويل من الأخماس قرب مدينة شفشاون. للمزيد ينظر: عبد الرضا حسن جياد: "أقطاب المدرسة الصوفية ببلاد المغرب= =والأندلس"، **مجلة القادسية**، كلية التربية، جامعة القادسية، مج 13، العدد 2، 2010م، ص140. وبدأ يتفقه في أمور الدين، إلى أن جرفه الحنين إلى عالم الصوفية، فرحل إلى بغداد والتقى بالشيخ أبو الفتح الواسطي ثم رجع إلى المغرب والتقى بالشيخ الذي تلقى عليه علوم التصوف عبد السلام بن مشيش في مغارته التي يتعبد فيها في تونس، واستقر أبو الحسن بمنطقة بإفريقية تسمى شاذلة التي نسب إليها فيما بعد، واتخذ مقره جبل زغوان، حيث أتيح له التأمل والعبادة. للمزيد ينظر: مأمون غريب: أبو الحسن الشاذلي حياته. تصوفه. تلاميذه وأوراده، (د.ط)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2000م، ص- ص 14-15.

الضيوف"؛ ومن بين الزوايا في بلاد المغرب: الزاوية العظيمة[1] التي أسسها الملك أبو عنان المريني(759هـ/ 1348م)[2] خارج سلا[3].

وزاوية القشاش بتلمسان[4]، وقد تعودوا عند اجتماعهم في الزاوية على القراءة والذكر والإنشاد ومدح النبي أو أحد الصحابة أو أحد الأعلام البارزين، وقد دأبت مجالسهم في مختلف المدن على قراءة المواعظ والرقائق والزهد والسير وكتب ابن الجوزي والشفا للقاضي عياض، ولم تخل بعض هذه المجالس من النساء اللاتي اجتمعن في موضع خاص بهن يفصل بينه وبين مجلس الرجال ستارة[5].

وكان دأب شيوخ الزوايا بث المريدين عبر أصقاع البلاد لكسب أتباعٍ من النساء والرجال، فكثر عدد النساء اللاتي يترددن على الزوايا، فكان في زاوية أبي عبد الله محمد الحديدي (ت 786هـ/1384م) مائة امرأة ومائة خمسون رجلا، وزاوية الصالح الصوفي أبو عبد الله بن مرزوق (ت 681هـ/ 1281م)، فآوت زاويته العديد من النساء الصالحات في دويرة بقرب داره في تلمسان[6].

---

[1] – المهدي البوعبدلي: "الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى"، **مجلة الأصالة الجزائرية**، العدد13، الجزائر، 1973م، ص26.

[2] – أبو عنان المريني: هوأبو عنان فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، بويع بتلمسان منسلخ ربيع الاول سنة 749هـ الموافق ل1348، توفي مقتولا في الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة759للهجرة الموافق ل1357ميلادي. للمزيد ينظر ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، (د.ط)، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص221.

[3]– سلا: اسمها بالأعجمي شلا وهي مدينة أزلية معروفة بضفة الوادي متصلة بالعمارة التي أحدثها الخليفة الإمام أمير المؤمنين. للمزيد ينظر: إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص 325.

[4] – المهدي البوعبدلي: "مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر"، **مجلة الأصالة الجزائرية**، العدد07، الجزائر، 1972م، ص93.

[5] – محمد حسن: مرجع سابق، ج2، ص 744.

[6] – أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، ج5، دار صادر، بيروت، لبنان، 1986م، ص412.

وزاوية الشيخ الصالح القرنبالي(ت390هـ/1000م)[1] الذي كان يأتينه النساء بغرض الاستشفاء[2].

كما مثلت الزوايا ملجأ لعديد النساء؛ سواء الفارين من جور الحكام كجارية السلطان الحفصي الواثق بعد قتله سنة (694هـ/ 1295م)، التي فرت إلى زاوية الولي الصالح أبي محمد المرجاني (ت 699هـ/ 1300م)، وزاوية بن عروس ولد سنة(862هـ/ 1458م)[3] التي فرت لها الجواري؛ فيذكر أن جارية هربت من كبار قواد الدولة الحفصية وأبت عدم الرجوع إلى سيدها[4]، فكانت الزاوية موضع الأمان الذي احتمت به النساء، فأصبحن يعشن حياة الزهد والانقطاع؛ كما تساعد الزاوية على التأمل والرياضة الروحية التي تناسب جو الذكر والعبادة.

[1] – هو الشيخ سيدي عثمان القرنبالي توفي في شوال 390للهجرة ودفن بالزلاج بأعلى جبل الفتح. للمزيد ينظر: سناء بلجاج وفاطمة بومنجل: الصلحاء والسلطة في العهد الحفصي (627-982هـ/1228-1573م)، مذكرة ماستر، إشراف لعرج جبران، شعبة التاريخ قسم العلوم الإنسانية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الطاهر مولاي، سعيدة 2016/2015م، ص51.

[2] – البرزلي: مصدر سابق، ج6، ص408.

[3] – ابن عروس: ولي صالح ولد 02 صفر سنة 868 للهجرة، عاصر أواخر الدولة الحفصية من مدينة تونس استقر قرب جامع الزيتونة، له عدة كرامات كمداواة المرضى ومساعدة المظلوم وغيرها. للمزيد ينظر: سناء بلجاج وفاطمة بومنجل: المرجع السابق، ص44.

[4] – محمد حسن: مرجع سابق، ج2، ص793.

ثالثا: المحيط الصوفي.

ساهمت البيئة أو المحيط الذي تعيش فيه المرأة في تصوفها، خاصة إذا كانت الوسط الذي تعيش فيه وسط متدين، وكما يقال الإنسان ابن بيئته فتؤثر الأسرة في تصوف المرأة، بالإضافة إلى أسر بأكملها عرفت بالصلاح، وكذلك القبيلة التي كان لها دور في تصوف المرأة إذ عرفت قبائل كبرى في بلاد المغرب التصوف مثل قبيلة صنهاجة[1] وركراكة[2] وهسكورة [3]...وغيرها من القبائل المتصوفة.

1- الأسرة الصوفية:

تعتبر الأسرة اللبنة الأساسية في بناء المجتمع الصوفي، فكان المرأة تتأثر بزهد أو تصوف أبيها أو أخيها أو زوجها، ففي إفريقية ظهرت العديد من النساء الزاهدات اللاتي تأثروا بأقاربهم، كتربية أسد بن الفرات(144-213هـ/761-828م)[4] لابنته أسماء عاشت

[1] – صنهاجة: اختلف النسابة والمؤرخين حول أصل قبيلة صنهاجة؛ فمنهم من يرجعها إلى العرب القحطانية من قبائل حمير المنحدرة من نسل صنهاج بن بر بن صوكان بن إفريقش بن قيس أحد ملوك التبابعة، أما بن خلدون يرجح أن صنهاجة قبيلة بربرية برنسية تنحدر من ولد صنهاج بن عامر ...بن حام بن نوح، وتضم هذه القبيلة زهاء 70 بطنا منتشرين في كامل المنطقة نذكر منها: تلكاتة، مزغنة، بطيوة، وانوغة، متنان، بنو عمران. للمزيد ينظر: رضا بن النية: صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر دراسة اجتماعية (80-362هـ / 699 - 973م)، مذكرة ماجستير، إشراف بوبة مجاني، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006/2005م، ص- ص 30-31.

[2]– ركراكة: وهي من بطن من بطون مصمودة، وهي اول قبيلة اعتنقت الإسلام في بلاد المغرب حيث تشير بعض المصادر أن فئة منهم شدت الرحال الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم، وكلموه باللهجة البربرية فأجابهم بها واسلموا ورجعوا الى بلاد المغرب، مواطنهم على عدوتي وادي نسيفة لكنهم انتشروا فيما بعد. للمزيد ينظر: عبد الوهاب منصور، قبائل المغرب، ج1،(د ط)، المطبعة الملكية، الرباط، 1969م ص325.

[3] – هسكورة: وهي قبيلة بربرية اختلف المؤرخين حول اصلها حيث يدرجهم البعض الى مصمودة، والبعض الاخر الى قبيلة صنهاجة، موطنهم جبل درن، وتنقسم الى قسمين؛ هسكورة الظل وهسكورة القبلة ويحتوي كل قسم على مجموعة من البطون، للمزيد ينظر عبد الوهاب بن منصور: مرجع نفسه، ص 336.

[4]– أسد بن الفرات: هو أبو عبد الله بن أسد بن الفرات أصله من نيسابور قدم مع أبوه إلى تونس مع الفقيه محمد بن الأشعث رحل إلى المشرق وسمع من الإمام مالك ثم الى العراق، تولى قضاء القيروان سنة 204هجري، توفي في حصار سرقوسة في غزوة صقلية سنة 213هجري. للمزيد ينظر: محمد بن محمد بن عمر قاسم مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2003م، ص 93.

أواخر القرن الثاني للهجرة، فعمل على تربيتها وتهذيبها فثقف ذهنها علما وحكمة[1]، فكانت تحضر مجالسه العلمية في داره وتشارك في السؤال والمناظرة، حتى اشتُهرت بالفضيلة ورواية الحديث والفقه على رأي أهل العراق أصحاب[2] أبي حنيفة ولد سنة(150هـ/ 767م)[3].

كذلك خديجة بنت سحنون بن سعيد التنوخي[4] (160-240هـ/767-854م)، كان أبوها "جامعا للعلم فقيه البدن اجتمعت فيه خلال ما اجتمعت في غيره الفقه البارع والورع الصادق والصرامة في الحق والزهادة في الدنيا والتخشن في الملبس والمطعم والسماحة والترك ألا يقبل شيئا"[5]، فكانت خديجة عاقلة ذات صيانة ودين وزهد، فكان أبوها يستشيرها في مهمات الأمور حتى أنه لما عرض عليه القضاء، لم يقبل إلا بعد أخذ رأيها، وعلاوة على صواب رأيها اتصفت خديجة بالعلم فاستمدت معارفها من والدها الحبر، وقد كان نساء زمانها يستفتيانها في مسائل الدين ويقتدين بها في معضلات الأمور[6]، ويصفها القاضي عياض ويقول: "كانت خديجة من خيار الناس"[7].

[1] – محمد بن سحنون: كتاب آداب المعلمين، تح حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة محمد العروسي المطوي، ط2، مطبعة ليدن، تونس، 1972م، ص38.

[2] – حسن حسني عبد الوهاب: شهيرات تونسيات، (د.ط)، المطبعة التونسية، تونس، 1994م، ص22.

[3] – أبو حنيفة: هو الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان الكوفي رضي الله عنه، ولد سنة 150 للهجرة مؤسس المذهب الحنفي الذي انتشر في بلاد العراق، ثم انتشر المذهب وعم مختلف الأقطار الإسلامية. للمزيد ينظر احمد تيمور باشا: تقديم محمد أبو زهرة، نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة الحنفي المالكي الشافعي الحنبلي، ط1، دار القادري، بيروت، 1990 م، ص50.

[4] - سحنون أبو سعيد التنوخي: هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، أصله شامي من حمص، فقيها وقاضيا بإفريقية، تتلمذ على يد بن القاسم . للمزيد ينظر: أبو بكر محمد بن محمد المالكي : مصدر سابق، ج1، ص443.

[5] – أبو العرب محمد بن أحمد التميمي: طبقات علماء إفريقية، (د.ط)، دار الكتاب اللبناني، لبنان، (د.س.ن)، ص101.

[6] – حسن حسني عبد الوهاب: مرجع سابق، ص24.

[7] – القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط محمد سالم هاشم، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م، ص346.

بالإضافة إلى أخت عبد العزيز التونسي التي انقطعت إلى عبادة الله تعالى إلى أن ماتت، فعاشت هذه المرأة في جو أسري عرف بالزهد والصلاح، فكان أخوها الشيخ الزاهد والمتصوف [1]، وابن أخيها الشيخ عبد العزيز التونسي[2].

من خلال ما سبق يتضح أن الأسرة هي النواة الأولى لزهد وتصوف المرأة المغربية التي كانت ترى أبوها أو أخوها قدوة لها، خاصة إذا غرس فيها الأخلاق الحسنة والصفات الحميدة.

2- بيوتات الصلاح:

عرفت ببلاد المغرب بيوتات اشتهرت بالعلم والصلاح، فاحتضنت هذه البيوتات داخلها بناتها اللاتي تشبعن بذلك الجو الصوفي والروحي داخل هذه البيوتات.

ومن هذه البيوتات بيت أبو محمد صالح الماجري(550-631هـ/1155- 1234م)، نزيل آسفي وهو الشيخ الجليل الصوفي المحقق شيخ المشائخ، وقدوة الأولياء وفخر الأتقياء وإمام الأصفياء[3]، أب لستة أولا ذكور، زوجته أم الأربعة الكبار تدعى تلولي، عابدة فاضلة دخلت طريق التصوف متأثرة بزوجها، أسس رباط بمدينته وركز نشاطه على الدعوة والتوبة والخروج إلى الحج[4]، فهيأ لذلك رباطات من المشرق إلى المغرب لإرفاق المريدين ومساعدة الضعفاء على بلوغ بيت الله الحرام، وقد توارث أحفاده هذه التقاليد وحافظوا على مكانة الرباط من بعده، فيذكر ابن الخطيب: " أنه لقي بمدينة آسفي موكب أرباب الخطط بارين معدين.

[1] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص94.

[2] – ابن مريم: مصدر سابق، ص122.

[3] – مؤلف مجهول: مفاخر البربر، تح عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2005م، 2005م، ص175.

[4] – محمد القبلي: الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط علائق وتفاعل، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1997م، ص87.

ولما أشرفنا، ركب إلينا صردوكها أحمد بن يوسف حفيد الولي أبي محمد صالح، القائم في ظل صيته، وأثير الناس من أجله...جالس السلطان، وقاد ركب الحجاز..."[1].

كما وجدت أسرة اشتهر أمرها بالصلاح لبروز عدة أولياء فيها مثل أسرة المزوغي في قصور الساف حيث يعد هذا البيت العديد من الأولياء: طاهر المزوغي (ت 646هـ/1248م) وعلي المزوغي والد خديجة التي كانت من العابدات وهي والدة أبي الحسن علي المزوغي وهذا الأخير أخذ الطريقة عن الشيخ عبد الغني المزوغي، وأبو الحسن علي المحجوب شيخ أحمد بن مخلوف الشابي (ت 1228هـ/1813م) وهو بيت استمرت فيه الولاية إلى زمن مقديش.[2]

وأسرة ابن مرزوق بتلمسان التي اشتهرت بالصلاح والعلم والزهد، وأصل هذه الأسرة من القيروان[3]، استوطن جدهم مرزوق العجيسي[4] تلمسان في عهد المرابطين فنشأ بنوه بها وهم أهل صلاح ووجاهة بالدين يحترفون الفلاحة[5]، يعد أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق (ت 681هـ/1282م)[6] بركة ذلك البيت، زوجته زينب بنت الشيخ الصالح أبو

---

[1] – لسان الدين بن الخطيب: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح أحمد مختار العبادي، (د.ط)، دار النشر العربية، الدار البيضاء، المغرب، (د.س.ن)، ص69.

[2] – نللي سلامة العامري: التصوف بإفريقية في العصر الوسيط من القرن 3هـ/9م إلى نهاية القرن 9هـ/15م، (د.ط)، دار كونتراست للنشر، سوسة، تونس، 2009م، ص249.

[3] – أبو الحسن علي القلصادي: رحلة القلصادي، تح محمد أبو الأجفان، (د.ط)، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م، ص96.

[4]– مرزوق العجيسي: وهو ابن مرزوق ينحدر من عائلة عريقة اصلها بالقيروان وعندما نزلوا بنو هلال فيها رحلت الاسرة إلى تلمسان في أواخر القرن الخامس هجري في عهد المرابطين وتلقبه بالعجيسي نسبة الى قبيلة عجيسة البربرية استقرت في اواخر القرن الثامن هجري في مدينة بجاية في ظواحي قلعة بني حماد, للمزيد ينظر ابن مرزوق التلمساني: مصدر سابق، ص15.

[5] – نصر الدين بن داود: بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ /13م إلى القرن 10هـ/16م، أطروحة دكتوراه، إشراف محمد بن معمر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، 2010/2009 م، ص14.

[6]– أبو عبد الله محمد الثاني بن مرزوق: وهو محمد الثاني بن أبي بكر بن مرزوق، فقيه ومحدث صوفي وزاهد، ولد سنة 629للهجرة بمدينة بتلمسان، وتوفي بها سنة 681 للهجرة، ودفن في دار الراحة قريبا من القصر القديم، بجوار السلطان يغمراسن الزياني. للمزيد ينظر: أحمد بن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح، مصدر سابق، ص، ص16، 17

إسحاق إبراهيم بن محمد الدلايلي[1] أحد الصلحاء، وبعد وفاتها تزوج بنت أبو عبد الله الكتاني كبير البلدة، فكانت هي أيضا من الصالحات، ويذكر الشيخ أبو العباس بن القطان أنها كانت ملازمة للعبادة مع زوجها، ومقتصرة على ما يقتصر عليه من القوت، بالرغم من الثروة التي تحصلت عليها بعد وفاة والدها[2]، وقد توارثت أبناء هذا البيت الصلاح، فكان الأب يلبس الخرقة لابنه كدليل على صلاح هذه الأسرة بأكملها فابن مرزوق الحفيد (ت842هـ/ 1438م)[3]، "فيقول التنبكتي: " ألبسني خرقة التصوف كما ألبسه أبوه وعمه وهما لبساها من أبيهما "[4].

بالإضافة إلى أسرة بني عبدوس بمكناسة، إليهم ينسب العبادسة وهم من بني معطى، أعقاب الشيخ الفقيه المشاور أبو عمران العبدوسي(ت837هـ/1433م)[5]، فمنهم ولدهم الفقيه المحدث الحافظ أبو القاسم وولده الفقيه أبو عبد الله وحفيده المحدث الحجة شيخ الشيوخ أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن موسى المعطى العبدوسي، وهم بيت كبير من بيوت القلم، أقام فيهم العلم والرياسة دهرا طويلا حتى في نسائهم وآخر علمائهم أم هانئ العبدوسية ت(860هـ/1456م)[6].

---

[1] – الصالح أبي اسحاق بن محمد الدلايلي: متصوف بنا دار المعرفة، قرأ القرآن الكريم على يد جماعة من مشيخة عصره، اشتغل بدراسة القفه والحديث، انقطع على العبادة. للمزيد ينظر: أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني: المناقب المرزوقية، تح سلوى الزاهري، (د.ط)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2008م، ص 149.

[2] – المصدر نفسه: ص–ص 149– 150.

[3]– ابن مرزوق الحفيد: محمد بن محمد الثاني المسمى بالحفيد، ولد في تلمسان يوم الأحد 14 ربيع الأول سنة 766للهجرة الموافق ل: 09 ديسمبر 1365 ميلادي، كانت له مكانة في الحياة الدنية والثقافية في المغرب، ومن اهم شوخه ابراهيم المصمودي، ناصر الدين الاسحاقي، سعيد العقباني، عبد الله الشريف، وغيرهم ... له عدة تصانيف من بينها نهاية الامل في شرح الجمل، وثلاث شروح للبردة، وكتاب انوار اليقين في شرح حديث اولياء الله المتقين، ت سنة 842للهجرة, للمزيد ينظر: ابن مرزوق التلمساني، مصدر سابق، ص، ص 54،55.

[4] – التنبكتي: مصدر سابق، ص 139.

[5]– أبو عمران العبدوسي: العالم الجليل اخذ العلم عن والده وعن الرصاع وغيره... توفي سنة 837هـ/ 1433م. للمزيد ينظر: محمد بن محمد بن قاسم مخلوف: مصدر سابق، ج1، ص363.

[6] – ابن غازي المكناسي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح عطا أبورية وسلطان ابن مليح الأسمري، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2007م، ص83.

كذلك بيت آل مغار الذي كان يحكم رباط تيط، ينتسبون إلى إسماعيل بن سعيد الصنهاجي[1]، وهو الذي أسس رباط تيط منذ القرن 5هـ/11م لأجل محاربة برغواطة المسيطرة على منطقة تامسنا، وتعززت مكانة هذه الأسرة بإدعائها للنسب الشريف[2]، ومن أبناء هذا البيت محمد بن أبي جعفر إسحاق بن إسماعيل بن سعيد الصنهاجي وصل إلى رتبة البدل، فكان بيتهم بيت صلاح وولاية[3].

ومن بيوتات فاس بيت الزرهوني وهم من برابر جبل زرهون، وهو بيت فقه وصلاح، قدم منهم الشيخ مهدي إلى مدينة فاس[4]؛ فكان خيرا متمسكا بالدين وأولاده فقهاء وصلحاء[5]، ونسب نساء هذا البيت يغلب على أولادهن، مثل أبو محمد عبد الله الصنهاجي المعروف بالزرهوني، أمه زرهونية فنسب إليها لعلو نسبها واشتهارها بالصلاح والفقه[6].

هذا على غرار العديد من النساء المجهولات اللاتي ذكرهن ابن الزيات، وعليه لم يكن من الضروري أن ينشأ المرء في بيت عريق في التصوف حتى يسلك هذا المنحى الصوفي.

3- القبيلة الصوفية:

ظهرت ببلاد المغرب قبائل اختصت بتخريج الأولياء فيذكر ابن قنفذ (ت 810هـ/1407م) في هذا الصدد: "وقد سألت عن جملة الطوائف التي هي بالمغرب الأقصى في الأرض التي تنبت الصالحين كما تنبت الكلأ، فوجدتها متعددة باعتبار تعدد الأشياخ"[7]، ومن بين القبائل التي اشتهرت بعض بطونها وأفخاذها بالصلاح؛ بقوية في

---

[1] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص209.

[2] – محمد المازوني: مرجع سابق، ص 29.

[3] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص209.

[4] – عبد الكبير بن هاشم الكتاني: زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، تح علي بن المنتصر الكتاني، ج1، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2002م، ص465.

[5] – إسماعيل بن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، (د.ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1972م، ص22.

[6]– ابن الزيات: مصدر سابق، ص 424.

[7] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص63.

الشمال ومشتراية وبني دغوغ[1] وأزمور في دكالة[2] وبني مصطاو وسايوة بهسكورة وركراكة... وغيرها من القبائل التي اشتهرت بالصلاح[3].

وإذ تتبعنا الأصول القبلية لبعض صالحات المغرب فأنهن ينتمين إلى قبيلتي صنهاجة ومصمودة[4]، ومن صنهاجة أزمور نذكر الحرة الصالحة فاطمة الصنهاجية[5]،وهي من نساء المصامدة الصالحات الأربع عشرة اللاتي يخترقن الهواء من مجموع سبع وعشرين وليا، فهذا يدل على كثرة تصوف نساء مصمودة، ومن قبيلة دكالة منية بنت ميمون الدكالي(ت 595هـ/1199م)[6].

نلخص مما تقدم أن العديد من القبائل المغربية عرفت بالصلاح والتصوف، احتضنت القبائل المتصوفة النساء والرجال فساهمت في ترقيتهم في مدارج التصوف، ومن بين هذه القبائل قبيلة صنهاجة ومصمودة التي اشتهرت بعض بطونها بالصلاح.

[1] – مشتراية وبني دغوغ: قبيلتين دكاليتين من منطقة آسفي بالمغرب الأقصى. للمزيد ينظر: أحمد التادلي الصومعي: مصدر سابق، ص206.

[2]– دكالة: المنطقة التي تبدأ من غرب نهر التانسفت وتنتهي شمالا على المحيط جنوبي نهر أم الربيع، كثيرة السكان، يتصف سكانها بالجهل، للمزيد نظر الحسن الوزان: وصف إفريقيا، تعليق آ إيبولار، ت مونو، هـ لوت، ور موني، تر عبد الرحمن حميدة، مراجعة علي عبد الواحد، (د.ط)، المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، الرياض، 1399هـ، ص157.

[3] – عبد الوهاب بن منصور: مرجع سابق، ص، ص 266، 324.

[4] – مصمودة: وهي من قبيلة بربرية خالصة من سلالة مصمود بن برنس، سكنت بلاد المغرب الاقصى منذ الاحقاب المتطاولة، لم يخرجوا منها الا بعد اعتناقهم الاسلام لهدف نشره، للمزد ينظر عبد الوهاب منصور: المرجع السابق، ص322.

[5] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص 82.

[6] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص، ص 316،387.

رابعا: نظرة الرجل المتصوف المغربي للمرأة.

لقد تباينت نظرة الرجل المتصوف للمرأة، فتختلف عقلية الرجل الصوفي المغربي في تعامله مع المرأة، وكذا صورتها في مخياله، فمنهم من كان يبجلها ويحترمها كأبو يعزى يلنور(ت 572هـ/1178م)، أبو مدين شعيب(ت 594هـ/1198م)، وابن عربي(ت 638هـ/ 1241م) الذي أصبح نصير للمرأة بعد أن كان نافر لها، وفي هذا العنصر نحاول التركيز على بعض الأعلام المتصوفة الذين كانت لهم النظرة تجاه المرأة .

1- أبو يعزى يلنور (ت 572هـ-1178م):

هو يلنور بن ميمون، قيل من بني صبيح من هسكورة، وقيل من بني هزميرة[1]، صال وجال قي بلاد المغرب، كان مستقره في تاغية بجبل إيروجان[2]، أقام لمدة عشرين سنة في الجبال المشرفة على تينملل، ثم انحدر إلى السواحل فأقام به ثمانية عشر عام، واشتغل برعي الغنم وخدمة الصالحين.

وصفته أنه رجل طويل أسود أمي، يقتات من شجر الدفلى، رزق العلم اللدني، كالإخبار بالغيوب وأنواع المكاشفات وإبداء الأسرار، وإبراء المجانين والمرضى، وشفاء ذوي العاهات على يديه[3].

كانت أسرته مكونة من عدة نساء هن زوجاته: أم العز وميمونة الثالثة تكنى بالمرأة الصغرى، وله أولاد أكبرهم يعزى الذي ينسب إليه وهو وارثه الروحي[4]، استمر ميراثه إلى

[1] – عبد السلام غرميني: المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 2000م، ص285.

[2] – الصومعي: مصدر سابق، ص 65.

[3] – أبو العباس العزفي: دعامة اليقين في زعامة المتقين " مناقب الشيخ أبي يعزى"، تح أحمد التوفيق، (د.ط)، مكتبة خدمة الكتاب، (د.ب.ن)، 1989م، ص 36.

[4] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص،ص215، 222.

عهد ابن قنفذ (ت 810هـ/1407م) فيقول: " رأيت شيخا من أحفاده على صفة جده في لونه وقده. تبركت به وذلك في عام واحد وستين وسبعمائة "[1].

ويرى الباحث أحمد التوفيق أن أبى يعزى (ت 572هـ/1178م) من الدعاة النباتيين الذين يحسنون التكيف مع الظروف المحيطة[2]، فهذا الأمر يعطي لمواقفه من قضايا مجتمعه تميزا خاصا، وبخاصة فيما يتعلق بقضايا المرأة وعلاقاتها الاجتماعية، فكانت مواقفه من النساء تتميز بالاحترام والعطف، إلا أنها سُجلت عليه بعض المآخذ.

ومن بين مواقفه تجاه المرأة:

- إشراك زوجاته في شؤونه ومحاورتهن بل سعى إلى أن يشاركنه حتى في بلوغ أعلى درجات التصوف، من خلال رواية أم العز حيث تقول: " أخذ الشيخ بيدي وقال لي: سيري معي! فقلت حتى أخذ ركتي تعني القصبة أو العود التي يلقى عليها الكتان أو الصوف فيغزل قالت: فتركني وطار في الهواء وأنا أنظر حتى غاب عني. فلما رجع إلي لامني وقال من يخرج إلى الله تعالى يتخلف أو يتأخر لركة أو غيرها. ومن خلال هذا النص نستشف أن أبى يعزى كان يشارك زوجاته في عروجه الصوفي[3].
- زيارته للنساء الصالحات مثل فلانة الأندلسية الولية المغمورة التي يُعَرِّف بها أبو يعزى في زيارته لها، كما نَوَهَ بفضلها وعلو شأنها في طريق التصوف[4].
- كانت له يد بيضاء على الزوجات والعرائس، فهو يسعى لحل الخلافات الزوجية، كما يسعى أيضا إلى تزويج النساء ومباركتهن[5]، ويذكر العزفي: " وكان عنده من حسن السياسة والرفق بالقلوب والسعي في صلاح ذات البين وتواد الزوجين ما تشتهي سماعه الأنفس...

[1] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص 26.

[2] – أحمد التوفيق: "التاريخ وأدب المناقب من مناقب أبي يعزى"، ضمن ملتقى التاريخ وأدب المناقب، **منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي**، (د.ط)، مطبعة عكاظ، الرباط، المغرب، 1989م، ص87.

[3] – أبو العباس العزفي: مصدر سابق، ص49.

[4] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص237.

[5] – أحمد التوفيق: مرجع سابق، ص 89.

فقلما كانت تهدى عروس من أهل تلك البلاد المجاورة لبعلها حتى يوتى بها إليه برسم الدعاء لهما والتبريك عليهما فيفعل ذلك يكلمهما حتى يذهب النفار والشراد ويسرهما ويضحكهما حتى يقوم بينهما من الأنس والتأليف المأمول والمراد، وينصرفا إلى بيت بنائهما"[1].

- شجع أبو يعزى على الزواج من الإماء السود، مثل الأمة السوداء التي أشار على أبي مدين شعيب (ت 594هـ/ 1198م) بأن يتزوجها لأنها ستلد له وليا[2]، فحاول أبو يعزى القضاء على العادة المترسخة عند المصامدة؛ وهي أن الزواج من الحبشية عار، وثمرة هذا الجهد ظهرت على تلميذ أبو مدين (ت 594هـ/1198م) أبو محمد عبد الرزاق الجزولي المصمودي حيث تزوجها بعد طلاقها من أبي مدين[3]. ولا شك أن أبو يعزى (ت 572هـ/1178م) من خلال هذه المواقف أنه كان رحيما ودودا ومنحاز إلى النساء.

غير أن أبي يعزى (ت 572هـ/1178م) سجلت عليه بعض السلوكيات من بينها:

- كان يفضح على الملأ زائريه بارتكابهم الفواحش، خاصة ما يتصل بشرف المرأة، مثل حادثة لومه على الرجل الذي أتاه ليسلم عليه، فقال له أبو يعزى: لم تخون أخاك وتأتي زوجه وهو غائب؟[4]، كما أنكر فقهاء فاس لمس صدور النساء والنظر إليهن[5]، ولم يقتصر هذا الإنكار على فقهاء فاس بل أيضا خديمه الحاج بن هارون الذي ترك الخدمة عنده لأنه رآه يلمس صبية جاءت تستشفي عنده[6]، وثبت من كراماته مداواته لكثير من النساء باللمس[7].

[1] - أبو العباس العزفي: مصدر سابق، ص 41.
[2] - ابن قنفذ: مصدر سابق، ص 36.
[3] - ابن الزيات: مصدر سابق، ص 328.
[4] - المصدر نفسه، ص214.
[5] - المصدر نفسه، ص215.
[6] - ابن الزيات: مصدر سابق، ص 220.
[7] - أبو العباس العزفي: المصدر السابق، ص50.

وحجته في ذلك أنه يقوم مقام الطبيب[1]، بل ويزيد عليه أن شفاء مرضاه محقق، وأنه قد تواتر عنه ذلك فمن كانت به عاهة أو علة فلمس عليها أو تفل وهو يلمسها ويدلكها بيده تبرأ في الحين.

2- الغوث أبو مدين شعيب(ت594هـ/1198م):

هو الولي الشهير أبو مدين بن حسين الأنصاري؛ أصله من ناحية إشبيلية[2]، وهو من الشخصيات المؤسسة للصوفية في الأندلس وبلاد المغرب، وتتلمذ على العديد من الشيوخ أبرزهم: ابن العريف (ت 536هـ/1141م)[3] المؤسس للمدرسة الصوفية الشهيرة بألمرية[4]، وأخذ في بلاد المغرب عن الشيخ علي بن حرزهم (ت 559هـ/1164م)[5]، وعن الشيخ أبي يعزى (ت 572هـ/1178م) وبه انتفع وعليه تخرج[6]، وبعد أن مكث عدة أعوام بفاس انتقل

[1] – أبو العباس العزفي: مصدر سابق، ص 36.

[2] – أبو مدين شعيب: الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان، تح عبد الحميد حاجيات، (د.ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص23.

[3] – هو أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى السنهائي، أصله من طنجة بربري من قبيلة صنهاجة، قضى الشطر الأكبر من حياته في ألمرية التي كانت آنذاك مركزا مهما للدراسات الصوفية، وهو من أوائل المفسرين لتصوف الإمام أبو حامد الغزالي في بلاد المغرب، لديه كتاب محاسن المجالس عرض فيه مذهب التصوف ويصنف أحوال الصوفية ومقاماتهم. للمزيد ينظر: ألفرد بال: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر عبد الرحمن بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م، ص380.

4- zaim khenchelaoui: los camions de la fe abu madyan: un faro en el comino, colloque international, les routes de la foi abu madian: une lanterne sur la voie, université abou- baker belkaid- tlemcen, les18, 19, 20, et 21 décembre 2011, p11.

[5]– هو الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم، كان خيرا فاضلا ديانا ورعا زاهدا متقشفا سالكا لطريق الملامتية، معظما للعلم منقبضا عن السلطان، شريف النفس، متواضعا للفقراء، اجتمعت فيه خصال ما اجتمعت في غيره: الفقه في المسائل، والفقه في الحديث، ومعرفة التفسير للقرآن والتصوف. للمزيد ينظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي: المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تح محمد الشريف، ج2، ط1، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2002م، ص16.

[6] – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2، (د.ط)، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954م، ص189.

إلى مكة حيث لقي الصوفي الكبير عبد القادر الجيلاني (ت 561هـ/ 1166م)[1] فقرأ عليه وألبسه الخرقة، وأتم بإرشاده علومه الصوفية[2]، بعد ذلك عاد إلى المغرب وتردد في بلاد المغرب وتردد في بلاد إفريقية، ثم استوطن أخيرا بجاية، وكان له بها مسجدا للدرس والوعظ[3].

وقال عنه ابن الزيات: " خاض من الأحوال بحارًا ونال من المعارف أسرارًا وخصوصا مقام التوكل... كما كان كثير الالتفات بقلبه إلى الله تعالى"[4].

من التعريف بأبي مدين (ت 594هـ/1198م) وضح لنا مذهبه الذي يقوم على الرؤية بعين القلب؛ والقلب له وجهة واحدة وكذا هناك فرق بين العارف[5] والسالك[6] في طريق التصوف، وانطلاقا منهما تكونت نظرته تجاه المرأة؛ التي يمكن تقسيمها إلى قسمين:

2-1 النظرة الأولى: تتعلق بالعارف الذي هو مشغول بربه، ولا يرى من الخلق غير وجه سبحانه وتعالى؛ لهذا لا يضره صحبة النساء، خاصة وأن المتصوف محتاج إلى صحبة

---

[1] – هو أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح جنكي، نشأ بمنطقة تسمى نيف في إقليم جيلان شمال إيران، رحل إلى بغداد سنة 488هـ/1095م، أخذ علم التصوف عن الشيخ أبي محمد جعفر بن أحمد السراج (ت 509هـ/ 1116م) والشيخ حماد بن مسلم الدباس (ت 525هـ/1131م) وأبو سعد المخرمي الذي أخذ عنه سند الصوفية، وبعد وفاة هذا الأخير أضحى الشيخ عبد القادر يدرس مكانه وله مريدين كثر يأتونه من أسقاع العالم الإسلامي. للمزيد ينظر: عبد الرزاق الكيلاني: الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، ط1، دار القلم، بيروت، لبنان، 1994م، ص، ص 108، 168.

[2] – عبد الحليم محمود: شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه لله تعالى، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1985م، ص53.

[3] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص 16.

[4] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص319.

[5] – العابد يعبده بالحال، والعارف يعبده في الحال، أدنى صفة العارف أن تجري فيه صفات الربوبية، والعارف ما فرح بشيء قط ولا يخاف من شيء قط، والعارف يلاحظ ربه، والعالم يلاحظ نفسه؛ ومن علامات العارف أنه لا يفتر من ذكره ولا يمل من حقه ولا يستأنس بغيره، للمزيد ينظر: رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1999م، ص 591.

[6] – هو السائر إلى الله، المتوسط بين المريد والمنتهى مادام في السير، كما ذكر ابن عربي " السالك هو الذي مشي على المقامات بحاله لا بعلمه، للمزيد ينظر: عبد الرزاق الكاشاني: معجم اصطلاحات صوفية، تح عبد العال شاهين، ط1، دار المنار، القاهرة، مصر، 1992م، ص119

المخلصين، ومن هذا المنطلق وجد من بين أصحاب أبو مدين (ت 594هـ/1198م) الصالحة فاطمة الأندلسية (ت خلال القرن 7هـ/13م) التي كانت تتنقل من قصر كتامة[1] إلى فاس لتحضر مجالس سماعه رفقة أصحابها من الفقهاء الصوفية[2].

2-2 النظرة الثانية: وتتعلق هذه النظرة بالسالك الذي يخاف من إتباع الهوى أثناء ترقيته، فلهذا حذر من صحبة النساء، فقال: "...احذر صحبة النساء اتقاء على إيمان قلبك"[3]، لذلك فهو يحذر المريد من أن يميل إلى غير الله فيسلبه لذة مناجاته.

يتسع هذا الرأي ليشمل نساء الجنة "الحور العين" حين أمر صاحبه بإعادة صلاته التي رأى فيها ثلاثا أو أربعا من حور العين وهن يتبخترن في ركن البيت، ولهذا فإن المراد من الصلاة هو أن يناجي العبد ربه[4]، وبذلك فالسالك عليه أن تكون وجهة قلبه إلى الله تعالى دون سواء.

3- ابن عربي (ت 638هـ/ 1241م):

ولد أبو بكر محمد بن علي في مدينة مرسية عام (560هـ/1165م)، من أسرة نبيلة غنية وافرة التقوى وهو يذكر عن أبويه أخبارًا تدل على شدة التقوى وكان له خالان سلكا طريق الزهد[5]، وعمه عبد الله بن محمد بن عربي كان له مقام شم الأنفاس الرحمانية حسا

---

[1] – قصر كتامة: قصر بناه السلطان الموحدي يعقوب المنصور في القرن السادس للهجرة عندما حل ضيف على هذه المنطقة فوجد رجل صياد وإستقبله عنده فلم يعجبه الطعام فقال له الا يوجد لديك نوع آخر من الطعام فقال له لديا عنزة وجدي، ومن الممكن ان يتشرف لحم الجدي بتلبية رغبتكم، " وبالفعل ذبح له الجدي وامر زوجته بطهوه ونام المنصور في الكوخ عنده حتى الصباح وغادر المكان فلقي فرسانه فامرهم ببناء قصر للصياد الذي اكرمه عنده في كوخه البسيط. للمزيد ينظر: اوجست موليبراس: المغرب المجهول، اكتشاف جبالة، ج2، تر عز الدين الخطابي، منشورات تيفراز الريف، حديقة لوسفورد، وهران، 1987م. ص513.

[2] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص332.

[3] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص19.

[4] – الصومعي: مصدر سابق، ص 156.

[5] – فاروق عبد المعطي: محي الدين ابن عربي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م، ص-ص23-24.

ومعنى، وفي هذا الوسط العامر بالزهد والتصوف قضى ابن عربي طفولته[1]، ولم تكن ميوله في بادئ الأمر متجهة ناحية حياة الزهد؛ بل كان مشغولا بالآداب والصيد، وتزوج من المرأة الصالحة[2] مريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمان البجائي[3].

تلقى علوم التصوف على يد شيوخ كبار من الأندلس والمغرب ومنهم الرجال والنساء، ومن بين النساء اللاتي درس عليهن ياسمين وهي صوفية من مرشانة الزيتون وفاطمة القرطبية وهي ذات أحوال ومواجد[4]، وسمع من ابن بشكوال، كما رحل إلى ببغداد ومكة ودمشق وأثناء هذه الرحلة للمشرق تزوج امرأة ثانية بأم الشيخ صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي[5].

فكان الحضور النسوي في حياة ابن عربي (ت 638هـ/1241م) الصوفية (أم صالحة، وزوجات صالحات، أستاذات صالحات) هو الذي حرك قضية المرأة في ذهنه، وجعلته كما يقول نصير لها، فلهذا لم تكن المرأة غائبة عن حقل القداسة والتصوف، فهي بطبيعتها ظلت في جوهر الممارسة الدينية الصوفية، وبحث المتصوفة في المرأة عن رمز الحب وتمثلوا الذات الإلهية في صورة امرأة، واعتبرها ابن عربي (ت 638هـ/1241م) أن أكبر تجل لخلق الله هو في المرأة[6].

---

[1] – أسين بلاثيوس: ابن عربي حياته ومذهبه، تح عبد الرحمن بدوي، (د.ط)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1965م، ص 08.

[2] – فاروق عبد المعطي: مرجع سابق، ص27.

[3] –زوجة بن عربي مريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن الباجي، كانت على صلاح وتقوى وورع .للمزيد ينظر: فاطمة جدو: السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين(479–635هـ/1086–1238م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف إبراهيم بكير بحاز، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2008/2007م. ص123.

[4]– أسين بلاثيوس: مرجع سابق، ص 24.

[5] – محمد بن شاكر الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليها، تح إحسان عباس، مج3، (د.ط)، دار صادر، بيروت، لبنان، 1974م، ص 435.

[6] – رحال بوبريك: بركة النساء الدين بصيغة المؤنث، (د.ط)، إفريقيا الشرق، المغرب، 2010م، ص 109.

والعلاقة بين المتصوف والمرأة تبدو أكبر وأشمل وأعمق، إذ أنها ابتدأت ببداية الخلق، فتشكلت محبة وشوقا وحنينا، إذ يقول ابن عربي (ت 638هـ/1241م): " وعمر الله الموضع من آدم الذي خرجت منه حواء بالشهوة إليها إذ لا يبقى في الوجود خلاء، فلما عمره بالهواء حن إليها حنينا إلى نفسه"، فالحنين هو الميثاق الذي يربط الرجل بالمرأة في العرف الصوفي، ويجمع بينهما، وهو حنين ينزع إليها لا باعتبارها ذاتا؛ ولكن باعتبارها الجزء المفتقد من الإنسان الأرضي[1].

فحب المرأة محطة هامة نحو الحب الإلهي ويلج ابن عربي (ت 638هـ/1241م) على فكرة أن " الحب الإنساني" هو الخبرة التي لابد أن يتأسس عليها الحب الإلهي مرتكزا في ذلك على مرويات تنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم مثل: ﴿ حبب إليكم من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة﴾[2].

ولم يفرق ابن عربي (ت 638هـ/1241م) بين الذكر والأنثى، لأن كليهما يمثلان المخلوق الإنساني الذي طلب منه الفناء والفصل بينهم أمر عارض، فهن شقائق للرجال كما شرح ذلك ابن عربي (ت 638هـ/1241م) في الأبيات التالية:

إن النساء شقائق الذكران في عالم الأرواح والأبدان

والحكم متحد الوجود عليهما وهو المعبر عنه بالإنسان

وتفرقا عنه بأمر عارض فصل الإناث به من الذكران

من رتبة الإجماع بحكم فيهما بحقيقة التوحيد في الأعيان

[1] – سليمان القرشي: الحضور الأنثوي في التجربة الصوفية بين الجمالي والقدسي، **مجلة فكر ونقد**، العدد 40، 2001م، ص08.

[2] – فؤاد أعراب: تجليات المرأة والأنوثة في الخطاب الصوفي –نموذج بن عربي، **مجلة فكر ونقد**، العدد81، 2006م، ص03.

وإذا نظرت إلى السماء وأرضها فرقـت بـيـنـهمـا بلا فرقان[1]

فأكد ابن عربي (ت 638هـ/1241م) التساوي بين الرجل والمرأة إلى بلوغ الكمالات من مراتب الإحسان والولاية، ولم يكتف ابن عربي (ت 638هـ/1241م) بتحفيز المرأة بخوض تجربة العرفان، بل إنه قدم اجتهادات خالفت الكثير من المألوف من التشريعات من بينها جواز قيام المرأة بإمامة الصلاة بالرجال: "...فصحت إمامة المرأة في الأصل...فمن ادعى منع ذلك من غير دليل فلا يسمح له، ولا نص في ذلك وحجته في منع ذلك، يدخل معه فيها، ويشرك فتسقط الحجة، فيبقى الأصل بإجازة إمامتها"[2].

استعمل ابن عربي (ت 638هـ/1241م) قضية المرأة لا لنصرتها بل لنصرة قضيته المتمثلة في الدفاع عن مقولته بأن: " حب النساء والتشبب بهن هو صميم الحب الإلهي، وعلامة الوصول إليه؛ ويعتبر ديوانه الذي تغزل فيه بالنظام بنت مكين الدين أبي شجاع زاهر بن رستم –وتعرف هذه المرأة بعين الشمس؛ وهي من العابدات العالمات السابحات الزاهدات– نموذجا على ذلك[3].

[1] – نزهة براضة: الأنوثة في فكر بن عربي، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2008م، ص147.

[2] – نادية درقام: المرأة في رحاب التصوف: التصوف النسوي المغاربي نموذجا، المرأة في الغرب الإسلامي الصفحات المشرقة والتحديات المحدقة والأسئلة العالقة، تنسيق عبد الباسط المستعين، مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2016م، ص156.

[3] – ابن عربي: كتاب ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق، (د.ط)، المطبعة الأنسية، بيروت، لبنان، 1313هـ، ص03.

خامسا: تطور ظاهرة الزهد عند النساء.

يعرف الزهد لغة: زَهِدَ فيه وعنه. زَهْدًا، زهادة: أعرض عنه وتركه لاحتقاره، أو لتخرجه منه، أو لقلته، ويقال: زهد في الدنيا: ترك حلالا مخافة حسابه، وترك حراما مخافة عقابه.

ونقول تزهد: صار زاهدا وتعبد. الزاهد: العابد[1].

ويعرفه الجوهري بقوله: الزهد خلاف الرغبة، ونقول: زهد في الشيء وعن الشيء، يزهد، زهدا، وزهادة يزهد لغة فيه.

وفلان يتزهد أي يتعبد، والتزهيد في الشيء وعن الشيء خلاف الترغيب فيه.

والمزهد القليل المال، وفي الحديث:﴿ أفضل الناس مؤمن مزهدًا﴾[2].

لكن الزهد في حقيقته لا يعني الانقطاع للعبادة وترك الحياة الدنيا، فالزاهد صاحب "نظرة خاصة للحياة" فهو يعيش في الحياة الدنيا تماما كغيره، إلا أن نظرته للأمور الدنيوية تختلف عن غيره فهي من منطلق حاله مع الله وزهده في الدنيا. فيجوز للزاهد أن يعمل ويكد ويكسب إلا أنه لا يكون كغيره مشغولا بالمال من أجل الله، وليس من أجل المال[3].

ومعلوم أن العبادة والزهد قد غلبت على أفراد المجتمع الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين، وكان انتقال الزهد إلى بلاد المغرب أواخر القرن لأول الهجري وبداية القرن الثاني للهجري ؛ فكانت حياة الزهد والتبتل والعبادات والرياضيات الدينية منشرة بين الطوائف[4].

---

[1] – مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م، ص403.

[2] – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة العربية وصحاح العربية، مراجعة محمد محمد تامر وآخرون، (د.ط)، دار الحديث، مصر، 2009م، ص502.

[3] – منال عبد المنعم جاد الله: التصوف في مصر والمغرب، (د.ط)، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1997م، ص146.

[4] – عصمت عبد اللطيف دندش: أضواء على عصر المرابطين، ط1، دار الغرب ٱلإسلامي، بيروت، لبنان، 1991م، ص40.

ومن زهاد بلاد المغرب[1] علي بن زياد (ت 183هـ/799م)[2] والبهلول بن راشد(ت 182هـ/799م)[3] وعبد الله بن غانم(ت 190هـ/806م)[4] وعمر بن يزيد بن مسروق التجيبي الزاهد العابد وأبو عبد الله محمد بن أحمد السوسي[5] والقاسم بن إدريس بوسلهامة المصري الأصل (ت 345هـ/ 956م)، وأبو جعفر أحمد بن خلوف المسيلي المعروف بالخياط (ت 393هـ/1003م)[6]وأبو عمران الفاسي[7]. نزيل القيروان (ت 430هـ/ 1039م)[8].

ساهمت الرحلات من المغرب إلى المشرق لدواعي مختلفة ومتنوعة؛ كطلب العلم وأداء مناسك الحج أو للعمل التجاري في التواصل الصوفي بالمشرق والاتصال بأعلام التصوف

[1] – عبد القادر صحراوي: الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520–1830، (د.ط)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2016م، ص36.

[2] – أبو الحسن علي بن زياد العبسي التونسي، كان بارع في الفقه سمع من مالك والثوري والليث وبن لهيعة، وسمع منه البهلول وشجرة بن مسكين وسحنون بن سعيد وأسد بن الفرات. للمزيد ينظر: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي: مصدر سابق، ج1، ص234.

[3] – ولد سنة 128هـ، كان ثقة مجتهدا، سمع من الإمام مالك وسفيان الثوري والليث بن سعد وعبد الرحمان بن زياد...وغيرهم، سمع منه سحنون بن سعيد ويحي بن سلام. للمزيد ينظر: القاضي عياض: مصدر سابق، ج3، ص، ص87، 88، 101.

[4] – هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم الرعيني القيرواني، يعد أحد فقهاء المذهب المالكي بإفريقية، وطليعة العلم المالكي بها، وناشر مذهب مالك هناك، وكان فقيها عالما مشهورا، من بين شيوخه عبد الرحمن بن زياد، وإسرائيل بن يونس، وداود بن قيس الفراء، ومالك بن أنس وسفيان الثوري. للمزيد ينظر: القاضي عياض، مصدر سابق، ج3، ص67.

[5] – محمد بركات البيلي: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس هجري، (د.ط)، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1993م، ص76.

[6] – عالم من أهل المسيلة، كان فقيه عالماً بالمسائل، حافظا على مذهب مالك، حسن التكلم في الفقه. ورعاً زاهداً فاضلاً، سَكَنَ الثغر أعواماً كثيرة مُجاهداً، قدم إلى قرطبة فتوفي بها. للمزيد ينظر: القاضي عياض : مصدر سابق، ج8، ص 110.

[7] – هو احد أعلام المذهب المالكي في المغرب في المائة الرابعة من الهجرة وأول الخامسة، نشأ بفاس وأخذ مبادئ العلم من جامع القرويين، ثم رحل الى القيروان فدرس الفقه على أبي الحسن القابسي، رحل الى الأندلس ثم إلى مكة المكرمة فالتقى بأبي ذر الهروي، ثم دخل العراق وقرأ القراءات ثم رجع إلى القيروان. للمزيد ينظر: عبد الهادي حميتو: "حياة أبي عمران الفاسي ومناقبه"، **أبو عمران الفاسي ت430هـ حافظ المذهب المالكي**، ط1، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، المغرب، 2009م، ص 19.

[8] – جمال علال البختي: الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2005م، ص– ص 47– 48.

عن طريق التتلمذ عليهم أو الإطلاع على مذاهبهم واتجاهاتهم في هذا المجال[1] والاستفادة من التآليف مثل: "قوت القلوب" لأبي طالب المكي (ت 386هـ/ 996م)، و"الرعاية" للمحاسبي (ت 243هـ/857م)، و"إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي (ت 505هـ/1111م)[2].

كما شكلت هجرة رجال التصوف الأندلسيون إلى بلاد المغرب إما عائدين من المشرق أو قادمين من الأندلس عاملا رئيسيا في انتشار التصوف وفي مقدمتهم أبي مدين شعيب (ت 594هـ/ 1198م) الذي نزل ببجاية سنة(559هـ/1164م) واستقر بها بعد رحلة مشرقية حاملا معه كتاب إحياء علوم الدين والرسالة القشيرية، بالإضافة إلى الشيخ ابن عربي (ت 638هـ/ 1241م)، وابن سبعين (ت 590هـ/ 1192م)[3]، ابن العريف (ت 610هـ/ 1213م) الذين ساهموا في بلورة اتجاهات التصوف وأفكاره في بلاد المغرب.

فمثّل الزهد إلى حدود القرن الخامس الهجري[4] تجربة فردية تمثلت في المواظبة على القيام والصيام، فيصبح عابدا ثم بعد ذلك رحلة الجهاد النفسي والجسمي بالمداومة على العبادات المفروضة والمندوبة، والتي تمكنه من التقرب إلى الله[5].

---

[1] – محمد الأمين شرويك: " انتقال التصوف إلى بلاد المغرب"، **مجلة أفاق فكرية**، العدد السادس، جامعة جيلالي اليابس، النعامة، 2017م، ص 93.

[2] – أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي: مصدر سابق ج1، ص29.

[3] – عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين العكي الغافقي من أعمال مرسية بالأندلس ولد عام 614هـ/1217م أواخر عصر الموحدين، في سنة 640هـ غادر الأندلس وتوجه إلى بلاد المغرب واستقر بسبتة فعكف على التصوف دراسة وتدريسا. للمزيد ينظر: محمد ياسر شرف: فلسفة الوحدة المطلقة عند بن سبعين، (د.ط)، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، 1981م، ص، ص 14، 16.

[4] – محمد الكحلاوي: الفكر الصوفي في افريقية والغرب الإسلامي(القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان،(د.س.ن)، ص– ص 68– 69.

[5] – أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، (د.ط)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1979م،ص67.

وبالنسبة للمرأة فدعا الإسلام المرأة إلى الزهد والصلاح وتبين ذلك في مصادر عديدة والمتمثلة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، ومن بين الصفات التي تتسم بها المرأة المسلمة الأخلاق الفاضلة وقوة الإيمان والصدق والصبر والتصدق والعفاف وذكر الله[1].

فتأثر النساء المغربيات في زهدهن بزوجات النبي صلى الله عليه وسلم؛ الطاهرات العفيفات اللاتي عرفن بالصلاح والتقوى والصبر على الشدائد وكثرة الصدقات والعطف على الفقراء والمساكين؛ فمثلا أم حبيبة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم عرفت بالزهد والصدق وقوة الإيمان، وأم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما الصوامة القوامة التقية النقية[2]، وغيرها من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي اقتدين بهن.

واستمرت كوكبة الصالحات على امتداد حقب زمنية مختلفة، لكن انطلاقة التصوف النسوي كانت مع العارفة رابعة العدوية(ت 185هـ/801م) التي تعتبر الشخصية المؤسسة للتصوف وصلاح النساء، لكن هناك من يرى أن التصوف جاء نتيجة ردة فعل الأوضاع السياسية والاجتماعية التي عرفتها الأمة الإسلامية، وتوجه المرأة بالذات إلى التصوف نتيجة لتهميشها أكثر من الرجل في هذه الأوضاع .

ومن بين زاهدات بلاد المغرب نذكر: خديجة بنت الفقيه سحنون بن سعيد التنوخي التي عاشت في القرن الثالث الهجري كانت من أحسن النساء وأعقلهن[3]، وأم البنين فاطمة الفهرية التي بَنَت مسجد القرويين بفاس عام (245هـ/860م) ...وغيرهن من النساء اللاتي عرفن بالزهد في الدنيا.

[1] – ياسمين عبد الله ذيب حمادة: مظاهر الصلاح عند النساء المسلمات في الأندلس (137–400هـ/755–1009م)، رسالة ماجستير، إشراف خالد يونس الخالدي، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2018م، ص13.

[2] – صلاح الدين محمود السعيد: زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، ج1، (د.ط)، دار البيان العربي، مصر، 2006م، ص257.

[3] – القاضي عياض: مصدر سابق، ص 346.

ومن بين متصوفات بلاد المغرب: المرأة الصالحة مؤمنة التلمسانية (عاشت خلال القرن 9هـ/15م)[1]، وزوجة الصالح عبد الواحد الصنهاجي الصالحة فاطمة، والصالحة عزيزة السكسوية(عاشت في القرن 9هـ/15م)[2]، والمتصوفة عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م)[3]. كما كان للمتصوفات الأندلسيات حضورا ملحوظا في المغرب مثل: فاطمة الأندلسية (ت خلال القرن 7هـ/13م)التي سكنت في قصر كتامة[4] ، وورقاء بنت ينتان (ت 540هـ/1145م) الحاجة من أهل طليطلة سكنت في مدينة فاس وكانت أدبية شاعرة صالحة حافظة لكتاب الله[5]، وفاطمة بنت عتيق بن قنترال من مالقة سكنت مراكش وهي حافظة لكتاب الله تعالى، كثيرة التلاوة له، ومواظبة على أفعال الخير وأعمال البر توفيت بمراكش سنة(650هـ/ 1252م)[6].

[1] – وهي من صالحات فاس، أصلها من تلمسان عاشت في زمن ابن قنفذ الذي توفي سنة 810هـ/1408م، يقول ابن قنفذ كانت على زهد وتقشف وعبادة وورع، وكان القوم يزورونها ويتبركون بها، توفيت بالعباد في تلمسان. للمزيد ينظر: ابن قنفذ: مصدر سابق، ص80.

[2] – المصدر نفسه، ص86.

[3] – هي السيدة عائشة المنوبية أو "لاله المنوبية" وهي ولية صالحة وأحد رموز التصوف النسوي بافريقية منذ العهد الحفصي، ولدت سنة 589هـ/1193م، بقرية منوبة ونشأت بوسط عائلي ديني محافظ، إذ المرجح أن والدها قد كان إماما أو مؤدبا يعلم القرآن لأبناء القرية، فحرص على تعليم ابنته القراءة والكتابة، فتعلمت العربية وحفظت القرآن، وواظبت على حلقات الذكر بمقام الشيخ أبي الحسن الشاذلي، ونهلت مبادئ مدرسته الصوفية، توفيت سنة(665هـ/ 1267م). للمزيد ينظر: توفيق بن عامر: منزلة السيدة عائشة المنوبية في الطريقة الشاذلية، المرأة في الغرب الإسلامي الصفحات المشرقة والتحديات المحدقة والأسئلة العالقة، تنسيق عبد الباسط المستعين، مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2016م، ص– ص 133– 134.

[4] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص 332.

[5] – أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي: كتاب صلة الصلة، تح شريف أبو العلاء العدوي، مج3، ط1، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، مصر، 2008م، ص– ص 356– 357.

[6] – العباس بن إبراهيم السملالي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تح عبد الوهاب بن منصور، ج10، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1983م، ص16.

ولقد طغى الطابع الفردي على التجربة الصوفية، فهي تجربة وجدانية فردية، فتبدو التجارب الصوفية وكأنها جزر منعزلة ليس بينها رابط بسبب أنها تجربة الإنسان المتفرد[1]، وكثيرا ما نجد تشابه بين طروحات صوفية إلا أن خصوصية كل عارف تبرز من خلال التجربة التي عايشها حيث تجعل بصمة كل عارف تختلف عن الأخرى لأن جميعهم متفردون ومختلفون[2]. لكن مستند الصوفية واحد وهو الكشف والعيان لا النظر والبرهان، فإنهم لما توجهوا إلى جناب الحق سبحانه بالتعرية الكاملة، وتفريغ القلب بالكلية[3].

ويشتهر على المرأة طغيان الوجدان على العقل؛ فإذا كان الأمر متحققا وجوديا؛ فإنها أقرب إلى الممارسة الصوفية؛ لأن القلب مرتكز التجربة الصوفية التي تتحقق فيها المعرفة. والوجدان إذا هيمن عليه حب الله انعكس على صاحبه بالخير والصلاح، لذلك فالاهتمام بتنمية الوجدان يدفع الذات إلى الخروج من ضيق المطالب ومناشدة الحقوق إلى سعة الوجود؛ ومن ثمة الترقي معرفيا وسلوكيا[4].

[1] – ناجي حسين جودة: المعرفة الصوفية دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة، ط1، دار الهادي، بيروت، لبنان،2006م، ص153.

[2] – مجدي محمد إبراهيم: التجربة الصوفية بحث في تحقيق العلاقة بين اعتقاد الثنائية ورؤية الواحدية في تجربة "العارف" الروحانية، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2003م، ص18.

[3] – أبو البركات عبد الرحمان الجامي: الدرة الفاخرة في تحقيق مذاهب الصوفية والمتكلمين والحكماء المتقدمين، تح أحمد عبد الرحيم السايح وأحمد عبده عوض، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2002م، ص11.

[4] – نادية درقام: مرجع سابق، ص 161.

خـاتمــة جزئـيـــة:

- بدخول الإسلام لبلاد المغرب صار للمرأة المغربية حقا تطالب به وتدافع عنه، الأمر الذي ساعدها على بناء حضارة المغرب، ومن ذلك مشاركتها في التصوف.

- تأثر المرأة المغربية الزوجة أو الجارية أو البنت أو الأخت لأولئك الصالحين الذين أسسوا الحركة الزهدية في بلاد المغرب في القرن الثاني للهجري، فلهذا خلق رصيدا زهديا الذي نطور فيما بعد وأصبح يعرف بالتصوف.

- معاناة المرأة المغربية من الناحية الاجتماعية دفع بها إلى البحث عن البديل المقبول اجتماعيا وعرفيا، ويضمن لها في نفس الوقت الحرية والقدسية.

- كان للمساجد والرباطات والرابطة والزوايا ومجالس الوعظ والرقائق أثر بالغ في تصوف المرأة.

- المنبت الحسن كان خير دافع لتصوف المرأة سواء داخل الأسرة المتصوفة أو بيوتات الصلاح، أو القبيلة الصوفية.

- ساهمت نظرة الرجل المتصوف في تصوف المرأة، فكل متصوف ينظر لها من زاوية معينة، فالشيخ أبو يعزى يلنور كان يميل إلى المرأة ويحترمها ويعطف عليها؛ مما أدى بالمرأة إلى إليه أكثر بغرض الاستشفاء أو المباركة لها، والشيخ أبو مدين شعيب الذي كان يحبذ مصاحبة النساء الصالحات لمساعدته للارتقاء في درجات التصوف، أما الشيخ محي الدين بن عربي فينظر إلى المرأة بأنها تمثل الند بالند للرجل سواء في الإمامة للصلاة وأيضا في مراتب الإحسان والولاية؛ فهذا كله ساهم وساعد في إتباع النساء هذا المسلك الذي سار عليه الصوفية.

- التواصل مع المشرق الإسلامي عن طريق الحج، ودخول كتب التصوف كالرسالة القشيرية والرعاية للمحاسبي، وتوافد أعلام التصوف المشرقي والأندلسي إلى بلاد المغرب وإقامتهم لمجالس الوعظ والرقائق؛ وحتى أخبار صلحاء المشرق التي يروج لها في بلاد المغرب؛ ساهمت كلها في تصوف المرأة المغربية.

الفصل الثاني

التعريف بالمرأة المغربية المتصوفة

أولاً: المجال الصوفي النسوي في بلاد المغرب.

ثانياً: الحياة اليومية للمرأة الصوفية.

ثالثاً: المستوى العلمي للمرأة الصوفية.

رابعاً: المسلك الصوفي للمرأة المغربية.

سادساً: المرأة الصوفية ومسألة الكرامة.

سابعاً: متصوفات المغرب والحب الإلهي.

الفصل الثاني: التعريف بالمرأة المتصوفة في المغرب الإسلامي .

بعدما عرفت حركة التصوف طريقها إلى بلاد المغرب في حدود القرن الخامس هجري، وتطورت بشكل كبير، من خلال ظهور كبار المتصوفة[1] أمثال ابن حرزهم (ت 559هـ/ 1164م) وأبو مدين شعيب (ت 594هـ/1198م) وغيرهم، أخذت هذه الحركة بفضل هؤلاء المتصوفة وتلامذتهم في التغلغل في أوساط المجتمع المغربي، فغزت أغلب شرائحه[2].

ويظهر تأثر المرأة المغربية بهذه الحركة الجديدة، من خلال اعتلائها أعلى مراتب الصوفية، ومزاحمة الأولياء والصالحين في مكانتهم وقداستهم لدى العامة، حيث آثارت بعض النسوة اقتحام هذا الميدان الرجولي لتثبت عبره أن المرأة ليست أقل تقوى من الرجل، ولا أقل علما منه طبقا للمساواة التي أقرها الإسلام بينهما[3].

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [4]، يعني ذلك أن صفة الخير والصلاح، يشترك فيه الرجال والنساء.

بالإضافة إلى حث السنة النبوية الشريفة على ذلك، من خلال دعوة النبي صلى الله عليه وسلم الرجال و النساء إلى الصلاح والاستقامة، وخص النساء في كثير من المواضع، حيث جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت:" يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك

---

[1]- بلحاج محمد: مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب دراسة وتحقيق، ج1، مذكرة ماجستير، إشراف ابن معمر محمد، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران، 2008/2007م، ص29.

[2]– مختار حساني: مرجع سابق، ص96.

[3]– إبراهيم قادة: صورة المرأة في الشعر المغربي، مذكرة ماجستير في الأدب المغربي القديم، إشراف عبد الحميد بن صخرية، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، 2009/2008م، ص119.

[4]– صورة الأحزاب: الآية 35.

فأجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال اجتمعن في يوم كذا وكذا ومكان كذا وكذا، فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمهن مما علمه الله)[1].

وباعتبار أن مجال الوحي والإلهام، يستوي فيه النساء والرجال، بغض النظر عن مسألة التفرقة بين الرجل والمرأة في الدين الإسلامي، التي ترجع إلى أمور مادية كمسألة التفاوت في الإرث والشهادة فإن ضعف الذاكرة المعلل به نقص شهادتها ليس حيفا في سموها الديني،[2] فوجدت المرأة عناية كبيرة من الشريعة الإسلامية كفيلة بأن تصون عفتها وتجعلها في مراتب الأولياء والصالحين، وسنبين من خلال هذه الدراسة أن المرأة المغربية التزمت وتمسكت بما جاءت به الشريعة الإسلامية[3].

ومن خلال العوامل التي تمت مناقشتها في الفصل الأول، والتي كانت السبب الوجيه إلى حد ما في ظهور العديد من النساء المتصوفات، اللاتي طبعن الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد المغرب بطابع خاص، حيث تعد تجربتها الصوفية بمثابة ظاهرة نفسانية دينية مجتمعية، في تكونها وتطورها ومبادئها ومقاصدها، فساهمت إلى جانب غيرها في تشكيل المسار التاريخ الإسلامي المغاربي.

فبقدر ما كانت هذه التجربة ملاذا قدسيا وتعويضيا روحيا عن أزمات المرأة وتدهور أوضاعها، بقدر ما كانت تفجير لطاقات وجدانية[4] روحية فكرية سلوكية تتطلع من خلالها المرأة المغربية إلى تحقيق رغباتها في الكمال الوجودي و تجاوز شعورها بالنقص والتناهي[5].

---

[1] – البخاري: صحيح البخاري، ج101/9، رقم الحديث 731.

[2] – ماسيون ومصطف عبد الرزاق: التصوف، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984م، ص 106.

[3]– ياسمين حمادى: مرجع سابق، ص14.

[4]– أحمد بن قسي: خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين، تح محمد الأماني، ط1، مطبعة اب م ش، 1997م، ص22.

[5]– نفسه.

ورغم شح المصادر في هذا الموضوع إلا أن ما استطعنا الوصول إليه يوضح لنا مدى انتشار واتساع ظاهرة التصوف النسوي عبر كامل بلاد المغرب الإسلامي.

أولا: المجال الجغرافي للمرأة المغربية المتصوفة .

يمثل ضبط المجال الجغرافي، وتحديد طبيعة الوعاء الفكري والثقافي، اللذان نشطت ضمنهما الحركة الصوفية النسوية، في بلاد المغرب الإسلامي، أحد أهم المعطيات التي تعكس حجم انتشار التصوف النسوي في بلاد المغرب[1].

وفي سبيل التنقيب عن المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع في كتب المناقب التي باعتبارها المصادر المؤهلة أكثر لتقديم اكبر قدر ممكن من المعلومات، فإن بعض المؤشرات المتوفرة لدينا[2] توضح لنا انتشار وانتماء نساء متصوفات إلى بيئات جغرافية موزعة بين شمال البلاد وجنوبها، باديتها وحاضرتها[3].

1- متصوفات البوادي والأرياف:

إن تركز العباد في الحواضر المغربية الكبرى ليس مفاجئاً إذ ما استحضرنا المكانة الخاصة للمدن التي تعتبر عواصم العلم ومستقر لعدد كبير من أعلام التصوف. لكن حين بحثنا في كتب المناقب لوجدنا أن معظم المتصوفة لا يحبذون الاستقرار في المدينة إلى درجة أن البعض من المتصوفة شبه مقيم الحواضر كالذي دفعته الضرورة إلى أكل الميتة[4].

---

[1] – الطاهر بونابي: الحركة الصوفية في المغرب الأوسط مابين القرنين الثامن والتاسع هجريين، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009/2008م، ص100.

[2] – محمد رابطة الدين: "أبو العباس السبتي ومجال مراكش"، الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، دراسة تاريخية مهداة للأستاذ إبراهيم حركات، **الجمعية المغربية للبحث التاريخي**، تنسيق نفيسة الذهبي، ط1، منشورات كلية الآداب العلوم الإنسانية، الرباط، 1997م، ص 60.

[3] – رشيد قطان: "المرأة المغربية في أدب المناقب، التشوف إلى رجال التصوف أنموذجا"، **مجلة أمل**، مرجع سابق، ص 130.

[4]– أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي: مصدر سابق، ج1، ص171.

فالمدينة في نظرهم تمثل مركزا للانحراف والفتنة، ومركز السلطة الدنيوية، التي يمثلها القادة والسلاطين. فهناك أيضا من النساء المتصوفات من تعضد هده الصورة،[1]–نذكر منهن على سبيل المثال– الشابة أم محمد سلامة[2] (عاصرت معركة الأرك سنة595هـ/1199م)[3]، كذلك الصالحة مسعودة بنت أحمدبن عبد الله الوزكيني(ت628هـ/ 1231م) ، تعرف بعودة أم المنصور الذهبي والتي اشتهرت بتشييد النزلات بالبادية المغربية،[4] وفاطمة الصنهاجية من بني تامدد بآزمور،[5] والشابة الهسكورية(ت خلال ق9هـ/15م) من جبل درن[6].

دون أن ننسى السيدة عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م)[7] المشهورة بكراماتها الثمانين وقصائدها المدحية[8]، وهي من أتباع طريقة أبي حسن الشاذلي(ت 656هـ/1258م) الذي اكتسب من خلال مجالس الوعظ والإرشاد شهرة كبيرة حيث يقول: الشاذلي عن أتباع طريقته "أعطيت سجلاً مد البصر، فيه أصحابي وأصحاب أصحابي إلى يوم القيامة عتقاً لهم من النار"[9].

---

[1] – أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي: مصدر سابق، ج1، ص171.

[2]– أم محمد سلامة من قرية تايدافالت من بلدة دكالة وهي امرأة صالحة كبيرة في الشأن من قبيلة المصامدة وواحدة من بين الأولياء السبعة وعشرين الدين يخترقون الهواء حسب رواية ابن الزيات. للمزيد ينظر: ابن الزيات: مصدر سابق، ص388.

[3] – نفسه.

[4] – عبد العزيز بن عبد الله: معلمة التصوف، ج2، (د.ط)، دار المعارف، الرباط، المغرب، (د. س.ن)، ص 160.

[5] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص 86.

[6] – جبل درن: النطق الأصلي " دْرْنْ" بسكون الثلاثة، يطلق على ما يسمى اليوم الأطلس الكبير ثم اختص بأعلى جزء منه وهو الواقع بين تيزي نُ– ومَاشُو و تيزي نُ– تلوات. للمزيد ينظر: علي صدقي أزايكو: مرجع سابق، ص 59.

[7] – أبو راس محمد المعسكري الجزائري: نبأ الإيوان في ذكر صلحاء القيروان، (د.ط)، منشورات مركز الدراسات الإسلامية، تونس، 2012 م، ص112.

[8]– أدموند دوتي: مرجع سابق، ص109.

[9] – خالد بن الناصر بن مناجر العتيبي: الطريقة الشاذلية عرض ونقد، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 2011م، ص209.

كما شكلت الجبال محل استقطاب العديد من المتصوفات اللاتي فضلن الهروب من ضوضاء المدينة فأصبح الجبل نقطة جدب لهن ولمريديهن الذين كانوا يقصدونه للتعبد ولقاء الصالحين المنقطعين حيث عرف جبل نفوسة[1] بكثرة الصالحين والعلماء، حيث يذكر الوسياني في كتابه السير:" أن رجل من نفوسة[2] قال أدركت في الجبل اثنتي عشر مستجاب الدعاء"، منهم أم يحي، وهي امرأة صالحة تسكن جبل نفوسة"[3]، بالإضافة إلى المرأة الصالحة أم زعرور وأم زيد، وأم الربيع من جبل نفوسة[4]. ومن المغرب الأوسط المرأة الصالحة تدعى حضيبة من بني رياح،[5] نزلت وابنها سعادة في طولقة بالزاب[6].

وعلى الرغم من ابتعاد هؤلاء النسوة الصالحات عن المدينة والحضارة إلا أنهن بقين محل تقديس واحترام من طرف سكان الحواضر والمدن[7].

لأنهن يرون ضرورة الابتعاد والإعراض عن الدنيا وأهلها، بالفرار من الرئاسة ومن حولها بقدر ما يمكن[8].

---

[1] – جبل نفوسة: وهو الجبل الشهير الواقع جنوب مدينة طرابلس. للمزيد ينظر: عبد الوهاب بن منصور: مرجع سابق، ص 140.

[2] – قبيلة نفوسة: بنو نفوس بن زحيك بن مادغيس الابتر، وهي قبيلة من جنوب افريقية تقطن بالقرب من صبراطة وتسمى بالجبل الواقع بين قرية دمرو قرية غريان وتولت اكثر من مرة قيادة القبائل المناهضة لسلطة الخلافة خلال القرن الثاني للهجرة، كما كانت بمثابة العصبية القبلية للدولة الرستمية. للمزيد ينظر: محمد حسن: القبائل والارياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربع، تونس، 1986م، ص 134. للمزيد ينظر: عبد الوهاب منصور: مرجع سابق، ص300.

[3] – الوسياني: سير الوسياني، تح عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصابة، ج2، (د.ط)، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 2009م، ص547.

[4] – الشماخي: مصدر سابق، ج1، ص، ص 212، 219، 253.

[5] بني رياح: قبيلة من قبائل بني هلال ومن اعزها واكثرها جمعا عند دخولهم افريقية وينتسبون إلى رياح بن ربيعة بن عامر تولى رئاستهم مؤنس بن يحي. للمزيد ينظر قداري بن ديدة: تأثير الهجرات الهلالية على بلاد المغرب الأوسط (443-555هـ/1052-1160م)، مذكرة ماستر، إشراف سحولي البشير، قسم العلوم الانسانية، جامعة مولاي الطاهر سعيدة، 2015/2014م، ص20.

[6] – ابن خلدون: العبر، مصدر سابق، مج6، ص 46.

[7] – أبو عبد الله التميمي الفاسي: مصدر سابق، ج1، ص174.

[8] – أبو عباس أحمد زروق الفاسي: مقدمة التصوف وحقيقته، تح نزار حمادي، (د.ط)، دار الإمام بن عرفة، تونس، (د.س.ن)، ص27.

2- متصوفات المدن والحواضر:

رغم رأي بعض المتصوفة المعادي الاستقرار بالمدينة إلا أن النفوذ الديني لحركة التصوف لم يقتصر على بوادي الريف فحسب بل تعدى إلى المدينة حيث نجد أن الحواضر والمدن المغربية قامت بدور مهم في تنشيط الحركة الصوفية منذ بداية القرن السابع هجري استنادا لرواية الغوث أبو مدين شعيب (ت 594هـ/1198م) الذي يقول: "... ثم ذهبت إلى مراكش فدخلتها وأدخلني الأندلس معهم جملة الأجناد، فكانوا يأكلون عطائي ولا يعطونني منه إلا اليسير فقيل لي : إن أردت أن تتفرغ لدينك فعليك بمدينة فاس[1]"[2].

ومن خلال كتب المناقب والتراجم يتضح أن العديد من المدن المغربية اشتهرت بكثرة صلحائها وصالحاتها، حيث أورد ابن الزيات(ت617هـ/1220م) في كتابه التشوف، العديد من الصالحات اللاتي فضلن الاستقرار في المدينة، على مواطنهن الأصلية.

وعلى سبيل المثال، من المغرب الأقصى: ولية الله عائشة الإدريسية(969هـ/ 1562م) [3]، من الصالحات المجابة الدعوة، التي كان الشيخ سيدي أبو محمد الغزولي يسأل عنها الفقراء والواردين عليه بمراكش، ويأمرهم بزيارتها[4]، ومن مدينة مراكش أيضا، العجوز الصالحة التي تقطن بحومة باب أغمات[5].

---

[1]- فاس: وهي مدينة مغربية من مدن المغرب الأقصى بناها إدريس الأول 190هـ، يقطنها قبيلتان من زناتة وهما زواغة وبني يرغش كانوا على اليهودية ومنهم على النصرانية، ويرجع سبب تسميتها إلى الأسطورة القائلة بأنه عندما شرعوا في بنائها وجدوا فاساً فسموها بهذا الاسم، للمزيد ينظر: عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات: مرجع سابق، ص 30.

[2]- أبو عبد الله التميمي الفاسي: مصدر سابق، ج1، ص60.

[3] - عائشة بنت أحمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن عبد الله بن صالح بن علي بن عيسى بن ببان بن مشتار بن مزوارة بن حيدرة بن غياث ين سلام بن مخمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن ين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، للمزيد ينظر: محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني: دوحة الناشر لما كان بالمغرب من القرن العاشر هجري، تح محمد حجي، ط2، مطبوعات دار المغرب، الرباط، المغرب، 1977م، ص 23.

[4] - نفسه، ص 120.

[5] - ابن الزيات: مصدر سابق، ص 386.

ومن المغرب الأوسط: رقية بنت عبد القوي بن محمد البجائي (ت874هـ/1470م)[1]، والصالحة أمية بنت يغمروسن (633-681هـ/1235-1282م)، من مدينة تلمسان[2]، وكذلك حفصة ابنة الفقيه أبي عمران موسى بن حماد الصنهاجي[3] ولدت(519هـ/ 1125م) التي عرفت بصلاحها وزهدها كانت حافظة للقران الكريم وكثيرة الذكر للأحاديث والأدعية[4].

ومنهم من انتقلت إلى العيش في المدينة، نذكر منهم على سبيل المثال: الصالحة بنت ميمون الدكالي التي أصلها من مكناس لكنها انتقلت إلى مراكش التي توفيت بها سنة(595هـ/1199م)، ودفنت قرب باب الدباغين، كذلك السيدة عائشة المنوبية(ت665هـ/ 1267م)، التي انتقلت من قرية منوبة إلى العيش في تونس، حيث قطنت بمكان اسمه رحبة الغنم وراء القصبة خارج ربض رياض السعود، بقصد الانقطاع للعبادة[5]ومن مدينة تلمسان [6]المرأة الصالحة مؤمنة التلمسانية(ت خلال القرن 9هـ/15م) حيث يقول صاحب أنس الفقير: "رأيت منهم بفاس المرأة الصالحة مؤمنة التلمسانية(ت خلال القرن 9هـ/15م) وتبركت بها ومازالت على ما تقرر عندي تخصني بالدعاء..."، والصالحة عزيزة السكسوية (ت خلال القرن 9هـ/15م)[7].

---

[1] – وهي امرأة صالحة من منطقة بجاية من فضيلات النساء برعت في علم الحديث نشأت في مكة، للمزيد ينظر عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من الصدر الإسلام حتى العصر الحاضر، الطبعة الثانية، مؤسسة نويهض، بيروت، لبنان، 1980م، ص270.

[2] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص 112.

[3]– أبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي: مفتي فاس، توفي عن ثمانين سنة بقلعة بني حماد بجنوبي سهول بجاية في محرم سنة 513 للهجرة. للمزيد ينظر: محمد بن محمد بن عمر قاسم مخلوف: مصدر سابق، ص185.

[4] – محمد شريف سيدي موسى: الحياة الاجتماعية والاقتصادية، من الاحتلال البيزنطي إلى عصر الموحدين، (6-10هـ /12-16م)، إشراف عبد الحميد حاجيات، كلية العلوم الإنسانية ،قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2010/2009م، ص 91.

[5] – حسن حسني عبد الوهاب : مرجع سابق، ص 77.

[6] – تلمسان: يقول ابن خلدون: إن تلمسان في زناتة مركب من كلمتين: تلم سان، ومعناها تجمع الاثنين البحر والبر، وهي قاعدة في المغرب الأوسط، اختطها بنو يفرن. للمزيد ينظر: عبد الرحمن بن خلدون : مصدر سابق، ج7، ص102.

[7] – ابن قنفذ : مصدر سابق، ص، ص80، 86.

كما ترجم ابن الزيات(617هـ/1220م) لبعض الصالحات المجهولات اللاتي سكن المدينة حيث يقول: "رأيت قبلي مدينة أغمات وريكة[1] قبرا يتبرك به الناس ويدعون عنده و يذكر أنه قبر أخت عبد العزيز التونسي التي انقطعت إلى عبادة الله إلى أن ماتت وكان أخوها يأمر الناس بزيارتها"[2]، كذلك العجوز الصالحة من مدينة القيروان[3].

ولم يكن التصوف في بلاد المغرب مرتبط بوضع اجتماعي معين، فهو يضم الحرة والجارية على السواء، مثل الحرة الصالحة عزيزة السكسوية(ت خلال القرن 9هـ/15م)[4] والحرة الصالحة فاطمة من بني تامدد بصنهاجة أزمور[5] والجارية التي زهدت مع سيدها أبو عبد الله محمد بن مسروق[6]، وجارية أبي الصبر أيوب الفهري (ت 609هـ/1213م)[7]، وأم زعرور خادمة الولية الصالحة أم يحي من أهل أمسين بجبل نفوسة[8].

فمن خلال تتبعنا لظاهرة انتشار التصوف في البوادي والحواضر واتباع النساء لهذا الطريق فوجدنا ان انتشار التصوف واعتناقه من طرف النساء في البوادي أكثر من الحواضر والمدن[9]، فمن المحتمل أن العامل الطبيعي يؤثر في نفوس العوام، وكذلك الابتعاد عن ضوضاء المدينة الذي يعتبر من العوامل التي تساعد على التصوف في الخلوة والتعبد والانقطاع عن الدنيا وملذاتها.

---

[1] – مدينة اغمات وريكة: مدينتان يكثر فيهما النباتات والأعشاب بها نهر كبير يشق المدينة يبدأ من جنوبها ويصب في شمالها. للمزيد ينظر: الإدريسي: نزهة المشتاق، مصدر سابق، ج1، ص– ص231 –232.

[2] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص 318.

[3] – الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص141.

[4] – ابن قنفذ : المصدر السابق، ص 86.

[5] – نفسه.

[6] – أبو عبد الله بن مسروق: كان رجلا زاهدا وصالحا في الدنيا. للمزيد ينظر: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي: مصدر سابق، ج1، ص193.

[7] –ابن الزيات: مصدر سابق، ص416.

[8] – الشماخي: مصدر سابق، ج1، ص212.

[9] – للمزيد ينظر: الملحق رقم 02، ص162.

ومع القرن 10هـ/16م انحرف التصوف نوعا ما عما كان يمارس في القرون الست الأولى للهجرة، فيسمي الباحث المغربي عبد الله نجمي هذا التصوف بالتصوف البدعة، ويسميه الباحث عادل النفاتي بالتدين الشعبي[1] أو القاعدي.

ويعود جذور بدايات هذا التصوف أو ما يعرف أكثر بالتدين الشعبي في بلاد المغرب إلى القرن 7هـ/13م في التسرب ثم الانتشار، وهذه الطائفة ذكرتها المصادر تحت اسم الملامتية[2] التي مثلت مع القلندرية[3] منعرجا جديد داخل المسار الصوفي، ومثَّل هذا التيار في بداياته ببلاد المغرب السيدة عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م) والشيخ الصفراوي وأحمد بن عروس (ت 868هـ/1436م) بافريقية وأبو يعزى (ت 572هـ/1267م) وأبو العباس السبتي (ت 601هـ/1204م) بالمغرب الأقصى. وهناك تفسيرات عدة للمؤرخين على

[1] – هو وعاء يمتزج فيه أداء الشعائر الدينية المألوفة عند المسلمين مع طقوس أخرى تبدو دخيلة مثل الإنشاد والرقص أو الشطح الذي يصحبه في العادة الصراخ وتمزيق الثياب والغناء واستعمال بعض الآلات الموسيقية للتطريب، مثل الرباب والشبابة والدف هذا إلى جانب لبس المرقع من الثياب، أما من حيث المعتقد فلقد بلغ الأمر ببعض ممن ينتسب إلى "الصلاح" إلى إسقاط التكاليف الشرعية من صلاة وصيام وإباحة والاختلاط والاعتقاد في الأولياء الذين يرتقون حسب زعمهم إلى مرتبة"الأنبياء". للمزيد ينظر: عادل النفاتي: المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب في الهوية والتدين والثقافة حفريات في أدب الرحلة– القرن 16، (د.ط)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2015م، ص 134.

[2] – طائفة صوفية يرجح أنها ظهرت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بنيسابور، هم الذين لم يظهر على ظواهرهم مما في بطونهم أثر البتة، وهم يجتهدون في تحقيق كمال الإخلاص فيضعون الأمور مواضعها حسب ما هي في الغيب فلا تخالف إرادتهم وعلمه إرادة وعلم الحق تعالى، فلا ينفعون الأسباب ولا يثبتونها إلا في محل اقتضى نفيها أو ثبوتها والملامة لذلك لا يظهر خيرا ولا يظهر سرا وإنما هو مخلص مقيم في أوطان إخلاصه غير متطلع إلى حقيقة خلاصه، وهذا الفرق بين الملامتي والصوفي. للمزيد ينظر: عبد المنعم الحنفي: معجم مصطلحات الصوفية، ط2، دار المسرة، بيروت، لبنان، 1987م، ص249.

[3] – اسم اشتهر على طائفة من الصوفية، شيخهم الأول حمدون القصار (ت 271هـ/884م)، وسموا بالملامتية لأن طريقتهم تقوم على ملامة النفس في كل الأحوال، ويقول الشيخ أبو حفص النيسابوري هم قوم قاموا مع الله تعالى على حفظ أوقاتهم ومراعاة أسرارهم فلاموا أنفسهم على جميع ما أظهروا من أنواع القرب والعبادات وأظهروا للخلق قبائح ما هم فيه، وكتموا عنهم محاسنهم، فلامهم الخلق على ظواهرهم ولاموا أنفسهم على ما يعرفونه من بواطنهم، فأكرمهم الله بكشف الأسرار والإطلاع على أنواع الغيوب، وتصحيح الفراسة في الخلق وإظهار الكرامات عليهم، فأخفوا ما كان من الله تعالى إليهم بإظهار ما كان من الله تعالى إليهم بإظهار ما كان منهم في بدء الأمر من ملامة النفس ومخالفتها والإظهار للخلق عنهم ويسلم لهم حالهم مع الله. للمزيد ينظر: أبو العلاء عفيفي: الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، ط1، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، 2015م، ص24.

انتشار هذا التصوف بمجال المغرب، والوقوف عند دواعي امتداد هذا النسق الفكري والطقوسي، وسنتوقف عند قراءتين مختلفتين، عالجت كل منهما المسألة من منظورها الخاص.

أ- انتشار التصوف في مجال المغرب: انعكاس لوضع متأزم.

تطرق الباحث محمد حسن في كتابه "المدينة والبادية بافريقية في العهد الحفصي" لانتشار التصوف في المجال المغاربي، لكن لم يشر صراحة إلى عوامل هذا التسرب، إلا أنه قدّم جملة من الاستنتاجات المتصلة بأسباب الانتشار الصوفي، ومن هذه الاستنتاجات نذكر: "لكن الزوايا ما انفكت تتعدد طيلة الحقبة المتميزة بالانغلاق واستمرار الأزمة الاجتماعية والثقافية"، وذكر أيضا: "والحقيقة أن الأزمة الهيكلية التي مر بها المجتمع المغربي والأندلسي وقتذاك ساعدت على انتشار الصوفية والطرقية بمختلف أصنافها، بين سائر فئات المجتمع"[1]، وأضاف أنه"من نافلة القول أن الفكر الذي عشش في الأزمة قد عاصر تراجع الاجتهاد وضمور دور العقل، حتى عجز العلماء، على القضاء عليه، رغم محاربتهم له ".

وفسر الباحث حالة انتشار التصوف في المجال الإفريقي؛ كأنه حالة استتباع للانهيار الاقتصادي والتفكك الاجتماعي والضمور الثقافي، كما أن انتشار ظواهر خرافية واختلاط الوهمي بالديني في معتقدات سكان المنطقة، مما ساعد على انتشار التمثلات الخرافية وتحييد الناس عن مشاكلهم المعيشية.

إلا أن هذا الاستنتاج لا يحيل في اعتقادي إلا على جزء من الحقيقة[2]؛ مما يفتح المجال لطرح عديد التساؤلات من بينها: ألا يمكن اعتبار هذا التدين الشعبي بخوارقه ومعتقداته نوعا من تعقل المغاربة للدين ووظائفه؟ أليس التدين الشعبي أحد السبل التي وفرت " الخلاص الجماعي " ومثلت أداة للإفلات من الوضع المأزوم؟ ألم ينجح مشروع الفقهاء

[1] – محمد حسن: مرجع سابق، ج2، ص 743.

[2] – المرجع نفسه، ص745.

الذين عملوا على الحفظ على "نقاوة الدين" للجماعة في توفير إيجاد حلول لذلك الواقع الرديء؟ ألم يوفر هذا التدين الراحة والسكينة لمجموعات بشرية كبيرة أنهكتها الضرائب وجور الحكام والأخطار الخارجية إضافة للأوبئة والكوارث الطبيعية التي تأتي على الأخضر واليابس؟

فالتدين في أذهان العامة هو ذاك المفهوم الذي اختزله الفيلسوف الألماني هيجل لتعريفه للدين حيث يذكر: "أنه لا يجب أن يقتصر الدين على العقائد الجامدة ولا يجوز تعلمه من الكتب، ولا يجب أن يكون لاهوتيا بل يتعين أن يكون قوة حية تزدهر في الحياة الواقعية للشعب، أي عاداته وتقاليده وأعماله واحتفالاته، يجب أن لا يكون الدين آخرويا بل دنيويا إنسانيا وعليه أن يمجد الفرح والحياة الأرضية لا الألم والعذاب وجحيم الحياة الأخرى[1].

ب- انتشار التصوف في بلاد المغرب: "ثأر" للفئات المهمشة.

تطرق الباحث عادل النفاتي إلى دواعي انتشار التدين الشعبي، فركز في أول الأمر على كلمة "الفقراء" التي تحمل مدلولات الفقر الروحي في المعجم الصوفي، ولا تخلو من دلالات الفقر المادي حسب الكاتب. فالفقر والتشرد والجوع والفاقة كلها مصطلحات ترددت في مصادر العصر الوسيط، فكان الفقر المادي السمة البارزة لمريدي الزوايا، فذكر ابن ناجي أن القديدي ومريديه بزاويته بالقيروان كانوا يعانون الفاقة إلى درجة أنهم يبيتون طاوي البطون[2].

فالزاوية بوصفها الإطار المادي الذي يرعى التدين الشعبي، كانت تؤمن ارفاد الزائرين وعابري السبيل وبالتالي تأمين وتوفير حاجيات الناس والغذائية منها. لذلك انتشرت في الحواضر والبوادي فكانت تمثل ملجأ الفقراء والجياع.

[1] – فيور باخ: أصل الدين، تر أحمد عبد الحليم عطية، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005م، ص12.

[2] – عادل النفاتي: مرجع سابق، ص 144.

التدين الشعبي كان ملجأ لفئات أخرى مهمشة مثل: العبيد و البربر والمرأة لتلبية حاجياتها الروحية والاجتماعية، فالزاوية هي أيضا ملجأ للمستجيرين من جور الحكام وأعوانهم، فلهذا الزوايا استقطب الفئات المظلومة والمهمشة في المجتمع.

كما تختلف الولية في آخر العصر الوسيط عن أوله، إذ ظهرت وليات وأكثرهن بمدينة فاس ويعرفن باسم المجذوبات أو المجنونات أو الهائمات أو الغائبات، ومن بينهن السيدة صفية لباد فكانت هذه السيدة تتكلم بكلام أكثره سفه، وتتكلم بمعاني منها ما يفهم ومنها مالا يفهم، والولية فاطمة بنت خاوة فكانت هذه السيدة تجعل على رأسها خرقا كثيرة، ومن كراماتها أنها كانت تحضر عندهم بمصر كل يوم، فكان الناس يزورونها، وكذلك السيدة آمنة الساكمة كانت غائبة غيبة جذب، تكون بحائك أو بدونه غالبا، كما كانت كثيرة السكوت[1].

[1] – بوبريك رحال: مرجع سابق، ص– ص140– 141.

ثانيا: الحياة اليومية للمرأة المغربية المتصوفة:

إن الدنيا مستطابة في ذوقها و منظرها، كالتمر المستحلى، ابتلى بها الله عباده لينظر من هو أحسن عملاً،[1] حيث يرى الإمام أبو حامد الغزالي(ت 505هـ/1111م)[2] أن أول ما ينبغي على السالك أن يفعله ليشق طريق التصوف أن يرفع الحواجز التي بينه وبين الحق جلا شأنه والمتمثلة في أربعة أشياء المال والجاه، والتقليد ثم المعصية، أي يجب أن يتقشف ويزهد الدنيا، ويبتعد عن الجاه لأنه يولد في النفس الكبر، وان تقليد للآباء يحول بينه وبين الحق، وأخيرا أن يتوب ويخرج من المظالم.[3]

فكان لفئة المتصوفة خصائص ميزتها عن باقي الفئات الآخرة من المجتمع، من حيث تقشفها في الزاد واللباس والمسكن وزهدها في الحياة الدنيا، ورغم وضعيتهم البسيطة لم يتخلوا عن نشاطهم الديني والتعليمي والحرفي الذي كان مصدر رزقهم.[4]

1- لباس المرأة المتصوفة:

فإذا كان الانقطاع والاعتكاف على عبادة الله من أجل الانتقال إلى العالم الثاني، فإن اللباس هو الآخر كان يعبر عن التواضع والزهد في الدنيا فكان النبي صلى الله عليه وسلم

---

[1]- أبو عبد الله القرطبي: قمع الحرص بالزهد والقناعة، تح مجدي فتحي السيد، ط1، دار الصحابة للتراث، مصر، 1989م، ص201.

[2] - أبو حامد الغزالي هو محمد بن محمد بن أحمد الطوسي من مدينة خراسان التحق بالمدرسة النظامية أواخر العصر العباسي في عهد السلاجقة وتلقى علم الكلام وعلوم أصول الفقهى على يد إمام الحرمين الإمام أبي المعالي الجويني ومن أهم مؤلفاته في التصوف كتاب إحياء علوم الدين. للمزيد ينظر: عبد الرحمن الوكيل: هذه هي الصوفية، (د.ط)، نشر أبو عمر الدوسري، القاهرة،1955م، ص38.

[3]- فيصل برير عون: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، (د.ط)، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1983م، ص232.

[4] - بسمة سعيد بشكور وياسمين زويتين: التصوف بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين، من القرن (7/ 9هـ) مذكرة شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، إشراف بوتغماس حفيظة، قسم التاريخ، معهد العلوم الإنسانية، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة،2015/2014م، ص 99.

يأمر أصحابه بالصبر على المكاره وارتداء الخشن من الثياب.[1] نظرا لكون اللباس أهم مظهر خارجي يجسد سلوك الصوفي و مؤشر دال عليه[2]، فكان لنساء الصالحات ببلاد المغرب اللاتي تركت لنا كتب المصادر بعض التفاصيل البسيطة عن لباسهن البسيط المتكون أغلبه من الصوف لأنه يعبر عن الفقر والزهد[3]، وفي ذلك يقول الشيخ أحمد زروق[4]:

وقــد أباحوا سائــر الأثـــــواب وتركـــــها اقــرب للثـــواب

إذ فــي لبـــاس حلــها الحســاب وفـــي حرامـــها العقـــــاب[5]

فكان جل النسوة المتصوفات لباسهن مماثل فهو عبارة ألبسة مصنوعة من الصوف المتمثلة في كساء وجبة مع خمار لغطاء رؤوسهن،[6] فكانت الصالحة أمية بنت يغمراسن (633-681هـ/1235-1282م)، تلبس جبة مصنوعة من الصوف[7]، من خلال قولها"...فانصرفت إلى منزلي وتجردت من أثوابي ولبست شعار التصوف..."[8].

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش: الإسلام السري في المغرب العربي، ط1، مطبعة سينا، القاهرة، 1995م،ص131.

[2] - عيسى بن الذيب: المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 480- 540هـ/ 1056-1145م، أطروحة دكتوراه، إشراف أحمد شريفي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2009/2008م، ص242.

[3] - محمد حسن: المدينة والبادية في العهد الحفصي، مرجع سابق، ج1، ص809.

[4]- أحمد زروق: هو أبو العباس بن عيسى البرنوصي الفاسي، وهو ولي صالح صاحب المواهب الربانية والعلوم الدنية له عدة تصانيف في التصوف. للمزيد ينظر: محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني : مصدر سابق، ص 49.

[5] - أبو العباس أحمد زروق الفاسي : اللوائح الفاسية في شرح المباحث الأصلية، على جملة الطريقة الصوفية، تح عبد القادر نصار وعبد الله جمال حمدنا الله، ط1، دار الإحسان، القاهرة 2015م، ص151.

[6] - عيسى بن الذيب: مرجع سابق، ص241.

[7] - ابن الزيات: مصدر سابق، ص78.

[8] - نفسه

فمنهن من كانت غنية وأثارت الفقر قاصدةً بذلك وجه الله لقوله تعالى:﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[1]، وقدوة بالنبي صلى الله عليه وسلم استنادا لقوله صلى الله عليه وسلم: " رأيت الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام".[2] فالصالحة زوجة أبي عبد الله محمد الثاني بن مرزوق(629-681هـ/1231-1281م) بنت الفقيه أبي عبد الله الكتاني كانت ملازمة العبادة رفقة زوجها مقتصرة على ما يقتصر عليه من مأكل وملبس رغم من انتمائها إلى بيت ذا جاه ومال كبيرين، إلا أنها كانت تحب التقشف والزهد.[3]

كما حرصت المرأة الصوفية على ستر نفسها دوما سوى عند خروجها من المنزل أو عند مقابلة الرجال فالعجوز التي لقيها ابن قنفذ(ت810هـ)في مراكش في رمضان سنة (603هـ/1207م)، عندما سقطت من على الحمار فقال أحدهم هي مستورة بسراويلها فقال فنظرنا إليها فإذا بثوب أبيض قد سترها إلى كعبيها.[4] والصالحة مؤمنة التلمسانية(ت خلال القرن 9هـ/15م) التي كان لباسها عبارة عن جبة مصنوعة من الصوف وتضع على رأسها طرفا من تليس[5] معقود تحت ذقنها[6] والحرة فاطمة التي أراد ابن قنفذ مقابلتها أسدلت على نفسها كساء[7].

ولكن هناك من المتصوفة من يرى عكس ذلك ويعتبر المظهر الخارجي للمتصوف من لباس وهيئة لا يعتد به إذا كان المتصوف مخلصا في طريقه إلى الله وفي ذلك يقول أبو

---

[1] – سورة الحشر: الآية 09 .

[2] – عبد الحق بن إسماعيل البادسي: مصدر سابق، ص30.

[3] – عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، ص 293.

[4]– ابن الزيات : مصدر سابق، ص 385.

[5] – تليس: جمع تلاليس وتلاس بالاسبانية (Teliz) وهو عبارة عن قطعة كبيرة من القماش مصنوع من نسيج خشن من الصوف أو شعر الماعز يستعمل كغطاء أو كبساط أو غطاء أو لباس، وقد يتم تخيطه ليعمل منه أكياس لحمل المزروعات. للمزيد ينظر: عيسى بن الذيب: مرجع سابق، ص238.

[6] – عبد العزيز فيلالي : مرجع سابق، ص293.

[7] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص86.

الحسن الشاذلي(ت 656هـ/1258م) عندما انتقده احد المشايخ بأنه حسن المظهر فرد عليه الشاذلي(ت 656هـ/1258م) بقوله: "أعرف الله وكن كيف شئت"[1]، فهناك من النساء الصالحات ببلاد المغرب لم يتقيدوا بلباس الصوف، أمثال: زينب بنت الشيخ الصالح أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الدلايلي ورثت عنه الجاه والعلم، التي عرفت بالصلاح وكانت في نفس الوقت ذات مال وجاه من بيت مشهور في تلمسان[2].

وهناك فرقة متصوفة تعرف بالطائفة الملامتية والتي تحتضن بداخلها الطائفة القلندرية، الذين اتفقوا على ترك العادات والآداب وأهملوا التقييد بالضوابط في مجالسهم ومعاملاتهم وآدابهم وأخلاقهم، فصاروا يحلقون الرأس والحاجب واللحية والشارب، كما لبسوا الخرق والخواتم والأقراط والقلائد ولبس المرقع وتركوا لبس النعال وبلغ بهم الأمر إلى التجرد من الثياب والتجوال بالشوارع والأزقة[3].

فإذا كان ارتداء بذلة الصوف كافية للتعبير عن الانتماء لأهل التصوف، لأصبح جل الفقراء متصوفة،[4] ولكن مهما يكن من أمر، فقد ظل لباس الصوف المتواضع رمزا من رموز المتصوفة[5].

[1]– حميدي خميس : مقالات في الأدب والفلسفة و التصوف، (د.ط)، دار الحكمة، الجزائر، (د.س.ن)، ص 95.

[2] – عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، ص294.

[3] – عادل النفاتي: مرجع سابق، ص– ص139–140.

[4] – بسمة سعيد بشكور و ياسمين زويتين: مرجع سابق، ص101.

[5] – عيسى بن الذيب: مرجع سابق، ص240.

2- مأكل المتصوفة:

يعد الجوع واحد من أركان الطرق الإلهي إلى جوار الصمت والسهر، لأن قلة الأكل، دليل على نفحات الوجود الإلهي[1]، فكانت بعض الصالحات المغرب الإسلامي تقتات من القوت البسيط والزاد القليل من نخالة وشعير وغيرهما.

فلقد أطلعتنا كتب التراجم والمناقب على حالة الصوفية في مأكلهم، فغذاء الصالحة زينب بنت الفقيه أبي عبد الله التي كانت ورعة ومتقشفة في أكلها، إلى درجة أنه في يوم من الأيام أرسل إليها أبيها مائدة طعام الفاخر مع خادمتها، عندما سمع أنها لم تتعشى، فغضبت منه ومن الخادمة التي أفشت سر بيتها[2].

فاتسم طعام المتصوفة بمظاهر التقشف فلم يتعدى طعامهم القليل من الخبز واللبن في حين كانوا يقدمون إلى مريديهم طعام الشعير ولحم الضأن المشوي والزبدة والعسل،[3] فكانت الولية الصالحة أم أحمد عائشة الادريسية(969هـ/ 1562م) ،[4] في ليلة المولد النبوي الشريف تقوم بإعداد الطعام وتذبح البقر والغنم وتطعم الفقراء، حبا لنبي صلى الله عليه وسلم.[5] لكن هناك من يفند الفكرة، أمثال الشيخ الحسن الشاذلي(ت 656هـ/1258م) من

[1] – عبد الستار الراوى: التصوف و الباراسايكولوجي مقدمة أولى في الكرامات الصوفية والظواهر النفسية الفائقة، ط1، دار الخلود للتراث، القاهرة، 2006م، ص85،

[2] – عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، ص293.

[3] – جمال طه: مرجع سابق، ص177 .

[4] – عائشة بنت أحمد بن عبد الله بن علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن عبد الله بن صالح بن علي بن عيسى بن بيان بن مستا بن مزوار بن حيدرة بن غياث بن سلام بن محمد بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كانت من عبادة الله الصالحين ذات اجتهاد في الصيام وقيام الليل دائمة الذكر والعبادة. للمزيد ينظر: محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، مصدر سابق، ص 23.

[5]– المصدر نفسه، ص170.

خلال قوله " ليس التصوف بأكل النخالة والشعير، و إنما هو في معرفة الله، و الإخلاص في محبته"[1].

كما كانت الصالحة عائشة بنت شقرون الفخار[2] كانت لها برمة صغيرة تطبخ فيها دوما ويأكل منها أهل الدار والضياف ولا تزيد عن مقدارها ولا تنقص وتتناول ذلك بيدها فيكفيهم ذلك كائنين ما كانوا[3].

وهناك من كانت تأكل من نبات الأرض، ولا تشارك الناس في شيء من معاشهم، مثل الصالحة "مؤمنة التلمسانية(ت خلال القرن 9هـ/15م) الذي كان قوتها من غزل يديها من نصف وسق شرعي من الزرع... ولا تقبل من أحد شيئا...ومازالت تقيم بدارنا أياما متوالية لا تأكل شيئا. وكانت تقيم عندنا الشهر ونحو على يسير من قوتها وما أكلت طعاما لنا قط"[4].

فاختص المتصوفة ككل بأكل كل ما ينتج داخل مجاله، فقلما يستهلك القمح في إقليم منتج للشعير، كما اعتمدوا على استهلاك الأغذية على حالتها الطبيعية دون طبخ مثل استهلاك الحليب والزبدة والعسل، وهناك من يأكل البلوط يطحنه ويعجن منه أقراصا يقتات بها، كما هناك من المتصوفة من الذين يقطنون بالقرب من المناطق الساحلية يتناولون السمك، فمثلا انتشر استهلاك سمك السردين على السواحل الشمالية للمغرب الأقصى، وسمك السبارس بمدينة صفاقس، وسمك الشابل بالمناطق المشرفة على الأنهار الكبرى مثل ضفاف نهر السبو أو أم الربيع ووادي الشلف وغيرها.

---

[1] – حميدي خميس: مرجع سابق، ص 95.

[2]– عائشة بنت سيدي شقرون الفخار المتقدم دفينة خارج باب الفتوح وهي زوجة السيد العارف سيدي محمد بن عبد الله معن رضي الله عنه وأم والده الولي سيدي احمد، وهي السيدة الفاضلة الخيرة ذات البركات الواضحة كانت من الصالحات القانتات المطيعات لله ولنبيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. للمزيد ينظر: أحمد بن محمد المقري: زهرة الآس العاطرة الأنفاس في اكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، تح عبد الوهاب بن منصور، ط2، المكتبة الملكية، الرباط، 1983م، ص65.

[3]– نفسه.

[4] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص– ص 80–81.

3- مسكن المرأة المتصوفة:

تميزت مساكن المتصوفة في بلاد المغرب بالبساطة في التصميم والانجاز والمواد المستعملة في البناء، وقد وصفها صاحب المقدمة كالآتي: "يتخذون البيوت من الشجر أو من الطين والحجارة غير منجدة، إنما هو المقصود الاستظلال والكين ما وراءه وقد يأوون إلى الغيران والكهوف"[1] مثل الفتاة الولية التي لم تبلغ الحلم التي كانت مستقرة في كهف بجبل درن[2].

ولقد وصف ليون الإفريقي مساكن للمتصوفة في جبل زغوان بمملكة تونس؛ وهذا الجبل كانت تقضي فيه السيدة عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م) فترات الاعتكاف فذكر أنها تتكون من " أكواخ قليلة، يسكنها فلاحون يربون النحل ويزرعون قليلا من الشعير"[3].

وهناك من اتخذ من البيوت المنحوتة في الجبل ملاذا لهم مثل المرأة الضريرة المنقطعة في غار بجبل بالمغرب الأقصى[4]، وأيضا على المرتفعات الأطلسية ذات الغابات الكثيفة، بنى المتصوفة دور من الخشب والطوب ومسقفة بالأردواز أو بغصون الشجر، وهناك من المتصوفات من كانوا يقومون بعمل خيام مصنوعة من نسيج أسود من الصوف وشعر الماعز وغيرها، وكذلك من نسيج سعف النخيل ويكون كل ذلك مجموع هذا النسيج الخشن المتراص جدا حيث يقاوم المطر وحرارة الشمس[5].

بالإضافة إلى العديد من المتصوفات اللاتي اتخذن لأنفسهن دويرة تصغيرا لحجم الدار أي المنزل، لأنهم لا يسعوا لاستدراك أفخم البيوت والمنازل، بل نجدهم زهدوا فيها هي

---

[1] – عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص135.

[2] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص 266.

[3] – حسن الوزان: مصدر سابق، ج2،ص104.

[4] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص 73.

[5] – مارمول كاربخال: إفريقيا، ج2، تر محمد حجي وآخرون، ط3، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1989م، ص24.

الأخرى مثل مؤمنة التلمسانية(ت خلال القرن 9هـ/15م) التي اتخذت لنفسها دويرة تعتكف فيها وتنقطع فيها عن الناس خاصة في شهر رجب وشعبان ورمضان[1].

أما فيما يخص الأثاث الذي جهز به المتصوفة بيوتهم تمثل في السليخة للنوم والحصير للصلاة[2].

فاخترن جل المتصوفات الأماكن البعيدة عن الضوضاء والعمران لبناء منازلهم، ويرجع ذلك لتفضيلهم الأماكن الخالية حتى تكون عاملا مساعدا لهم على مزاولة حياة الزهد والاعتكاف والانقطاع للعبادة.

4- حرفة المتصوفات:

لقد احترف الكثير من المتصوفات غزل الصوف؛ مثل العابدة السوداء التي قال عنها أبو محمد عبد الله بن الأشج الفقيه: "...فوجه بي إلى سوداء متعبدة، فحسبني عندها مكتفا فكانت تغزل الصوف وتطعمني..."[3]، أيضا أم العز زوجة الولي أبو يعزى يلنور (ت572هـ/1177م) كانت تغزل الصوف[4]، والصالحة مؤمنة التلمسانية(ت خلال القرن 9هـ/15م) كان " ...قوتها في العام من غزل يديها..."[5].

لا شك أن غزل الصوف مرتبط بالنشاط الاقتصادي الممارس ببلاد المغرب، من تربية الماشية وما يترتب عنها، إلا أننا نتساءل على سبب احتراف النساء عموما غزل الصوف، والنساء الصالحات منهن على وجه الخصوص؟

---

[1] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص 81.

[2] – يعقوب نوبلي: إسهامات صوفية المغرب في الحياة الاجتماعية والثقافية خلال العهد الموحدي (541- 668هـ/ 1156- 1269م)، مذكرة ماستر، إشراف واعظ نويوة، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2016/2015م، ص53.

[3] – الدباغ: مصدر سابق، ج2، ص 232.

[4] – العزفي: مصدر سابق، ص 49.

[5] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص80.

ثمرة القول أن المتصوفات تميزن عن باقي شرائح المجتمع بانتهاجهن مسلك التقشف سواء في المأكل أو الملبس أو المسكن، وزهدهم أيضا في المال، فاكتفت متصوفة المغرب بغزل الصوف الذي يدل على الفناء في الله عز وجل، فكانت غايتهن من هذا الزهد الاعتكاف على العبادة والانقطاع إلى سبحانه وتعالى.

ثالثا: المستوى العلمي للمرأة المغربية المتصوفة.

لم يكن تعليم المرأة في الإسلام بدعة، فالمعروف أن كثير من النساء نبغن في العلم والأدب والشعر وغيرها من العلوم الدنية والدنيوية، حيث أفتى العديد من الفقهاء بوجوب تعليم المرأة وذهابها إلى الكتاتيب بأسانيد دينية[1] من خلال قول النبي صلى الله عليه وسلم " العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" فكان لنساء المغرب الإسلامي حظ وافر من العلم سواء العلم الشرعي كحفظ القرآن الكريم وعلم الحديث أو علم التصوف كعلم الأحوال والأذواق والإشارة[2].

حيث برزت من مدينة فاس الصالحة ورقاء بنت ينتان (ت 540هـ/1145) النابغة في الأدب والشعر، كانت حافظة لكتاب الله، كما برعت أيضا في الخط[3]، كما كان لنساء الصالحات مكانة في البلاط وكان يعهد إليهن الكتابات السرية مثل خناثة بنت بكار زوجة السلطان المولى إسماعيل، التي كانت عالمة وصالحة، وزينب بنت الخليفة يوسف الموحدي، أخذت علم الكلام وأصول الدين عن أبي عبد الله إبراهيم إمام التعليم والفنون، فكانت عالمة وفاضلة.[4]

وكذلك الصالحة عائشة البجعدية خاتمة الفقهاء المجتهدين، والصالحة عائشة الادريسية (969هـ/ 1562م) أخذت العلم عن الشيخ عبد الله الغزولي[5]، والشابة الهسكورية(ت خلال القرن 9هـ/15م) التي خاضت مع الفقيه يغمور بن خالد(ت 590هـ/1194م)[6] في علوما

---

[1]– أحمد فؤاد الأهواني: التربية والتعليم في الإسلام، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.س.ن)، ص206.

[2] – نفسه.

[3]– عبد العزيز بن عبد الله: مرجع سابق، ص 205.

[4]– نفسه.

[5]– محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني: مصدر سابق، ص 22.

[6]– يغمور بن خالد: فقيه ومدرس اعتزل الناس وغلبت عليه احوال المعاملات مع الله تعالى، تتلمذ على يد أبي عبد الله محمد بن ياسين الفقيه، وكان بدء امره أنه نظر إليه أبو مهدي وهو يدرس الفقه فقال: هذا الفتى لا يصلح إلا لطاعة الله

يعلمها من علوم التصوف[1]، كذلك عائشة بنت أحمد بن الحسن المديوني(ت اواخر ق8هـ/13م)، حفيدة الشيخ ابن مرزوق، الفت مجموعة من الأدعية، وكانت كثيرة القراءة والمطالعة[2] كانت من الصالحات لها قوة في التعبير والرؤيا.

وفي العصر الموحدي كانت سيدة بنت عبد الغني بنت عبد ربه التي تكنى بأم العلاء (ت 647هـ/ 1249م) نزيل فاس تقوم بتعليم القرآن الكريم والمحافظة على الأدعية والأذكار، كذلك الصالحتان أختا الشيخ أبو محمد سيدي عبد الله بن محمد بن موسى العبدوسي، فاطمة وأم الهانئ، وهما صالحتين برزتا في مجال الفقه[3]. كما برزت مجموعة لبأس بها من النساء الصالحات اللاتي وصلن إلى درجة كبيرة من العلم، من خلال مؤلفاتهن التي بقيت شاهدا لهن على ذلك، حيث كانت الصالحة العبدرية تقوم بالتعليم في بلاد المغرب، وألفت كتاب يحمل عنوان" إحياء علوم الدين" ولكن لا نعرف إذا كان نسخة لكتاب علوم الدين أو بمضمون جديد، فمهما يكن يبقى هذا دليل على تأثر النساء الصالحات بالفكر الغزالي الذي دخل بلاد المغرب خلال القرن الخامس هجري[4].

وهناك اللاتي على الرغم من تقدمهن في السن إلا أنهن يحاولن حفظ القرآن الكريم؛ مثل مؤمنة التلمسانية(ت خلال القرن 9هـ/15م) التي كان يكتب لها الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن عبد الوهاب لوحها، وتحفظ به آيات من القرآن الكريم، فوجدها مرة ابن قنفذ وفي لوحها آيات من سورة البقرة على الرغم من كبر سنها[5].

=وعبادته، فصحبه، توفي بمنطقة بتاسوفيط سنة 590 للهجرة. للمزيد ينظر: محي الدين الطمعي: مرجع سابق، ص 513.

[1]– ابن قنفذ: مصدر سابق، ص 266.

[2] – عادل نويهض: مرجع سابق، ص 289.

[3] – أحمد التادلي الصومعي: مصدر سابق، ص 130.

[4] – إبراهيم القادري بودشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين الذهنيات والمجتمع، مرجع سابق، ص 127.

[5] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص– ص 81– 82.

كذلك في مجال الطب، برزت الصالحة سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبية الفاسية وهي من المتصوفات اللاتي نبغن في الطب توفيت بمراكش بين (685هـ/1286م) كما برعت أيضا في مجال الأدب[1].

ومسعودة بنت أحمد بن عبد الله الوزكني، التي تكنى بعودة أم المنصور الذهبي كانت لها توبة نصوحة اعتنت كانت لها عناية كبيرة بمجال التعليم من خلال تشييدها لمدرسة للطلبة الغرباء ومكتبة[2].

كما كانت للمرأة المتصوفة الرغبة الملحة في طلب العلم، ومجالسة العلماء والأخذ عنهم، فعائشة بنت معاذ بن أبي علي، كانت تذكر في العلم، وتقول: رأيت كثيرا من أهل العلم والخير، وجالستهم فلولا أحمد بن أبي عبد الله لمت جاهلة، ويذكر أنها كانت إذا سمعت بمجلس علم تأتي بحصير في يدها فدورته على نفسها، وتجلس إلى المجلس، وتسأل على المسائل التي تجهلها[3].

والصالحة عائشة بنت أبي الأكحل التي كانت من المثقفات والعالمات بأمور الدين، والصالحة مؤمنة التلمسانية(ت خلال القرن 9هـ/15م) التي انتقلت إلى فاس لطلب العلم، ومجالسة كبار العلماء، أمثال أبي عبد الله المقري، وأبي العباس السبتي (ت 601هـ/1204م)، وأحمد بن مرزوق الخطيب، وابن قنفذ وغيرهم، والخوض معهم في المسائل الشرعية[4].

إلى جانب العلوم الشرعية والعقلية فقد كان لهن حظ من علوم الصوفية؛ فالشابة الهسكورية (ت خلال القرن 9هـ/15م) خاضت مع الفقيه يغمور بن خالد في علوم لا يعرفها

[1] – أحمد بن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، ط1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1973م، ص434.

[2] – عبد العزيز بن عبد الله: مرجع سابق، ص160.

[3] – الوسياني: مصدر سابق، ص594.

[4] – عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، ص296.

من علوم التصوف، والسيدة عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م) التي تقول أنها حفظت القرآن عن الله مباشرة، وورد في مناقبها أنها التقت خلال تجربتها بالخضر، وتلقت منه توجيهات وإمدادات روحية أعانتها على اجتياز صعوبات الطريق، وأخذت عنه نصيبا من العلم اللدني مكنها من مزيد السمو والارتقاء في سلم الحياة الروحية.

روت السيدة المنوبية (ت 665هـ/1267م) أنها تلقت العلم اللدني روحيا عن الأنبياء والأولياء المتقدمين، وأضحت وريثة لهم ولعلومهم، ومما جاء عنها في قولها: "أنا من حمالة القرآن، أنا ممن درس في كتب العلوم، أنا ممن قرأ في سالف الدهور، أنا قرأت على نوح وأخذت وراثته، وقرأت على موسى وأخذت وراثته، وقرأت على عيسى وأخذت وراثته، وقرأت على شعيب وأخذت وراثته، وقرأت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأخذت وراثته، أنا رأيت أبا بكر وأعطاني وفاءه، أنا رأيت عمر بن الخطاب وأعطاني عدله، ورأيت عثمان بن عفان وأعطاني حياءه، أنا رأيت عليا بن أبي طالب وأعطاني علمه وزهده ووقاره وشجاعته"[1].

[1] – أبو العباس أحمد التادلي المغربي: مناقب السيدة عائشة المنوبية، تح محمد الكحلاوي، تقديم توفيق بن عامر، ط1، المغاربية للطباعة والإشهار، تونس، 2011م، ص–ص 117–118.

رابعا: المسلك الصوفي للمرأة المغربية المتصوفة.

لقد عملن النساء المتصوفات في بلاد المغرب على اتخاذ كل واحدة منهن مسلك خاص بها من خلال مجاهدة النفس وحملها على المشاق البدنية وكبحها على شهوات الدنيا وملذاتها سواء كان بدافع الخوف أو الحب للتقرب من الله سبحانه وتعالى، فهذه أمية بنت يغروسن بعد أن دعا لها عبد السلام التونسي بالتوبة قالت: "...فانصرفت إلى منزلي وتجردت من أثوابي وتطهرت وأقبلت على طاعة الله عز وجل..."[1].

فقد تجردت هذه الولية من لباس الدنيا ولبست شعار الآخرة المتمثل في لبس "الصوف"، كما كانت تقيم النهار من أوله إلى آخره بجامع تلمسان إلى أن لحقت بالله عز وجل[2]، ومثيلاتها من الصالحات اتخذن من كثرة العبادة وسيلة للارتقاء في مدارج التصوف فهذه عجوز القيروان التي كانت تخرج في الليل إلى الجامع لصلاة العتمة، وتتحرى الحلال إمعانا في التخلق بخلق الورع[3]، ومنهم من كانت لا تنام الليل فهذه الصالحة منية بنت ميمون الدكالي(ت 595هـ/ 1199م)التي أسودت من الاجتهاد ولصق جلدها بعظمها، واسودت من الاجتهاد والعبادة[4]، والصالحة زوجة الولي أبو يعزى (ت 572هـ/1178م)، الملقبة أم العز كانت لا تنام الليل صلاة وبكاء.[5]

ومنهن من اتخذت أسلوب الورع والوعظ من خلال الابتعاد عن الشبهات والمعاصي ففي حديث النبي صلى الله عليه وسلم يحث الناس على الورع لقوله: " كن ورعا تكن اعبد الناس"[6]، مع ممارسة الحياة الاجتماعية العادية كباقي النساء، دون التعمق في الأحوال وما يتبعها من مقامات لدى بعض المتصوفة. فبرزت بعض النساء المغربيات ممن كان لها حظ

[1] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص 112.

[2] – نفسه.

[3] – الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص 141.

[4] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص 316.

[5]– العزفي: مصدر سابق، ص 49.

[6] – رواه أبو هريرة، سنن بن ماجة كتاب الزهد باب الورع والتقوى رقم الحديث 7، ص42.

وافر في التصوف سلوكا ووعظ وإرشادا[1]. وهن كثر من منهن الصالحة أم هانئ العبدوسية (ت860هـ/1456م)[2] التي لها تصانيف في الوعظ والأدعية[3].

والصالحة عائشة الإدريسية(ت 969هـ/ 1562م) وقيل انها عاصرت الشيخ عبد الله الغزواني (ت 935هـ/ 1528م) التي كانت تقوم هي الأخرى بتوجيه الناس وإرشادهم إلى الطريق الصحيح من خلال الأمر بالمعروف وهو الفعل الحسن والنهي عن المنكر وهو الفعل القبيح[4] فكانت تعظ جاراتها وتنهاهم عن المنكر ولا أحد يقدر على رد شفاعتها[5].

وهناك من المتصوفات من تفضل الانقطاع والانفراد لمناجاة الله سبحانه وتعالى؛ فمنهن من تنقطع في منزلها، ومنهن من تنقطع في مصرية داخل رباط، أو كهف في سند جبل عال.

واختلفت المتصوفات في زمن انقطاعهن واعتكافهن فمنهن من تعتكف أياما معدودة أو لمدى الحياة؛ فأخت عبد العزيز التونسي انقطعت للعبادة إلى أن ماتت وهي بكر[6]، وفاطمة الأندلسية(ت خلال القرن 7هـ/13م) المتعبدة التي كانت تنقطع في رباط بقصر كتامة[7] داخل مصرية للصلاة والذكر[8]، وعائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م) التي كانت تقضي بعض فترات الاعتكاف في جبل زغوان، والفتاة الهسكورية(ت خلال القرن 9هـ/15م) التي

[1]– عبد العزيز بن عبد الله: مرجع سابق، ص 159.

[2] – أمة الرحمن بنت القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية، أخذت العلم عن والدها وأخذا الناس عنها العلم، وهي والدة أبي جعفر أحمد الأديب، طبيب المنصور الموحدي. للمزيد ينظر: المرجع نفسه، ص160.

[3]– نفسه.

[4] – عبد الكريم عثمان: نظرية التكليف آراء القاضي عبد الجبار الكلامية، (د.ط)، مؤسسة الرسالة، (د.س.ن)، ص516.

[5] – محمد عسكر حسني: مصدر سابق، ص 150.

[6] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص94.

[7]– كتامة: بنو كتام أو كتام بن برنس، ويؤكد نسابوا العرب أنهم عرب حميريون. للمزيد ينظر: عبد الوهاب منصور: مرجع سابق، ص303.

[8] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص 331.

انقطعت في كهف بجبل درن[1]، والمرأة الضريرة كانت منقطعة في غار بجبل بالمغرب الأقصى[2]، وهناك اللاتي ينقطعن لفترات معينة مثل الصالحة مؤمنة التلمسانية(ت خلال القرن 9هـ/15م) التي "...كانت تنقطع عن مخالطة الناس في رجب وشعبان ورمضان، ولا تساكن أحدا ولا يراها في زمن انقطاعها أحد من الناس ولا تكلمه، وإذا احتاجت إلى شيء كالزيت تضع البطة عند الباب والدرهم بإزائها فيبادر إليها به..."[3].

إلى جانب المجاهدات الفردية مارست الصالحات السياحة كسلوك يهدف إلى زيارة الشيوخ والإخوان، واستقبالهم، أو حضور المواسم التي تقام في الرباطات، وتكون إما فردية أو مع إخوان صالحين، مثل: فاطمة الأندلسية (ت خلال القرن 7هـ/13م) التي ذهبت هي والفقيه ابن صالح من قصر كتامة إلى مدينة فاس لزيارة أبي مدين شعيب (ت 594هـ/1198م)[4]، والصالحة فاطمة الصنهاجية كانت تستقبل ابن قنفد (ت 810هـ/1408م) في بيتها[5].

أما الرباطات فقد كان يحضرها خلق كثير من النساء والرجال، واشتهرت رباطات عدة مثل : رباط شاكر ورباط شالة وأصيلا، ويعد رباط شاكر أهم مركز يلتقي فيه أكبر عدد من الصلحاء نساءً ورجالا، خاصة عند إحياء موسم ليلة 27 رمضان من كل سنة؛ فقد حضر من النساء في إحدى المواسم "...ألف امرأة من الأولياء..."، فكانت تقام فيه الصلوات ومجالس الوعظ [6].

يتضح لنا مما سبق أن كل عابدة كان لها سلوكا خاصا بها، لكن الهدف واحد هو الله، فقد قالت الولية منية بنت ميمون الدكالي(ت 595هـ/1199م): " أنت مطلوبي! لا سواك

[1] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص 265.
[2] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص 73.
[3] – المصدر نفسه، ص 81.
[4] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص 332.
[5] – ابن قنفذ: المصدر السابق، ص 86.
[6] – ابن الزيات: المصدر السابق، ص، ص317، 262، 316.

فأقلني..."[1]، وهذه المقولة تحاكي قول رابعة العدوية(100- 180هـ/717-796م) شهيدة العشق الإلهي" ما عبدته طمعا في جنته ولا خوفا من ناره وإنما عبدته لذاته تقدست أسماؤه".

من حصاد ما سبق يظهر جليا أن المسلك الصوفي للمرأة المغربية عرف اتجاهين اثنين هما:

- اتجاه الزهد والورع والاجتهاد في العبادة على منهج السلف بعيدا عن لغة الأحوال والمقامات، وممارسة حياة اجتماعية عادية، لهذا يغلب على تصوف المرأة طابع التصوف السني الملتزم بالسنة.
- اتجاه التفرغ الكلي للمجاهدة، ولقاء الأولياء، والسياحة في الأرض[2].

وصفوة القول بخصوص المسلك الصوفي لنساء المغربيات فمهما اختلفت سلوك أو صفة المتصوف سواء كان فقيرا، أو فقيها، أو عالما، أو تاجرا، أو صانعا، يبقى صالحا، ومن أولياء الله في الأرض[3]، قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[4].

[1]- ابن الزيات: مصدر سابق، ص 318.

[2] - للمزيد ينظر: الملحق رقم 01، ص 159.

[3] - ابن تيمية: الصوفية والفقراء، تح محمد جكيل غازي، (د.ط)، دار المدني، القاهرة، (د.س.ن)، ص- ص40-41.

[4] - سورة يونس: الآية 62.

خامسا: مراتب المتصوفات.

بعد استعراضنا لصالحات بلاد المغرب، وتعرفنا على مسلكهن الصوفي وكذا مستواهن العلمي، نحاول في هذا العنصر توضيح المراتب الصوفية التي وصلت إليها المرأة المغربية نتيجة مجاهداتها الشاقة والمضنية، فيذكر ابن عربي (ت 638هـ/1241م): " أن المقامات مكاسب عند الأكابر...فإن الكسب يعليك درجة...ويرتقى به"[1]، و بداية يقسم الصوفية أولياء الله إلى طبقات: "وهم خواص الله في أرضه، ورحمة الله في بلاده على عباده، وهم: الأبدال والأقطاب والأوتاد، والعرفاء والنجباء والنقباء والغوث[2].

- المكتومون:

وهم المستورون عن أنفسهم وعن الخلق؛ وقيل عددهم أربعة آلاف. نجد منهم فلانة الأندلسية التي "...إذا رآها من لا يعرفها لا يظن بها أنها من الأولياء..."[3] وأخت عبد العزيز التونسي التي كان يدل على ولايتها أخوها ولولاه لظلت مستورة لا يسمع بها أحد[4].

- أهل الحل والعقد:

يقول الهجويري: " أهل الحل والعقد قادة حضرة الحق جل جلاله، فثلاثمائة يدعون الأخيار وأربعون يسمون الأبدال، وسبعة يقال لهم الأبرار، وأربعة يسمون الأوتاد، وثلاثة يقال لهم النقباء وواحد يسمى القطب أو الغوث"[5].

---

[1] – محي الدين بن عربي: الفتوح المكية، تح عثمان يحي، تصدير إبراهيم مدكور، ج7، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1981م، ص 148.

[2] – إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والمصادر، ط1، إدارة ترجمان السنة، باكستان، 1986م، ص231.

[3] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص 237.

[4] – المصدر نفسه، ص 94.

[5] – علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجويري: كشف المحجوب، تح إسعاد عبد الهادي قنديل، (د.ط)، مكتبة الإسكندرية، (د.ب)، 1974م، ص، ص 12، 21.

ويذكر الجامي أن اختلف في عددهم وأسمائهم وترتيبهم، لكن المشهور هذا التعريف لأهل الحل والعقد على أنهم ثلاثمائة يقال لهم الأخيار أربعون يقال لهم الأبدال وسبعة يقال لهم الأبرار وأربعة يقال لهم الأوتاد وثلاثة يقال لهم النقباء، وهؤلاء كلهم يعرفون الأحوال فيما بينهم ويحتاجون إلى إذن بعضهم البعض.[1]

– **القطب أو الغوث:** وهو رأس العارفين ولا يساويه أحد في الرتبة وله درجة كبيرة من المعرفة ولا يأخذ احد مكانه حتى يتوفى يورث آخر مكانه[2]، هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان ومكان، وهو على قلب سيدنا إسرافيل[3] وهو مقام الكمال، وهناك كمن يرى أن عدد الأقطاب أثنا عشر قطبا[4].

ومن النساء من بلغت مرتبة القطبية السيدة عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م) فأضحت قطبة، بل قطبة الأقطاب. ولذلك وصفت نفسها بكونها: "قطبة الرجال وقطبة الأشراف"، مؤكدة أحيانا تفوقها على الأقطاب من الرجال بإعلانها أنها: "سيدة الرجال"، و" زينة الأولياء". تقول في ذلك: " أنا أحبني ربي واختارني واصطفاني وزينني وأيدني وجعلني زينة الأولياء وقطبة الأقطاب، أنا فارسة الإخوان". وتذكر المنوبية أن عددا غفيرا من الأولياء قد اعترفوا لها بهذه المرتبة، وبايعوها عليها[5].

وقد وصفت المنوبية لنا أسلوب ارتقائها لهذه المنزلة بقولها: "لقيني القطب وطلبني في الدعاء، فدعوت له، وتوسل بحقي إلى ربي فقضى حاجته، أنا قطبة الرجال وقطبة الأشراف، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرون مرة في الكمال، وخمسة وعشرون مرة في تمام السرور، وقال لي، وكلمني، وسقاني بيده الشريفة، وصافحني، أنا قطبة

[1]– أبو بركات عبد الرحمن الجامي: نفحات الأنس من حضرات القدس، (د.ط)، مكتبة الشؤون الفنية، مصر، 1989م، ص34.

[2] – محمد أبو الفضل بدران: أدبيات الكرامة، ط1، الهيئة العامة، القاهرة، 2013م، ص127.

[3] – عبد الرزاق الكاشاني: مرجع سابق، ص162.

[4] – علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجويري: مصدر سابق، ص 448.

[5] – أبو العباس أحمد التادلي المغربي: مصدر سابق، ص114.

الأقطاب،...أنا رأيت الخضر عليه السلام أربعين مرة في السفر، وأربعين مرة في الحضر، أنا قد مر بي سبعمائة ولي وسبعون وليا وسبعة آلاف ولي وأربعون وليا، والجملة عشرة آلاف ولي، وقدموني، وقالوا لي: أنت قطبتنا، ورضينا بك، وقدمناك، ورفعنا لك البيعة، أنا فارسة الفرسان، أنا خليفة اله في أرضه[1].

لما قدموني قلت لهم: من أنا؟ قالوا: أنت قطبتنا وسيدتنا ووكيلة زماننا من عند ربنا، أنا حبني ربي واصطفاني، وعلمني علومه، فمن حب حب ومن كره كره[2].

- **الأوتاد:**

هم أربعة منازلهم على منازل الأركان الأربعة من العالم شرق وغرب وجنوب وشمال[3] مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة، و داخل هذه الطبقة لم نسجل حضور للنساء المتصوفات – حسب المصادر المتوفرة لدينا– ما عدا عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م) التي تقول عن نفسها: "...أنا من الأربعة من ركائز الأرض..."[4].

- **الأبدال:**

قيل سموا أبدال لأنهم بدلوا خلقا بعد خلق، وصفوا تصفية بعد تصفية، وهم الذين يفنون عن إرادتهم وتبدل بإرادة الحق عز وجل، وقيل لبعضهم كم الأبدال فقال أربعون نفسا فقيل له لم لا تقول أربعون رجلا؟ فقال: قد يكون فيهم النساء[5].

---

[1] – توفيق بن عامر: مرجع سابق، ص 135.

[2] – نفسه.

[3] – علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والمحو والصرف والعروض والبلاغة، تح محمد صديق منشاوي، (د.ط)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر، (د.س.ن)، ص36.

[4] – توفيق بن عامر: مرجع سابق، ص135.

[5] – رفيق العجم: مرجع سابق، ص– ص 03– 04.

- **الأفراد:**

هم الرجال الخارجون عن نظر القطب[1]، وأيضا هم صنف من أولياء الله، يوصفون بأنهم مقربون ولا عدد يحصرهم؛ ومنهم الولية منية بنت ميمون الدكالي(ت 595هـ/1199م) فيذكر ابن الزيات: "...وكانت من الأفراد..."، وكذلك الصالحة أم محمد السلامة من بلد دكالة فيقول عنها أيضا بن الزيات: "...كبيرة الشأن من الأفراد[2].

والملاحظ أنه لم يتم التصريح بمراتب الصالحات في التصوف إلا تلميحا، فكن يوصفن بأنهن كبيرات الشأن مثل: أم عصفور تيعزات بنت حسين الهنتيفي (ت خلال القرن 7هـ/13م)[3]، وأم محمد سلامة(عاصرت معركة الأرك سنة595هـ/1199م)،[4] وأخرى تنعت بأنها من أكابر الأولياء[5]، وأخريات من المكاشفات[6]، أو من الطيارين في الهواء مثل نساء المصامدة اللاتي عرف بهن ابن الزيات[7]، ومنهن من يقال عنها أنها لها في مقامات الصالحين حالا عظيما[8] وأخرى لها أمرا عظيما من خرق العادة[9].

- **المريدات:**

المريدة هي التي انقطعت لله تعالى وتجردت عن إرادتها، وعلمت ما يقع في الوجود إلا ما يريده الله تعالى، ولا بد لها من مجالسة عالم بالله و توبة نصوح[10]، والمريدات كثر نذكر

---

[1] – عبد الرزاق الكاشاني: مرجع سابق، ص56.

[2] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص، ص 317، 387.

[3] – المصدر نفسه، ص388.

[4] – المصدر نفسه، ص387.

[5] – ابن مريم: مصدر سابق، ص 94.

[6] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص 32.

[7] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص 387.

[8] – ابن قنفذ: المصدر السابق، ص 87.

[9] – العباس بن إبراهيم السملالي: مرجع سابق، ج4، ص 67.

[10] – أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تح محمود إبراهيم محمد الرضواني، ج1، ط1، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، 2001م، ص273.

من بينهن: المريدة التي كانت تدخل على[1]، يعقوب الموحدي(580-595هـ/1184-1199م) ومريدات عزيزة السكسوية (ت خلال القرن 9هـ/15م)[2]، وكذلك الصالحات اللاتي كن يزرن رباط شاكر[3].

يتجلى واضحا مما تقدم الهيمنة الذكورية على مراتب الصوفية، وأن المراتب الأولية للولي الرجل، أما المرأة فتأتي في المرتبة التالية، لكن هذا الوضع لم يمنعها من مرتبة القطبية مثل السيدة عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م) التي صرحت بأنها نالت درجة القطبية وأصبحت قطبة الأقطاب.

[1] – العباس بن إبراهيم السملالي: مرجع سابق، ج1، ص 284.

[2] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص 86.

[3] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص 316.

- سادسا: المرأة الصوفية ومسألة الكرامة.

الكرامة في الاصطلاح هي الأمر الخارق للعادة الذي يظهره الله عز وجل لعباده الصالحين حيث قال الإمام الكلاباذي(ت380هـ/990م) في كتابه التعرف " اجمعوا على إثبات كرامات الأولياء وان كانت تدخل في باب المعجزات ..."[1] ويعتبر الدارسون انه لا يوجد خلاف في جواز الولاية وما يتبعها من كرامة والعرفان للنساء.[2] حيث تميزت بلاد المغرب الإسلامي خلال هذه الفترة طغيان الفكر الصوفي على الحياة الفكرية في الفترة المدروسة، فنجد العديد من كتب التراجم والمناقب حافلة بالأحاديث والنصوص التي تمجد كرامتهم وإقبال الناس عليهم والتبرك بهم.[3]

ومن هذا المنطلق يتضح لنا أن المرأة المتصوفة ببلاد المغرب كانت لها عدة أمور مشتركة مع الولي في العديد من مسائل التصوف، والتي من أهمها الكرامة، حيث تزخر كتب المناقب بحكايات الكرامة مثل: المشي على الماء أو البحر لأنه رمز للطهارة،[4] والطيران في الهواء، وإجابة الدعوة وتكليم الجماد ورؤية الخضر وغيرها من الكرامات الخارقة.

غير أن المرأة المتصوفة انفردت بكرامات مغايرة عن الرجل، بوصفها امرأة؛ من ذلك كرامة الستر التي تصور المرأة المتصوفة حريصة على حفظ نفسها في حال الحضور، وحفظ الله لها في الغيب؛ وفي هذا قال ابن الزيات: "...رأينا عجوزا سقطت عن حمارها وأخذت تضطرب على وجه الأرض إلى أن بعدت عنا فوقفنا عليها وخفنا أن تنكشف فأمرنا أن تستر بثوب فقال لنا بعض من أراد أن يسترها هي مستورة بسراويلها فنظرنا إليها فرأينا

---

[1]- عبد الله بن عبد القادر التلدي: المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ط4، دار الأمان، الرباط، 2003م، ص28.

[2] - يوسف بن إسماعيل النبهاني: جامع كرامات الأولياء، تح إبراهيم عطوة عوض، ج1، ط1، مركز أهلنسة بركات رضا فور بندر غجرات، الهند، 2001م، ص 57.

[3] - مختار حساني: مرجع سابق، ص96.

[4] - إبراهيم القادري بودشيش: الإسلام السري، مرجع سابق، ص 139.

ثوبا أبيض قد سترها إلى كعبيها ولم نشك أن عليها سراويل فأقمنا عليها إلى أن فاقت من حالها فركبت حمارها وانصرفنا فلما طلع الفجر نزلنا فصلينا الصبح وسرنا نحن ننظر إليها إلى استبان النهار فرأينا عجوزا قد لصق جلدها بعظمها وعليها كساء خلق وساقها مكشوفة ليس عليها سراويل فعجبنا من شأنها..."[1].

كما كانت للولية الصالحة عائشة بنت أحمد الادريسة(ت 969هـ/ 1562م) عدة كرامات التي أوردها صاحب كتاب دوحة الناشر بعض من كرامتها خاصة تلك المتعلقة بمسالة استجابة الدعوة.

فيقول أن هناك امرأة تعرف بالزهراء بنت عواد النوار عاشت خلال القرن العاشر للهجرة، التي كانت تخدم بنت القائد محمد العروسي زوجة الوزير أبي سالم وهي أشرار الخلق كانت تؤذي جيرانها فطلبت مرة من خدمتها أن تعطيها فرس أبيها أبي الحسن ابن الوزير تربطه عندها لتهلك دجاج جيرانها فشكوا الجيران[2] إلى السيدة عائشة فكلمتها وعضتها وطلبت منها أن ترد الفرس إلى مكانه لكنها أبت ذلك، فدعت عليها السيدة عائشة قائلة سيحكم الله في الفرس وربة الفرس ففي الغد جاء كلب وأكل الفرس إلى أن مات في حينه وزوجة الوزير ما إن مضت أياما حتى أصبحت مجنونة تمزق كل ما عليها فقالت السيدة عائشة قضاء الله قد نفذ فلا راد لقضائه[3].

بالإضافة إلى كرامة الطيران في الهواء التي اختصها بعض من المتصوفات وهي تعبير عن صدق الاجتهاد فإذا صار جسمه كروحه، ووصفت بصفاتها وطهرت بطهارتها من دنس الطبيعة والصفات النفسانية يطير في الهواء مع الملائكة ويرى بعينه ما يرى بروحه من الغيب[4]، منهم الولية الصالحة فاطمة العارفة التي كانت من أهل الحظوة والطيران في

[1] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص–ص 385– 386.

[2] – محمد حجي: موسوعة أعلام المغرب، ج2، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ص910.

[3] – محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني: مصدر سابق، ص،ص 23، 27.

[4] – أبو نصر البقلي: مشرب الأرواح، تح إبراهيم الكيالي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2005م، ص 325.

الهواء والتطور في الأطوار المختلفة وهناك قصة لها مع الشيخ سيدي إبراهيم عندما مرض وهو في طريقه إلى المغرب لزيارة الشيخ أبي العباس السبتي (ت 601هـ/1204م) أفاتته السيدة فاطمة على سبيل خرق العادة وكانت تصلح شأنه وتقدم له ما يحتاج إليه فقال لها من أنتي؟، فقالت له: أنا من فاس واسمي" فاطمة"[1].

وهناك من المتصوفات التي تملك كرامة مخاطبة الحيوانات أمثال الصالحة أم خليفة التي تحدث عنها الوسياني(ق6هـ/12م) في كتابه سير الوسياني قائلا: "أن أم خليفة اشترى ولدها شاة وجلبها إلى أمه، فلما دخلت عليها الشاة بكت ونعت وقالت أخرجها علي فإنها حرام وقد أخبرتني بذلك فردها إلى جالبها وسرد له القصة فقال صاحبها مدام ردتها أم خليفة فهي حرام فاخبرني الصدق فقال له إنها وقعت إلى راعي غنم من غنم أخرى"[2].

كما وجدت كرامة تعرف بالنساء الصالحات المستورات عن الخلق، مثل كرامة الحيوان الغريب الذي أرشد العابد إلى الولية فلانة الأندلسية وقدرتها الولائية على تطبيب المرضى، بعد أن كان يجهلها، ولا يعرف من الأولياء الكبار غير أبو يعزى (ت 572هـ/1178م)[3].

كذلك الصالحة أم أصيل التي تعرف بكرامتها في استجابة الدعاء، فقيل انه ذات مرة ذهبت لتهنئ بمولود فتكلم لها المولود قائلا: امضي إلى مسجدك يا أصيل، ودعي من يموت ومن يولد، لو رأيت الثواب الذي يلقاه زائر مسجد الله للصلاة.[4] .

وهناك كرامة أخرى ترى بأن الأخذ بالأسباب مع قوة اليقين بالله هي مدعاة لنيل رضا الله سبحانه وتعالى والتمكين في الأرض؛ فقد جاء أن عجوزا أرادت سقي ركب الحجاج بركوتها من البئر، فانقطع خيط ركوتها، فدعت الله أن يعيد إليها ركوتها، فاستجاب لها الله

[1]– الكتاني: سلوة الأنفاس في محادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، ج1، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د.س.ن)، ص153.

[2] – الوسياني: مصدر سابق، ص575.

[3] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص– ص 387– 388.

[4] – الوسياني: المصدر السابق، ص639.

بأن يهطل المطر، وفاض الماجل وارتفعت الركوة وحصلت العجوز على ركوتها ونال الحجاج حاجتهم من الماء[1]. فهذه الكرامة صورت العجوز الصالحة فأخذت بالأسباب الدنيوية ويقينها بالله كبير أنعم عليها وأجاب دعوتها.

ويذكر أن الزيات أن الصالحة أم عصفور تيغزت بنت حسين الهنتاتي (ت خلال القرن 7هـ/13م)، كانت كبيرة في الشأن ويروى أنها مرضت يوما مرضا شديدا، فرأت في منامها انه دخل عليها عمر بن الخطاب وأبو بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: فأقعداني فوجدت الراحة فنمت من حيني، وقد استرحت من مرضي ووجدت الراحة.[2] كما كانت هناك عدة نماذج لكرامات النساء أوردها السلاوي نقلا عن المقري في كتابه المحضرات" وردت على تلمسان في عام (850هـ/1446م) أن امرأة من رندة كانت لا تأكل ولا تشرب ولا تتبول ولا تتغوط ولا تحيض ولما انتشرت قصتها أنكرها بعض الفقهاء ومن بينهم الفقيه أبو موسى بن الإمام فأخذ الرجال يبعثون بنسائم الدهات إليها فلم يقفن على غير الذي ذكره عنها فسألنها هل تشتهين الطعام ؟ فقالت لهم هل تشتهوا التبن الذي بين أرجل الدواب ؟... فتأكد الرواية على أن الطعام كان بالنسبة لها من شهوات الدنيا[3].

وتفصح كرامات أخرى عن رفض المرأة المتصوفة انتهاك عرضها، أو التعدي عليها بالضرب، فيذكر الشماخي(186هـ/ 802م): "...عجن حارس التين لامرأة صالحة قفة تينها إذ امتنعت منه وقد روادها عن نفسها فشكته إلى ربها فنزلت عليه نارا فأحرقته "[4].

إلى جانب ما تقدم حظيت الصالحة المغربية بكرامة متوجة، تعرف بمقامها الرفيع، مثل كرامة عمود النور الذي يرمز للعلم اللدني الذي وهبه الله لأولئك العابدات المجتهدات، منهن

[1] – البادسي: مصدر سابق، ص 150

[2] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص388.

[3]– إبراهيم قادة: صورة المرأة في الشعر المغاربي حتى نهاية القرن الثامن هجري، مذكرة ماجستير في الأدب المغاربي القديم، إشراف عبد الحميد بن صخرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربة وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009/2008م، ص-ص 119-120.

[4] – الشماخي: مصدر سابق، ص 220.

الولية منية بنت ميمون الدكالي (ت 595هـ/1199م) التي صعد عمود نور من قبرها حتى غلب شعاع الشمس: وشمس السماء ترمز إلى شمس القلوب، وهذه الكرامة تبين ارتقاء منية في مدارج السالكين إلى أن بلغت أعلى درجات الكمال، وامتلأ قلبها بنور العلم اللدني. نفس الكرامة كانت للفتاة الهسكورية (ت خلال القرن 9هـ/15م)، حيث رأى أبو مهدي والفقيه عمود نور يصعد من كهفها إلى السماء[1].

بالإضافة إلى الهواتف التي تعتبر من الكرامات التي تصدع بمكنون المجتمع تجاه المرأة، ويتجلى ذلك واضحا في كرامة الهيل التي خرجت لتعمل الصوف عند مجمعهن فسمعت هاتفا ولم تر شخصا وقد أمرها بالرجوع إلى بيتها ونبهها ما في ذلك من الخير[2]، فهذا الهاتف يمنع هذه المرأة الصالحة من الخروج من البيت تفاديا للفتنة. وهاتف آخر يؤنس سارة اللواتية(النصف الثاني من القرن: 5هـ/11م)[3]، ويجيب عن أسئلة الناس التي يطرحونها عليها[4]. فهذا الهاتف يبين جهل المرأة البدوية ورغبتها في تحصيل العلم حتى وصلت إلى درجة الإجابة على كل الأسئلة المطروحة.

لكن انفردت الولية السيدة عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م)، عن باقي المتصوفات من خلال الجمع بين الكرامات الحسية والكرامات المعنوية بكراماتها الثمانين[5]، من بينها العلم بما في القلوب فغالبا ما تعلم قاصدها بما في قلبه سوى كان في اليقظة أو في المنام، كما حدث مع سعدون الأسمر الذي رأى يوما في منامه سيدي أبا زيان وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[6]، وعليه نور وعلى

[1] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص، ص 265،318.

[2] – الشماخي: مصدر سابق، ص11.

[3] – سارة اللواتية: امرأة لواتية من منطقة سوف كانت عابدة وصالحة. للمزيد ينظر: نفسه.

[4] – نفسه.

[5] – أندري دوتي: مرجع سابق، ص 109

[6] – سورة الأحزاب: الآية 35.

يمينه قصر فقال له الأسمر: وهذا القصر لمن؟ قال لمجهولة عندكم قال قلت له من هي قال لي عائشة المنوبية فدعوت الله أن يلاقيني بها والتقيت بها وسلمت عليها.

ومن كرامتها أيضا، القدرة التي وهبها الله إياها في تصرفها في بعض الأشياء الكونية كالقدرة على مداواة الأمراض المستعصية، وقطع المسافات الطويلة في طرفة عين، كما روي أنها كانت تصلي في الحرم المكي في أي لحظة وقامت بأداء مناسك الحج حوالي ثمانين مرة في عمرها[1].

فمن خلال قصتها مع الولي سيدي عثمان الحداد عاش زمن السيدة عائشة المنوبية في القرن السادس للهجرة، المسمى بوقرين عندما سألته السيدة عائشة يا عثمان أتريد الليلة تصلي في مكة شرفها الله؟ ،قال فطلعنا الجبل المعروف بسيدي ماضي وزرنا الشيخ ابن عبد السلام وقالت لي اقرأ يا عثمان قلت لها: ما اقرأ؟ قالت اقرأ سورة ياسين والفتح والواقعة وتبارك الذي بيده الملك وآية الكرسي وإن أنزلناه في ليلة القدر قال فقرأت ذلك ثم قالت أغمضوا أبصاركم، ففتحنا أعيننا في مكة وإذا بقائل يقول السلام عليك يا سيدة عائشة فقلت له من أين تعرفها فقال لي: أنها في كل ليلة تصلي عندنا العشاء الأخير"[2].

ومن بين كراماتها أيضا استجابة الدعوة إن الله استجاب لدعائها في أيام الجدب وخروج الأهالي للاستسقاء فيقول صاحب كتاب مناقب عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م) في ذلك:" حدثني من أثق به وهو خادمها قال: أصاب الناس ثلاثة أشهر جفاف، وقنط الناس وصلوا عشرون يوما صلاة الاستسقاء. فقلت لها: يا سيدتي ما رأيت بالناس من قلق؟ قلت :وما أصابهم؟ قلت: مات الزرع ويبس من قلة المطر. قالت: صبيحة غد تمطر إن شاء الله مطرا شديدا، قال: فكان الأمر كذلك كما قالت وأمطرنا الله مطرا حتى خشينا من الغرق"[3]

[1] – توفيق بن عامر: مرجع سابق، ص– ص 136– 137.

[2] – المرجع نفسه، ص– ص138–139.

[3] – نادية درقام: مرجع سابق، ص150.

سادساً: متصوفات المغرب ومسألة الحب الإلهي.

بعدما كانت حياة الزهاد في القرون الأولى للهجرة قوامها الزهد والخوف من عذاب النار والشوق إلى الفوز بالجنة، فإذا بحياة الزهاد ترتقي رويدا متجهة نحوى منحى مغاير لا يدفعها إليه خوف من عقاب أو طمع في ثواب وإنما يدفعها حب الله قاصدين مطالعة وجهه الكريم والاستمتاع بجماله الأزلي، ويستمد الحب الإلهي شرعيته من القرآن الكريم والسنة النبوية إذ يقول جل في علاه:﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [1]، وقال أيضا:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[2] و أول من أخرج التصوف من عامل الخوف وإخضاعه إلى عامل الحب[3]هي الزاهدة "رابعة العدوية (100- 180هـ/717-796م)، التي استعملت الحب والعشق تعبيرا عن حبها لله[4].

فتعبر رابعة العدوية (ت 185هـ/801م)عن حبها وعشقها لله سبحانه وتعالى في هذه الأبيات:

أحبك حبين: حب الهوى وحب لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك

وأما الذي أنت أهل له فكشفك بذكر عمن سواك

وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراك

فلا حمدا في ذا، ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك[5]

[1] – سورة المائدة: الآية 54.

[2] – سورة البقرة: الآية 160.

[3]– محمد مصطفى حلمي: ابن الفارض والحب الإلهي، ط2، دار المعارف، القاهرة، (د.س.ن)، ص140.

[4]– أبو عبد العزيز بن إدريس محمود إدريس: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية، مج1، مكتبة الرشد، الرياض، (د.س.ن)، ص 305.

[5] – بوبريك رحال: مرجع سابق، ص105.

فالحب الإلهي ليس شطحاً أو خيالاً، وإنما ثمرة حقيقة للإيمان العميق الذي وينعكس على حياة الفرد بالتهذيب[1]، فكان الحسن البصري رحمة الله عليه يقول: على لسان الله سبحانه وتعالى "إذا كان على عبدي الاشتغال بي جعلت نعيمه ولذته في ذكري، فإذا جعلت نعيمه في ذكري، عشقني وعشقته، فإذا عشقني وعشقته، رفعت الحجاب بيني وبينه، وسرت معالما بين عينيه، لا يسهو إذا سها الناس ..."[2]

ظهر في بلاد المغرب الإسلامي هذا الفكر في القرن الثاني للهجرة وبرزت فيه مجموعة لبأس بها من المتصوفة أمثال محمد بن أبي سهل الصوفي، وابن الفارض[3](ت 622هـ/1225م)[4] وأبو حفص عمر بن عبد الله القتال من الأبدال الذي قال: " اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك حبا لك وشوقا إلى رؤية وجهك الكريم في الجنة فاحنيه مرة في الجنة واصنع بي ما شئت"[5].

ومن أهل القرن 3هـ/9م نجد صدقة الضرير (ت 304هـ/ 917م) الذي قال عند وفاته: " ارفق بحبيبك يا حبيبي ثم فاضت نفسه"[6]، ويبقى الحب الإلهي يحمل نفس المعاني خلال القرن 4هـ/10م ففيه قال أبو علي الحسن بن علي المكفوف الزاهد (ت341هـ/953م):

---

[1]– أبو الوفاء الغنيمي التاقتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط 3، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.س.ن)، ص218.

[2] – محمد جلال شرف: دراسات في التصوف الإسلامي، شخصيات ومذاهب، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، (د.س.ن)، ص123.

[3] – هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي، أصله من حماه السورية، كان أبوه يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام فغلب عليه هذا التلقيب بالفارض، اشتغل الابن بالفقه الشافعي وأخذ الحديث عن بن عساكر، وبعد اشتغاله بالفقه حُبِب إليه الخلاء وسلوك طريق الصوفية فتزهد وتجرد. للمزيد ينظر: روز غريب: بن الفارض وتائيته، رسالة دكتوراه، (د.إشراف)، (د.جامعة)، (د.موسم جامعي)، 1924م، ص–ص16–17.

[4] – أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي: مصدر سابق، ج2، ص417.

[5] – أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي: مصدر سابق، ج1، ص 198.

[6] – أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي: المصدر السابق، ج2، ص 129.

مراض من الأشواق تحيا قلوبهم بذكرك بل كادت إليك تطير[1]

وكان مسجد السبت مجمعا تلقى فيه أشعار الحب الإلهي، يتواجد فيه الزهاد والعباد، وفي هذا يقول أبو الحسن الزعفراني: حضرنا مسجد السبت، فافتتح بعض القوالين فقال:

لا يشغلك عن حبيبك شاغل فإذا فعلت فإن حبك باطل[2]

ثم تبلور معنى الحب الإلهي أكثر خلال القرن 6هـ/12م، إذ اعتنى الصوفية بتقديم تعريف له مثل الولي أبي عبد الله محمد بن يحي الباهلي المسفر قاضي الجماعة ببجاية قال: الحب "...فناء في بقاء وبقاء في فناء، وحاله لطيفة يخفى عنده الفرق بين ناء ودان..."[3]

ومن تمام اعتناء المغاربة بالحب الإلهي أنهم أفردوا له كتبا، ومن أهمها كتاب مشارق أنوار القلوب ومفتاح أسرار الغيوب لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري بن الدباغ (ت 696هـ/ 1297م)، الذي عني فيه بالتعريف بالحب وبواعثه وشرح أنواعه، وتطرق فيه إلى التعريف بالحب الإلهي الذي جعله أصل جميع المقامات والأحوال وضمنه أشعار في الحب الإلهي، وبرر فيه الرمز بالمرأة للحقيقة الإلهية فقال:

لم لا أعَرِّضُ باسم عزة إنها أخذت علي موثقا وعهودا

لو يسمعون كما سمعت كلامها خرو لعزة ركعا وسجودا[4]

بالإضافة إلى المرأة المتصوفة المغربية هي الأخرى كان لها الحب الإلهي طريقا ومسلكا، لكن لا تفيدنا الكتب والمصادر بالمعلومات الكافية إلا بعض الإشارات العابرة في

[1] – أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي: مصدر سابق، ج2، ص 410.

[2] – المصدر نفسه، ص 417.

[3] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص 58.

[4] –أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن الدباغ الأنصاري: مشارق أنوار القلوب ومفتاح أسرار الغيوب، تح هـ ريتر، (د.ط)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.س.ن)، ص 03.

الكتب المناقبية حول نماذج من النساء اللاتي كانت لهن بصمة في الحب الإلهي في بلاد المغرب الإسلامي من بينهن أو بعبارة أخرى التي اشتهرت به هي السيدة الولية عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م)[1]، التي اتبعت نهج شهيدة العشق البغدادية رابعة العدوية (ت 185هـ/801م)[2].

ومن بين نساء القرن 6هـ/12م منية بنت ميمون الدكالي(ت 595هـ/1199م) كانت من أهل العشق الإلهي، ويتضح توجهها في قولها:" وصليت الضحى يوما إلى أن رأيت الحصير الذي أصلي عليه كأنه يرفعه شيء من تحته ...فلما سلمت رفعته فإذا تحته دراهم طرية، فخررت ساجدة أبكي وأقول: أنت مطلوبي! لا سواك فأقلني! فعاد الحصير على الأرض كما كان..."[3]، فكان مطلوب هذه الولية هو رضا الله عز وجل وليس الدراهم، فاستجاب الله سبحانه وتعالى لدعائها؛ فهو دليل على إخلاص حبها، وبلغ بها هذا الحب إلى أن لصق جلدها بعظمها.

تصرح عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م) بالحب الإلهي فتقول: "شربت من بحر الحب ودخلت باب القرب حتى شاهدت الملكوت، وأهل الحب صرعى في حضرة المحبوب، ثم تجلى لي المحبوب فحصلت من حيني على المقصود وظفرت بالمطلوب..."، وكان حبها خالصا لوجهه تعالى، وليس طمعا في ذهب ولا فضة، وفي هذا قالت: "...أنا عرض علي ربي الذهب والفضة والياقوت فقلت يا رب وجهك أفضل من ذلك..."كما كان لها في الحب أحوال كالسكر والوجد؛ فقالت: "...أنا سكرانة طول حياتي وفي مماتي وفي قبري إذا سألني الملكان وجداني هايمة، وإذا لقيت ربي نلقاه سكرانة..."[4].

[1] – توفيق بن عامر: مرجع سابق، ص 143

[2] – عبد العزيز بن عبد الله : مرجع سابق، ص163.

[3] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص318.

[4] – توفيق بن عامر: مرجع سابق، ص 144.

لهذا يقوم تصوف السيدة المنوبية (ت 665هـ/1267م) على محبة الله، والشوق إلى لقائه، ورؤيته، والتطلع إلى وجهه الكريم فكانت بذلك الحب في سكر دائم، مكتفية بمقام القرب، مع تنزيه الذات الإلهية، والالتزام بالأدب مع الله.فلم تكن تطمع في أكثر من البقاء في حضرة المحبوب وفق مبادئ المدرسة الشاذلية ومبادئ التصوف السني بوجه عام.

ومن هذا المنطلق يمكننا الوصول إلى غاية الصوفي وهي التواصل مع" الحق" سبحانه وتعالى وهذا ما أرادت شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية(ت 185هـ/801م)، ومن سلك طريقها من متصوفات المغرب الإسلامي اللاتي كانت غايتهن كشف الحجاب بينهن وبين الله جل شأنه[1]، فكان الحب الإلهي عند صالحات المغرب هو الحب الخالي من الفلسفة، فكان أسلوب الحب لديهن بسيط وصادق، فمعظم من سلك هذا النهج هن النساء اللاتي يعبرن عن الحب الإلهي لرقة عواطفهن.

[1] – نصر حامد أبو زيد: مرجع سابق، ص 156.

خاتمة جزئية:

- بناء على ما ورد في هذا الفصل نخلص إلى عدة استنتاجات نوضحها في النقاط التالية:

- انتماء النساء المتصوفات إلى شرائح المجتمع من قمته إلى قاعدته، منهن البدوية والحضرية وكذا الجارية والحرة، بالإضافة إلى الشابة والعجوز، أيضا البكر والثيب...وغيرها.

- انحراف التصوف المغربي في أواخر العصور الوسطى، إذ دخلت إليه بعض الطوائف ساهمت في تغيره عما سبق، بالإضافة إلى تغير منهج وسلوك المتصوفات؛ فأصبحن مصنفين ضمن المجنونات أو المجذوبات أو الهائمات، فيقصد باسم المجنونات أو المجذوبات في المعنى الصوفي بأن الله جذبهن له وسلب عقولهن ورفع عنهن تكليف العقل؛ لأن المجذوب لدى الصوفية هو من جذبه الحق وأصبح متقربا من حضرته.

- عرف المسلك الصوفي للمرأة المغربية اتجاهين اثنين هما:

- اتجاه الزهد والورع والاجتهاد في العبادة فيما يعرف بالتصوف السني، بعيدا عن الأحوال والمقامات والحياة الفلسفية.
- اتجاه التفرغ للمجاهدة ولقاء الأولياء والسياحة في الأرض.

- حرص المتصوفات المغربيات على تحصيل العلم؛ بخاصة حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي، كما كان لهن حظ وافر من العلم اللدني مثل الشابة الهسكورية التي لم تبلغ الحلم التي خاطبت الفقيه يغمور بن خالد، ووصف هذه العلوم بأنه لا يعرفها، و السيدة عائشة المنوبية.

- تميز متصوفات المغرب بأسلوب حياة مغاير عن باقي الشرائح الاجتماعية، من حيث زهدهن وتقشفهن في المأكل والملبس والمسكن، فكان هذا ما تسعى إليه المرأة المتصوفة من خلال زهدها في الدنيا والعكوف على العبادة والانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى.

- نيل المرأة المغربية المتصوفة أعلى رتبة في التصوف ألا وهي درجة القطبية التي وصلت إليها السيدة عائشة المنوبية التي تقول وتردد: " أنا قطبة الأقطاب".

- خصت المرأة المتصوفة بكرامات خاصة، بالرغم من اشتراكها في العديد من الكرامات مع الرجال ومن بين هذه الكرامات:

كرامات الستر، كرامات رفض ضرب النساء، وكذا التعريف بالمجهولات منهن كالعابدة فلانة الأندلسية.

الفصل الثالث

تواصل المرأة الصوفية وعلاقاتها مع المجتمع

أولاً: واقع المرأة الصوفية وعلاقتها بأسرتها.

ثانياً: تجليات علاقة المتصوفات بالمتصوفة الرجال.

ثالثاً: علاقة المرأة الصوفية بالفقهاء.

رابعاً: علاقة المرأة الصوفية بالسلطة.

خامساً: علاقة المرأة الصوفية بالمجتمع.

سادساً: مساهمة المرأة في نشر التصوف المغربي.

الفصل الثالث: تواصل المرأة الصوفية وعلاقاتها مع المجتمع.

أولا: واقع المرأة الصوفية وعلاقتها بأسرتها.

رَغَّب الإسلام في اختيار الزوجة الصالحة على أساس الدين وحثت السنة النبوية المسلم على الزواج بالمرأة الصالحة ذات الدين لسعادته في الدنيا والآخرة؛ وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم مواصفات لاختيار الزوجة الصالحة؛ فقال:﴿ تنكح المرأة لأربع، لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فأظفر بذات الدين تربت يداك﴾[1]؛ فالمرأة الصالحة العفيفة هي المؤهلة لطاعة زوجها كما أمرها الله سبحانه وتعالى وكذا تربية أبناءها تربية صالحة، فتقوم بشؤونهم وتغرس فيهم حب الله ورسوله وحب الدين وتعاليمه السمحة، وفي هذا الإطار ترشدهم إلى الطاعات كالصلاة والصيام، وقراءة القرآن، وتحذرهم من ارتكاب المعاصي والابتعاد عن كل منكر.

وهناك من عزفت عن الزواج من المتصوفة النساء وتجردت لعبادة الله حتى اللحد، فكثيرا ما نجد في ترجمة بعض المتصوفة أنها لم تتزوج قط، فأخت عبد العزيز التونسي انقطعت للعبادة إلى أن ماتت وهي بكر، والفتاة الهسكورية(ت خلال القرن 9هـ/15م) التي كانت معتكفة بكهف بجبل درن لم تبلغ الحلم وماتت على ذلك الحال، وكذلك عائشة القرطبية (ت400هـ/1009م)[2] التي كانت أبرع نساء عصرها وأعلمهن توفيت وهي بكر[3]، ويذكر البرزلي(738-841هـ/1337-1438م) أن جماعة في عصره كرهت الزواج في

---

[1] – فتح الباري في شرح صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، رقم الحديث 4802.

[2] – عائشة القرطبية: هي عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم، أديبة وشاعرة من قرطبة، كانت حسنة الخط ، فكانت تمدح الملوك، عنيت بجمع الكتب، توفيت وهي بكر سنة 400 للهجرة /1009ميلادي، قال عنها ابن حبان لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من تعادلها علما وفهما وأدبا وفصاحة شعر. للمزيد ينظر: زينب فوار: الدرر المنثور في طبقات ربات الخدور، (د.ط)، مؤسسة هنداوي لتعليم والثقافة، مصر، 2012م، ص491.

[3] – مريامة لعناني: الأسرة الأندلسية في عصري المرابطين والموحدين، مذكرة ماجستير، إشراف عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، (د. موسم الجامعي)، ص14.

زمانه لكثرة الفتن وتعذر العيش[1]؛ وذلك لشدة الخوف من الله سبحانه تعالى فوعظ إسماعيل بن رباح (ت212هـ/ 828م) المريدين فيقول لهم: "كيف تصل يا أخي إلى ثواب الله عز وجل وقد علمت أنك عصيت الله مرارا كثيرة وقد تعرضت لسخطه ...وأنت تأوي إلى النساء ولو كنت عصيت بعض الآدميين أو كان السلطان يطلبك بذنب لما هنأك عيش ولا أتيت النساء، ولخرجت هاربا في البلاد مخافة سخطه وعقابه وسجنه"[2].

وكذلك عزف الرجال عن الزواج لشدة خوفهم من الله سبحانه وتعالى من عدم معاشرة أزواجهن بالمعروف وفي هذا الشأن سئل أبو الطيب من مدينة صفاقس عاش في القرن 6هـ/12م: هلا تزوجت؟ فرَدَّ قائلا: ما رغبت عن التزويج عجزا عنه وإني لفحل وما منعني منه قوله جل في عُلاه[3]:﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[4] .

أما عن النساء وسبب عزوفهن عن الزواج لم تذكر المصادر سوى التفرغ للعبادة، فسئلت رابعة العدوية (100- 180هـ/717-796م): هل تتزوجين؟ فأجابت: الزواج ضروري لمن له الخيار؛ أما أنا فلا خيار لي في نفسي؛ إني لربي وفي ظل أوامره، ولا قيمة لشخصي[5]، فكانت تقول:

راحتي، يا إخوتي، في خلوتي	وحبيبي دائما في حضرتي
لم أجد لي عن هواه عوضا	وهواه في البرايا محنتي
حيثما كنت أشاهد حسنه	فهو محرابي، إليه قبلتي
إن أمت وجدا وما ثم رضا	واعنائي في الورى! واشقوتي!
يا طبيب القلب يا كل المنى!	جد بوصل منك يشفي مهجتي
ياسروري وحياتي دائما	نشأتي منك وأيضا نشوتي

[1] – البرزلي: مصدر سابق، ج2، ص176.

[2] – أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي: مصدر سابق، ج1، ص- ص 341- 342.

[3] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص161.

[4] – سورة النساء: الآية 19.

[5] – رفيق العجم: مرجع سابق، ص 736.

نستشف من خلال هذه الأبيات أن رابعة العدوية(100- 180هـ/717-796م) ترى استحالة الزواج بالنسبة إليها، لأنها مشغولة بأمور الآخرة والحياة الروحية ومسائلها، فكيف لها أن تتفرغ للزوج والحياة الدنيا[1]، بالإضافة إلى السيدة عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م) هي الأخرى التي فضلت العزوف عن الزواج لما عرض عليها، فنذرت نفسها للتبتل وتلاوة القرآن والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى طلبا لرضاه[2].

لكن هناك من المتصوفة من يرى عكس ذلك، فيرون الزواج وسيلة للتقرب إلى الله، ونيل الآخرة، ودفع للوسواس، وفي هذا الصدد يقول أبو إسحاق السبائي (ت 356هـ/967م): "إنما يتزوج الرجال خوفا من الوسواس، وقد كان رجال يتزوجون من غير حاجة إلى النساء وإنما يطلب الإنسان الدنيا خوفا عن الدين"[3]، و هناك من لم يكن به إلى النكاح حاجة؛ فأبو يزيد رباح بن يزيد اللخمي(ت172هـ/789م)[4] عرض عليه رجل من أملياء القيروان أن يزوجه ابنته وكان لها مال عظيم؛ إلا أنه رفض وتزوجها بنت مقعدة من أجل الدعوة[5].

ولهذا تباينت مواقف الصوفية تجاه الزواج بين الابتعاد والإقدام على الزواج، فكثير من المتصوفة قرروا تطليق زوجاتهم والابتعاد عن الأهل، فأبو زكريا يحي بن محمد بن عبد

[1] – عبد الرحمان بدوي: شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1962م، ص 52.

[2] – توفيق بن عامر: مرجع سابق، ص134.

[3] – أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي: مصدر سابق، ج2، ص503.

[4]– أبو يزيد رباح بن يزيد اللخمي: متصوف كان من الأبدال صالحا فاضلا وزاهدا مستجاب الدعوة له كرامات مشهورة للمزيد، توفي سنة مئة واثنين وسبعين عن عمر يناهز ثمان وثلاثين سنة، دفن بباب سلم بجوار قبر البهلول ابن راشد. للمزيد ينظر: المالكي: مصدر سابق، ص 300. والدباغ: مصدر سابق، ج1، ص، ص216، 217.

[5] – الدباغ: المصدر نفسه، ص256.

الرحمان التادلي (ت 576هـ/1180م)[1] تزوج بامرأة جميلة الصورة فيقول: أخاف الفتنة من بقائي مع هذه المرأة الجميلة ...وأرى الدنيا قد أقبلت علي. فطلقها وتوجه إلى مكة[2].

وطبع الزواج عند أهل التصوف بطابع يعرف بركاب العرايس فيصبح المريدون هم الشهود العدول وليس الشهود الذين يقدمهم القاضي[3]، كما أخذت حفلات الزفاف شكل مجالس الذكر والابتهال فيقوم المريد بـ" إدخال العروس بيته بالذكر وهو...لما ورد فيه من العادات المشعرة بها كالدف والغربال والوليمة والدخان والغناء المباح لذلك، المعروف من الشريعة فيه، ولو كان محللا للذكر ما أغفله الشارع ولا أهمله السلف..."[4].

لقد كان للعديد من المتصوفة عدة زوجات؛ منهن الزوجة المؤذية والزوجة الصابرة على الضنك العيش، وتباينت مواقف المتصوفة من الزوجة المؤذية فأبو الحسن الحرالي الأندلسي(637هـ...)[5] كانت زوجته تؤذيه وتشتمه فكان يبتسم ويدعو لها[6]، وهناك آخر كانت زوجته سليطة اللسان ويقاسي منها أمرا عظيما، قيل له طلقها، فرد عليهم أن والدها يفعل معي جميلا ويرفقني بما قدر عليه أفتكون مكافأتي له طلاق ابنته، وقال أيضا أخشى أن طلقتها أن يبتلى بها مسلم[7].

---

[1] – أبو زكريا يحي بن محمد بن عبد الرحمن التادلي: كان صالحا وورعا و مستجاب الدعوة، من أهل تادلا مات بفاس ودفن في روضة الفقيه أبي اسحاق بن قرقول. للمزيد ينظر: محي الدين الطمعي: مرجع سابق، ص510.

[2] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص 246.

[3] – الدباغ: مصدر سابق، ج4، ص 121.

[4] – أحمد زروق: عدة المريد الصادق، تح الصادق بن عبد الرحمان الغرياني، ط1، دار بن حزم، بيروت، لبنان، 2006م، ص 301 .

[5] – أبو الحسن الحرالي الأندلسي: وهو أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التجيبي الأندلسي، ولد بمراكش واخذ علم النحو عن ابن خروف له تصنيفات في علم المنطق، توفي سنة 637هـ. للمزيد ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ج 23، (د.ط)، مؤسسة الرسالة، 2001م، ص47.

[6] – أحمد بابا التنبكتي: مرجع سابق، ص320.

[7] – الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص25.

أما الزوجة الصالحة الصابرة مع زوجها فقد كانت تصبر على الفقر فزوجة أبو عمران موسى بن الحاج الرجراجي أمرته بأن يبيع السرير الوحيد الذي يمتلكانه من أجل إكرام الضيف[1]، وهناك من كانت في جنازة زوجها وهي تقول: " رحمك الله لقد كنت ترضي ربك وتسر زوجتك..."[2].

والغريب في الأمر أن هناك شيوخ يحجر على زوجته بعد وفاته، فالشيخ أبي عبد الله بن مرزوق (ت842هـ/ 1438م) نهى زوجته فاطمة بنت أبي زيد النجار عن الزواج بعده، فلما زَوَّجَها أخوها بعد وفاته من القاضي أبي زكريا يحي بن عصفور غضب السلطان عليها؛ فندمت الزوجة فاطمة ولم يفارقها الدمع حتى ماتت[3]، وهناك من يمنع زوجته من التداوي لغرض الإنجاب لأنه في نظره اعتراض على حكم الله[4].

أما عن تعامل المتصوفة مع أبنائهم، فكانوا يعتنوا بتربية أبنائهم ليورثوا لهم الصلاح، وهناك من كان يشارك أبناءه في سياحته ويخصص لهم مكان في كل مسجد يحل به[5]، أو يدخل بهم الصحراء على قدم التجريد مثلما فعل أبو العباس أحمد المعروف بالحرمل (ت 612هـ/1216م)[6]، وهناك من يعتني ببناته فينفق عليه ويقوم بتجهيزهن عند الزواج[7]. والشيخ أبو إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي فكان يتفقد الصبيان في مكاتبهم فيسأل عن الأيتام وأولاد الفقراء فيكسوهم يتصدقون على أولاد الفقراء ويحرمون أولادهم، بل ويجرد بعضهم أولاده من ثيابهم ليكسوا بها أولاد الفقراء[8].

---

[1] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص237.

[2] – الدباغ: مصدر سابق، ج2، ص 351.

[3] – أبو عبد الله محمد بن مرزوق: مصدر سابق، ص16.

[4] – الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص133.

[5] – عبد الحق بن إسماعيل البادسي: مصدر سابق، ص98.

[6] – العباس بن إبراهيم السملالي: مصدر سابق، ج1، ص346.

[7] – أبو عبد الله محمد بن مرزوق: مصدر سابق، ص16

[8] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص 241.

كانت المرأة الصالحة إذا بلغ ابنها سن السابعة من عمره، أمرته بأداء الصلوات المفروضة، كما يرسل في هذه السن إلى الكُتَّاب ليتعلم القرآن الكريم و مبادئ اللغة العربية ويتم تلقين الطفل خلال سنوات التعليم الأولى، القرآن الكريم والشعر والخط، وتعتبر هذه المنهجية سليمة حيث تمكن الولد من التحكم في اللغة العربية، وتفتح أمامه أبواب العلوم المختلفة، كما حاولت المرأة الصالحة تربية أولادها تربية حسنة وتوجيههم التوجيه السليم، مما ساهمت في الحفاظ على المجتمع المغربي[1].

ومما سبق يتضح أن الأسرة الصوفية لم تمثل النموذج الذي يحتذى به في بناء مجتمع قوي ومتماسك، فمظاهر التفكك الأسري طاغية على الأسر المتصوفة، بالإضافة إلى ترك زوجاتهم وأسرهم بلا معيل ولا مال، وكذلك الدخول بالعيال في الصحراء على قدم التجريد.

لكن هذا لا يمنع من وجود أسر وعائلات كان تصوفها مثمرا، إذ أعطت لنا بيوتات العلم والصلاح؛ بداية بعائلة ربيع القطان في القرن 3هـ/9م، وكذا أسرة الماجري في القرن 7هـ/13م، بالإضافة إلى أسرة المرازقة في القرن 7هـ/13م، وغيرها من بيوتات الصلاح التي تطرقنا إليها في الفصل الأول.

[1]– ابن حزم الأندلسي: رسائل بن حزم الأندلسي (374–456)، تح إحسان عباس، ج1، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1987م، ص166.

ثانيا: تجليات علاقة المتصوفات بالرجال المتصوفة.

إن الإنسان بطبعه اجتماعي ويحبذ الاختلاط بالآخرين لتبادل العلوم والمعارف، ولولا هذا التداخل الاجتماعي لبقي الفرد جاهلا، لهذا لا تبنى المجتمعات على الانعزال والتنافر، بل كل ما توحد الناس وتقاربوا سادت بينهم المحبة والوئام، كما أولى فقهاء الغرب الإسلامي وعلماؤه ابتداء من القرن 8هـ/14م أهمية كبرى لمسألة "الشيخ" وبحثوا مدى ضرورته للمريد بهدف تنشئته على الأخلاق الصوفية ومساعدته في ترقي درجات الطريق الصوفي وقطع مقاماته وهو ما يصطلح عليه بالتربية الروحية[1]، أما بخصوص صحبة ومعاشرة المتصوفات مع المتصوفة الرجال انقسمت إلى مستويين:

أ- صحبة المريدة للشيخ.

ب- صحبة الشيخة للمريد.

أ- صحبة المريدة للشيخ:

لم تذكر المصادر على صحبة المريدة للشيخ إلا القليل من بينهم ابن مرزوق (629-681هـ/1231-1282م) الذي قام ببناء دويرة ملاصقة لداره، وكن نساء صالحات، ويدخل كل ليلة، فيسألهن عن حالهن و يقوم بمئونتهن، كما كان يجالسهن ويتحدث معهن[2].

وكذلك السيدة عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م) التي واظبت على حلقات الذكر بمقام الشيخ أبي الحسن الشاذلي (ت 656هـ/1258م) ونهلت منه مبادئ الصوفية؛ فأصبحت بذلك من مريديه وأتباعه المرموقين، وفضلت الإقامة بجوارهم والتقت ببعض أصحاب أبي الحسن الشاذلي (ت 656هـ/1258م) الأربعين، وقد جاء في مناقبها أنها التقت بالشيخ الشاذلي (ت 656هـ/1258م) نفسه، وألبسها خرقة الصوفية مما دل على

[1] - محمد الكحلاوي: مرجع سابق، ص 111.

[2] - أبو عبد الله محمد بن مرزوق: مصدر سابق، ص22.

انضمامها إلى طريقته، وقد أكدت بنفسها انتمائها إلى هذه الطريقة ولقاءها مع الإمام الشاذلي وذلك في قولها:

"أنا شاذلية، وقطبة أقراني، رأيت الشاذلي وأعطاني خاتمه من إصبعه، وقال: أنا وليتك طريقتي. ورأيت الشاذلي مرة أخرى وأعطاني علمه وصبره"[1].

أخذت السيدة عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م) علوم اليقين من الصالح الجليل وحبر الصوفية الإمام أبي الحسن الشاذلي (ت 656هـ/1258م)، ولها مع شيخها أخبار مذكورة، وأحاديث مشهورة يرويها محبوها سلفا عن خلف[2].

يرى بعض من ترجم لها أنها أخذت علوم الطريق عن أبي سعيد الباجي (ت 628هـ/1231م)[3] شيخ الشاذلي عندما كان مستقرا بجبل التوبة، وقبل أن ينتقل إلى جبل المنار، بينما رأى آخرون أن لقاء المنوبية بالإمام الشاذلي كان مجرد تتلمذ روحي، وتأثر غير مباشر بتعاليم طريقته الصوفية، ولم يكن بينهما لقاء على صعيد الواقع والتاريخ[4].

فيذكر الباحث عادل النفاتي بخصوص المرأة أن مجال التصوف والاعتقاد في الأولياء هو مجال لتأر المرأة لنفسها على مستوى الممارسة الدينية، فلأن تردد المرأة على المساجد

---

[1]– توفيق بن عامر: مرجع سابق، ص141

[2] – التادلي: مصدر سابق، ص75.

[3] – هو الباجي أبو سعيد خلف الله يحي التميمي(551–628هـ/1156–1231م) ولد بباجة ناحية منوبة، كان من أهل العلم والصلاح، رحل هو وزوجته التي كانت من الصالحات إلى الحج سنة 603هـ، اشتهر بالزهد والورع والبركة، فهو من أولياء الله الصالحين ومن أرباب الأحوال، تتلمذ عنه أبو الحسن الشاذلي والهواري، كرَّس حياته في فعل الخير وإغاثة الناس والاجتهاد في قضاء حوائجهم مع طلب العلم والانقطاع إلى الزهد والتأمل والمجاهدة و الاعتكاف في الخلوات والمرابطة في المغارات، وقد تأتيه الأموال والأطعمة بكميات كبيرة فيوزعها على المحتاجين ويفك بالمال أسرى أو آسارى لدى النصارى أو يسدد بها ديونا بذمة زواية كان قد أنفقها على الفقراء والمحتاجين والزوار، وكان شديد الملازمة لمسجده بدرب أبي زبيدة بتربية الباي، وكانت علاقته برجال السلطة من الموحدين قائمة على عدم التواصل، رغم مساندة بعضهم للتصوف. للمزيد ينظر: خديجة السمعلي: "الفكر الصوفي من خلال مناقب أبي سعيد الباجي"، **مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث**، قسم الدراسات الدينية، المملكة المغربية، الرباط، (د.ع)، (د. تاريخ الصدور)، ص– ص 09–10.

[4] – توفيق بن عامر: المرجع السابق، ص141.

والجوامع لا يتم بنفس الدرجة على الرجال ولأن علاقتها بهذه الأفضية المقدسة من أضعف من علاقة الرجال بها وقد يكون ذلك لأسباب حضارية أكثر مما تكون بنصوص دينية مكتوبة لذلك أقبلت المرأة على الاعتقاد في الأولياء وارتياد الأضرحة لتستمد منها سلطة دينية مضادة ولقد استمد الباحث إحصائيات من بحث أنجزه الباحث محمد نجيب والراهم بعنوان "أبو الحسن الشاذلي(ت 656هـ/1258م) الولي، سيرته، مقامه وزواره" والذي أكد أن نسبة النساء المترددات على زاوية بلحسن الشاذلي تقدر بـ73% مقابل 27% فقط للرجال، أما غاية تردد المرأة على هذه الأفضية هو بغرض التقاط البركة وجلب الرخاء للعائلة[1].

ب-صحبة الشيخة للمريد:

مثلت فاطمة بنت المثنى من اشبيلية رمزا من رموز المشيخة الصوفية؛ فهي من أبرز نساء التصوف اللواتي تتلمذ على أيديهن وخدمهن كبار المتصوفة، وهي أستاذة الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي (ت 638هـ/1241م) التي رافقها وهي في سن الخامسة والتسعين وخدمها خدمة المريد للشيخ بتفان[2]. وهي التي كانت تقول في حقه: "ما منكم أحد يدخل علي ببعضه ويترك بعضه في أغراضه وداره وأهله إلا محمد بن عربي ولدي قرة عيني، فإذا دخل علي دخل بكله وإذا قعد بكله. لا يترك خلف نفسه شيئا. وهكذا ينبغي أن تكون الطريق.

ومثلت فاطمة الاشبيلية النموذج لبلوغ النساء الكمالات باتخاذهم إلى ذلك سبيلا. وأثبتت أن العبودية والترقي في المقامات ليست حكرا على الرجال[3]. مصداقا للآية الكريمة: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾[4].

واشتهرت الكثير من المتصوفات بالغرب الإسلامي بالممارسة الفردية، وبالتعبد بالمغارات، واتخاذ خلوات، منهن: الولية عزيزة من سكان مراكش من قبيلة سكساوة؛ حيث

[1] – عادل النفاتي: مرجع سابق، ص- ص 144- 145.

[2] – بوبريك رحال: مرجع سابق، ص118.

[3] – المرجع نفسه، ص119.

[4] – سورة المطففين: الآية 26.

مثلت نموذج الولية الجبلية التي نالت احترام وتقدير وتبجيل القادة والساسة الكبار في زمانها[1].

كانت السيدة عزيزة السكسوية (ت خلال القرن 9هـ/15م) تشرف على طائفتين من النساء والرجال، "...وكل طائفة اشتغلت بالمجاهدة والعبادة في جهة ما يخصها، ويضرب لها قيطون بالوسط بمقربة من طائفة النساء ولا يتحرك أحد إلا عن أمرها..."[2]، وهذا يدل على أن للعزيزة السكسوية (ت خلال القرن 9هـ/15م) أتباع ومريدون كثر من النساء والرجال، يأتمرون بأمرها ويقفون عند نهيها.

بالإضافة إلى السيدة عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م)التي كانت لها زاوية ويأتونها مريدوها من كل حدب وصوب والدليل على ذلك في هذه القصيدة:

زوروها راهي محبوبة والخدمة فيها مطلوبة

حضرتها لاله منصوبة نعم الحضرة الشاذلية

يا داخل في هذي الحضرة تسعد في الدنيا والأخرى[3]

وجاء في سياق ترجمتها أن "...أهل العلم غاروا منها وأخذتهم عليها غيرة السنة...فجاءوا إلى السلطان وقالوا له هذه طفلة صغيرة تبيت مع الرجال وهذا لا يحل في شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدوا الفقير متاعها وسوطوه..." وهذا يوضح اتخاذ السيدة عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م) مريدون رجال، وأصبحوا ينتسبون إليها، ومنهم

[1] – نادية درقام: مرجع سابق، ص– ص169–170.

[2] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص– ص 86–87.

[3] – توفيق بن عامر: مرجع سابق، ص141.

أكابر علماء الدولة الحفصية، وكان من مريديها المقربين عثمان الحداد الذي كان يرافقها ويتنقل معها أثناء سياحتها[1].

أيضا منية بنت ميمون الدكالي (ت 595هـ/1199م) يذكر بن الزيات ويقول: "... زرتها ورأيتها عجوزا قد اسودت من الاجتهاد ولصق جلدها بعظمها" ويقول أيضا:" حدثني أبو عبد الله محمد بن خالص الأنصاري قال: رأيت منية(ت 595هـ/ 1199م)في رباط شاكر، فصليت بها في جماعة المريدين وانصرفت عنهم، فأخبرني بعض من تحدث معها من المريدين أنها قالت: حضر هذا العام بهذا الرباط ألف امرأة من الأولياء"، وكانت هذه الولية تلتقي بالمريدين وتحدثهم في محل إقامتها بالجانب الشرقي من مراكش، فكان يحضر إليها عيسى بن موسى الذي كان يمكث عندها[2].

[1] – توفيق بن عامر: مرجع سابق، ص145.

[2] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص 317.

ثالثا: علاقة المرأة المتصوفة بالفقهاء.

لقد شهدت بلاد المغرب الإسلامي أزمات وصراعات فكرية وعقائدية بين الدعاة المالكية وأصحاب التيار الصوفي الذين اتهموا بالزندقة واعتبروهم فرقة ضالة، ومع بدايات القرن الثامن للهجرة شمل هذا العداء حتى فئة النساء اللاتي عرفن بالصلاح وقام العلماء بمنعهن من ممارسات طقوسهن الصوفية، ونادوا بوجوب الإنكار عليهن وتشتيت شملهن ومنعهن من الاختلاط بالرجال خاصة للحضور لمجالس العلم، حيث أنكر طلبة بن القابسي (ت 403هـ/1012م) على العجوز الصالحة حضور مجلس أستاذهم الذي نظمه في مسجد القيروان[1].

كما حرصوا على مراقبة ممارسات النساء الصالحات وانتقدوا تصرفاتهن ونعتوها بالبدعة، مثل ما حدث مع السيدة عائشة المنوبية (ت665هـ/1267م) التي تعرضت لعدة انتقادات من قبل فقهاء عصرها أمثال الشيخ محمد بن مبارك الذي صدق من أشاع عنها إنها مجنونة وقد جيء في مناقبها أن الفقهاء افتتنوا بجمالها وأخذتهم الغيرة فجاؤوا إلى السلطان وقالوا: "هذه طفلة صغيرة أن تبيت مع الرجال، هذا لا يحل في شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشدوا الفقير متاعها وسوطوه...".[2]

في الوقت نفسه قام بعض القضاة بالتشديد على النساء الصالحات ومنعهن من الذهاب إلى الزوايا، في هذا قال البرزلي(738-841هـ/1337-1438م): "...وأما مجالس النساء في المواعظ والتذكير فالإنكار عليهن فيه كثير لما فيه من مخالفة الشريعة وبعض المناكير ولم يزل القضاة ينكرون عليهن وتجري عندهم مسائل في الفتوى ما أنزل الله بها من سلطان

[1]- الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص141.

[2]- التادلي: مصدر سابق، ص124.

على ما يذكر خالطهن...وهن حبائل الشيطان فإذا ثبت ذلك وجب الإنكار عليهن وتشتيت شملهن..."[1].

كما كانت تجتمع النساء بالليل في الزوايا لممارسة طقوسهم الخاصة بهن، فأمر قاض تونس هدم زاوية خارج المدينة تجتمع فيها النساء بالليل، وكن يخرجن من البلد إليها ويجتمعن على التغبير وغيرها من الأعمال المنسوبة إليهن[2]، وقد كان يقال لا شيء أضر عليهن من كثرة الخروج "...ومن انتصب منهن لهذه المجالس فإنما لجمعهن الدينار وتخليق النساء على أزواجهن وذكرهن في مجالسهن ما يخالف طرق الشريعة..."[3] لأن في نظرهم المرأة غير مكافئة للرجل وأقل شأنا منه، وقاموا بالحط من قيمتها، وشبهة المرأة أنها ناقصة عقل في الإسلام مستندين على قول النبي صلى الله عليه وسلم" ما رأيت ناقصات عقل ودين من أحداكن" ولا يذكرون الحديث بتمامه[4] .

حرم الفقهاء مجالس السماع[5]، التي كانت تقام للذكر حيث كانت الصالحة أم الزين الجمالية بجمال، ولالة[6] الخضراء[7]، بمجالس الوعظ التي كان يقمنها النساء على سبيل الاجتهاد، حيث كانت فاطمة الأندلسية (ت خلال القرن 7هـ/13م) تحضر مجالس الوعظ

---

[1] – البرزلي: مصدر سابق، ج6، ص– ص428 – 429.

[2] – البرزلي: مصدر سابق، ج5، ص 454.

[3] – البرزلي: مصدر سابق، ج3، 589.

[4]– رشيد عموري: " المرأة بين شبهات الخصوم وأخطاء بعض العلماء المسلمين"، **المرأة في الغرب الإسلامي**، مرجع سابق، ص15.

[5]– السماع لغة وهو ما يطلق عليه الإدراك ، كالإدراك بأحد الحواس الحسية ، ويراد به الانقياد والطاعة، وقد يطلق بمعني الفهم والإحاطة. وعند الصوفية يقصد التواجد او الغناء، لأنه في نظرهم طريق الوصول والفناء. للمزيد ينظر: علي بن السيد أحمد الوصفى: موازين الصوفية، تقديم سعد عبد الرحمن ندى، (د.ط)، دار الإيمان، الإسكندرية، 2001م، ص، ص 110، 112.

[6] – كلمة لالة: وهي كلمة بربرية تعني المرأة الصالحة ، تدل على تشريف المرأة المغربية وانتشرت هذه اللفظة في شمال إفريقيا وتعني السيدة وهي كلمة مخصصة لنساء الصالحات ، ذوات النسب الشريف. للمزيد ينظر: ادموند دوتي: مرجع سابق، ص 24.

[7] – أبو العباس التادلي: مصدر سابق، ص 33.

التي كانت تقام بفاس عند أبي مدين شعيب،[1] وفي ما يخص رأي الفقهاء في المسألة الأفعال التي تقوم بها النسوة المتصوفات، قاموا بإصدار فتاوى في حقهن، من بينهم فتوة الفقيه العقباني بقوله: " وأما ما يقع في بلدنا و وطننا من اجتماعهن على احتفال أو تزيين، فليلحقن دائرة على الرجل غير محرم يغنيهن ويطربهن، فمحرم اتفاقهن مما يردي فاعله في النار "[2].

لكن التصوف تجاوز هذه الرؤية الدينية الفقهية التي حاولت مرارا التنقيص من قيمة المرأة والتأكيد على دونيتها، حيث يرى ابن عربي التساوي بين الرجل والمرأة في مراتب الإحسان والولاية والصلاح، انطلاقا من مصدرين، وهما القرآن والسنة النبوية الشريفة[3]. خاصة مع انتشار التصوف في أواخر القرن السادس وبدايات القرن السابع هجري، وتسربه لفئات المجتمع المختلفة وخاصة فيما يتعلق بمسألة الكرامة التي حيرت عقول البشر، والتي من خلالها وجدوا المتصوفة طريقهم لدخول والتغلغل داخل العامة، وكسبوا اهتمامهم وتقديرهم[4].

فتغير فيما بعد نظرة الفقهاء لهؤلاء المتصوفة، ويتحول الاعتقاد في أصحاب التصوف وأوليائه إلى شرط في سلامة الإيمان، حيث يذكر الغبريني (ت 704هـ/1303م)، في كتابه عنوان الدراية: " وقد يقع في هذا الإنكار من ملحد لا علم له وحقه الإعراض عنه وعدم الالتفات إليه، وان زاد فيصفع في وجهه عوض قفاه ، كما جمع الله له الخزي في أولاه وأخره".

---

[1] –ابن الزيات: مصدر سابق، ص332.

[2] – آسلي ميمون وخثير بوزيان: المرأة في تلمسان على العهد الزياني(633هـ/ 962م)، إشراف، قراوي نادية، مذكرة ماستر، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الطاهر مولاي سعيدة، 2015/ 2016م، ص 88.

[3] – رحال بوبريك: مرجع سابق، ص 115.

[4] – بلحاج محمد: مرجع سابق، ص35.

وهذا إن دل على شيء فهو يدل على الإيمان بالأولياء وكرماتهم شملت حتى فئة الفقهاء والعلماء في بلاد المغرب الذين لهم صيت في المجتمع أمثال: عبد الرحمان بن خلدون الذي ألف كتاب في التصوف و عرف بدفاعه على عن طقوس المتصوفة و شطحاتهم[1].

لكن بقي هناك أشكال حول المرأة المتصوفة وفي مسألة الاعتقاد بكرامتها، حيث يرى أغلبية الفقهاء بأن المرأة ليست على قدر كافي من العلم الشرعي أو انعدامه إن صح التعبير وإن كانت على درجة كبيرة من الصلاح وأن من واجبها طاعة زوجها والقيام ببيتها دون الخوض في أي نشاط خارجي [2].

فهل استطاعت المرأة المغربية استغلال دخولها حيز التصوف إن تجاوز نظرة الفقهاء الدونية إليها؟.

لقد أصبحت المرأة الصوفية بعد التغيير في المنظومة الفكرية المغربية أن تحظى بمكانة مرموقة، واحترام وحضور لدى فئة الفقهاء والعلماء بلاد المغرب الإسلامي، فكان البعض منهن يقمن بحضور مجالس الفقهاء الكبار ويناظرهن في الدروس وكان لهن مستوى معرفي لا يستهان به[3].

لدرجة أن هناك بعض من الفقهاء والعلماء من كانت زوجته أو أخته أو أمه سلكت طريق التصوف، أمثال: السيدة فاطمة بنت أبي زيد النجار وزوجة أبي عبد الله محمد الثاني مرزوق جد الخطيب(629-681هـ/1231-1281م)، وأمها منية بنت حسين كانتا من النساء الصالحات، كذلك السيدة فاطمة بنت العالم أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز وهم من أهل العلم والقضاء في تلمسان، كانت من العابدات والصالحات على درجة كبيرة من

[1] – عادل النفاتي: مرجع سابق، ص137.

[2]– نادية درقام: مرجع سابق، ص153.

[3] – آسلي ميمون وخنثير بوزيان: مرجع سابق، ص 87.

العلم. كذلك الصالحة عائشة بنت الفقيه أحمد بن حسن المديوني من مواليد النصف الثاني من (ق 8هـ/13م)[1] التي كانت فقيهة صالحة[2].

ومن بين الصالحات نذكر منهن على سبيل المثال: خيرونة الفاسية التي كانت تحضر مجلس عثمان السلالجي إمام أهل فاس في علم الأصول، كما نبغت هي الأخرى في العلم وقام الإمام عثمان بتأليف العقيدة البرهانية لها على طريقة الأشعري[3]، كذلك الصالحة مؤمنة التلمسانية (ت خلال القرن 9هـ/15م) التي انتقلت إلى فاس لطلب العلم فعكفت على قراءة القرآن ومجالسة الفقهاء ومناقشتهم في مجالسة كبار الفقهاء ومناقشتهم في المسائل الشرعية والفقهية، ومن أهم الفقهاء الذين جالستهم الصالحة مؤمنة قاضي الجماعة التلمساني بفاس أبي عبد الله المقري وأبو العباس أحمد الخطيب وبن قنفذ (ت810هـ/1408م) وغيرهم من كبار الفقهاء[4]، وأثنى بعض الفقهاء على الحرة الصالحة فاطمة زوجة عبد الواحد الصنهاجي وقالوا ببركتها وأن زوجها " ماهو إلا في بركة زوجته..."[5]، ومنهن من حظيت باحترام وحب الناس من فقهاء وصلحاء نظرا لحزمها وصرامتها وصلاحها وهي عزيزة السكسوية (ت خلال القرن 9هـ/15م)[6].

كذلك الصالحة عائشة بنت معاذ بن أبي علي التي كانت على درجة كبيرة من العلم والمعرفة من خلال مجالستها للعلماء والفقهاء فكانت كلما حضرت مجلس لأحد الفقهاء كانت تسأل وتستمع إليه حتى ينتهي وتقوم[7]. كذلك ست الملوك التي كانت من النساء الصالحات

---

[1]– عائشة بنت أبي حسن المديوني: أم الإمام ابن مرزوق الحفيد الفت مجموعة من الأدعية كانت من النساء الصالحات لها قوة التعبير في الرؤيا بفضل اطلاعها الواسع. للمزيد ينظر: بوزيان الدراجي: القبائل الأمازيغية، أدوارها مواطنها أعيانها، ج1، (د. ط)، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ص93.

[2]– عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص 294.

[3] – علي محمود عبد اللطيف الجندي: مرجع سابق، ص157.

[4]– عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص 293.

[5] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص86.

[6] – المصدر نفسه: ص 87.

[7] – الوسياني: مصدر سابق، ص594.

التي يقدسها العلماء والفقهاء لعلو شأنها[1]، والعبدوسية أم هانئ (860هـ/1456م) بنت محمد بن موسى العبدوسي[2] التي كانت على صلاح تنتمي إلى أسرة عبدوس[3]، درست الفقه على أخيها عبد الله العبدوسي خطيب جامع القرويين (ت 848هـ/1444م) فكانت على درجة كبيرة من العلم والفقه، حيث وصفها وأثنى عليها كبار الفقهاء أمثال الفقيه والعالم أحمد زروق، والعلامة غازي المكناسي[4].

ومن خلال ما سبق يمكننا أن نستنتج أن ما يرفضه الفقهاء من التصوف هو التصوف الفلسفي الذي بالغ أصاحبه إلى درجة الغلو على عكس التصوف السني المعتدل الذي يهدف إلى تهذيب النفس وتصفية الروح التي تحتاج إليها كل نفس مؤمنة، فكان خيار العديد من النساء الصالحات في بلاد المغرب لبساطته،[5] لأنه تصوف واضحا بدون تعقيد على سير السلف الصالح[6]، ونظرا لكون التصوف الفلسفي تصوف خاصة يصعب على العامة فهمه، وهذا ما لم يرفضه البعض من العلماء والفقهاء بلاد المغرب الإسلامي[7]. لكن

---

[1] – النبهاني: مرجع سابق، ص155.

[2]– محمد بن موسى العبدوسي: وهو أحد أعمدة الفقه المالكي بالمغرب وناقد وخبير ومفتي ومدرس ، انتهت إليه رياسة الفتوه في زمانه بالمدونة. للمزيد ينظر: الجمعية المغربية للتأليف: معلمة المغرب قاموس مرتب على أحرف الهجاء يحيط بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، ج 17، مطبعة سلا، الرباط، 2003م، ص 5932.

[3] – عبدوس: أسرة علمية كانت تسكن مدائن مكناس القديمة، على بعد 5 كلم من الشمال المغرب لمدينة مكناس الحالية توارثوا العلم من القرن السابع هجري إلى القرن التاسع هجرة شمل العلم والفقه عندهم الرجال والنساء، وآخر فقهائهم الصالحة أم هانئ العبدوسية. للمزيد ينظر: الجمعية المغربية للتأليف، المرجع نفسه، ص، ص 5931، 5932.

[4]– نفسه.

[5] – البشير الرسيوني: "التصوف المغربي وأثره في تجديد التصوف السني"، **ملتقى الدارسات المغربية الأندلسية** تيارات الفكر في المغرب والأندلس الروافد والمعطيات، منشورات الكلية، جامعة عبد الملك السعدي، كلية للآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، 1993م، ص461.

[6]– أبو محمد عبد الله بن أحمد الشماع: الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح الطاهر بن محمد المعموري، (د.ط)، الدار العربية للكتاب، (د. ب.ن)، 1984م، ص9.

[7] – البشير الرسيوني: المرجع السابق، ص461.

بقي الفقهاء ينظرون للمرأة المتصوفة بنظرة احتراز فيما يتعلق بمسألة مجالس النساء وخروجهن، وشهادة النساء التي تكون من خلال روايتين[1].

ولعل ظاهرة انتشار صنف الفقهاء الصوفية خير دليل على مدى اندماج وتداخل التصوف في المنظومة الفقهية ومدى نجاحها في كسب رهان المشروعية، وهذا ما نقلته إلينا كتب المناقب في إشاعة نموذج الفقيه الولي، مما يصعب علينا التمييز بين من ينتمي إلى التصوف ومن لا ينتمي إلى التصوف[2].

[1] – البرزلي: مصدر سابق، ج 6، ص 62.

[2] – عادل النفاتي: مرجع سابق، ص138.

رابعاً: علاقة المرأة المغربية المتصوفة بالمجتمع.

يقول أبو علي أحمد السالمي أحد مشايخ القرن العاشر هجري في هذا الصدد: بأن أولياء الله يعرفون من سماتهم، "لطافة اللسان، وحسن الأخلاق، وطراوة الوجه، وسخاء النفس، وقلة الاعتراض، وقبول العذر، والشفقة على الخلائق، أخيارهم وأشرارهم"[1].

لكن اختلفت طريقة تفاعل المتصوفات في التعايش مع مجتمعاتهن في بلاد المغرب فمنهن من عايشت هموم ومشاكل المجتمع مقدمة لهم خدمات جليلة، ومنهن من قررت قطع علاقتها بالمجتمع والعيش في عزلة بعيدا عن ضوضاء المدينة ومشاكل العامة.

ومن خلال سياق ما سلف يمكن إعطاء ولو لمحة بسيطة حول المجتمع المغربي وعلاقته بفئة الصلحاء وبالتحديد النساء الصالحات اللائي شكلت أخلاقهن الصالحة وتصرفاتهن الزهدية مصدر القوة لسمعتهن، وحضوتهن داخل المجتمع[2] كعنصر فاعل ومتفاعل مع باقي مكونات المجتمع[3] من خلال مساعدة الفقراء والمحتاجين ومد يد العون لهم،[4] فكانت الصالحة عائشة المنوبية(ت 665هـ/1267م) تتصدق بالفتوح التي تأتيها على الفقراء والمدينين[5]، فكانت المنوبية تنفق كل ما تتقاضاه من غزلها للصوف في مساعدة بالفقراء والمساكين فاشتهرت بتوزيع أموالها ومكاسبها على المحتاجين وضعاف الحال، وقد كان دخلها في اليوم خمسمائة دينار تصرفها في سبيل الله[6]، وإذا بات في جيبها درهم ولم

[1] – أنا ماري شيمل: الأبعاد الصوفية في الإسلام و تاريخ التصوف، تر محمد إسماعيل السيد ورضا حامد قطب، ط1، منشورات الجمل، بغداد، 2006م، ص 229.

[2] – اندري دوتي: مرجع سابق، ص115.

[3] – رشيد قطان: مرجع سابق، ص133.

[4] – بسام كامل عبد الرزاق شقدان: تلمسان في العهد الزياني (633– 962هـ/ 1235– 1555م)، إشراف هشام أبو رميلة، رسالة ماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، 1422هـ/ 2002م، ص169.

[5] – أبو العباس أحمد التادلي المغربي: مصدر سابق، ص126.

[6] – توفيق بن عامر: مرجع سابق، ص148.

تتصدق به تقول: "الليلة عبادتي ناقصة، أنا مصباح عصري أنا سيدة أقراني، أنا غسالة أثواب الفقراء والمساكين"[1] وهذا يدل على خيرها وبرها للفقراء[2].

وفي مايلي النص الوارد في مناقبها لبيان ما تميزت به من حدب على المحتاجين والمسارعة بنجدتهم والأخذ بيدهم:

"وحدثني محمد بن سالم اللواتي أحد فقهاء تونس قال كانت سيدتي عائشة المنوبية قاعدة على الفسقية وأنا إزاءها ورجلاها متدلية شرقا، وهي تضحك وتقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإذا برجل يسكن في باب الجديد بقرب السور، وكانت أيام عيد الأضحى، وكان عند ذلك الرجل عشرة أولاد خمس ذكور وخمس إناث، فقالت له زوجته: إما أن تشتري لنا أضحية، وإلا أخرج عني، فقال لها الرجل ما عندي باش نشتري، فتنازعت معه وقالت له: أخرج عني ...فأخرجته وغلقت الباب، فخرج الرجل من الدار وهو يبكي حتى طلع المركاض، ...وقال الرجل في نفسه نطلع للسيدة المنوبية، ونشكي لها بحالي ولعلها تدعو لي دعوة نرتاح بالموت، قال: فما إن وصل إليها، قالت له قبل أن يكلمها: آجرنا الله يطردونا من ديارنا،.. يا بركة العشرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم...وإذا برجل آخر يقول: من يدلني على سيدتي المنوبية فقالت له: هي هناك قال لها يا سيدتي نحن أحاطوا بنا العرب، وأرادوا أخذنا فندهناك...ووعدناك بعشر شياه، فقالت له: أعطهم لهذا المسكين امرأته طلبت كبشا أعطيناها عشرا، لكن والله إن شاء الله غدا تموت، ولا تأكل منهم شي وتتزوج امرأة فقيرة وتكون مباركة عليك ويزداد لك منها ولد، يكون اسمه محمدا، يقرأ القرآن والعلم والله تعالى أعلم"[3].

[1] – أبو العباس أحمد التادلي: مصدر سابق، ص07.

[2] – حسن حسني عبد الوهاب: مصدر سابق، ص 77.

[3] – أبو العباس أحمد التادلي المغربي: مصدر سابق، ص–ص 120–121–122.

ونفس الأمر كان بالنسبة لنساء الصالحات اللاتي عملن على تكريس عملهن في مساعدة الفقراء والمحتاجين، وإكرام المحتاجين والولية الصالحة أم محمد سلامة(عاصرت معركة الأرك سنة595هـ/1199م) تخصص قسما من مدخول البذر التي تحصدها لتتصدق به على الفقراء والمساكين[1].

كما ساهمن في إصلاح ذات البين، والتدخل لإخماد الفتن والثورات، وفي هذا يقول بن قنفذ عن الصالحة عزيزة السكسوية(ت خلال القرن 9هـ/15م) بأنه لقيها: "...وهي متوجهة في صلح بين فئتين..."[2].

ونلاحظ كذلك من خلال كتب المناقب أن حاجة المجتمع إلى البحث عن السعادة والراحة النفسية والجسدية؛ فقد أسهم في حضور المرأة الصالحة بخاصة في الجانب الصحي الذي ركزت عليه كتابات المؤرخين،[3] حيث تذكر كتب المصادر قصة أبو يعزى (ت 572هـ/1178م) في استرجاع البصر للرجل مسن بواسطة قطعة من قماش من برنوسه الذي احترق، قبل رماد الكحل ومرض الطاعون وغيره من الأوبئة الخطيرة، الذي يرجع السبب وراء انتشاره إلى فساد الأغذية وتلوث المياه، كذلك مرض العضال الذي يفقد المريض القدرة على النطق والرؤية ومرض الإسهال الذي شمل جميع الفئات العمرية في المجتمع وهذا فظلا عن الأمراض الجلدية التي كانت منتشرة، كداء البرص، وداء القرع وغيره[4].

---

[1]– ابن الزيات: مصدر سابق، ص266.

[2] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص86.

[3] – شنيخار صديق: الصلحاء والسلطة على العهد الزياني(633هـ/962هـ/1235م–1554م)، إشراف كبداني فؤاد، مذكرة ماستر ، قسم العلوم الإنسانية، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، 2016/2015م، ص 35.

[4] – عبد الرؤوف زواري أحمد: الدلالات التاريخية لكرامات الأولياء بتلمسان الزيانية(633–962هـ /1235–1555م)، مذكرة ماستر، عبد الحميد العابد، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، 2015/ 2016م، ص 84.

ومن المتصوفات من كانت تقوم بمهمة التطبيب الصالحة فلانة الأندلسية تنفل في عيون المرضى فيشفون [1].

ففي مثل هذه الظروف الصعبة التي يمر بها المجتمع المغربي وعجزه التام على التصدي لهاته الأوبئة، ولد لديه شعور بالضعف، مما جعله يلجأ إلى حلول ذات طابع غيبي كالدعاء الصلحاء والتبرك بهم[2].

نشير بشأن هذا الخصوص إلى قصة الفقيه والعالم محمد بن نصر الله البسكري مع أحد النسوة الصالحات، قال أصابتني قرحة في رجلي وعجز العديد من الأطباء على علاجي، فسمعت بعض العامة يتحدثون على امرأة صالحة وما لها من كرامات ... فقصدتها وعندما وصلت إليها بدء لي وكأنها تعرفي فقالت لي: أراك مبتلي اليوم نقول: يذهب عنك الله ما أصابك في رجلك، ثم تفلت على رجلي، وعند تفلها ذهب الوجع، ثم قالت: قبل الله زيارتكم وقضى حاجتكم..[3].

وهو ومن بين طرق العلاج التي أتتبعتها هؤلاء النسوة المتصوفات وهي الرقية الشرعية أو عن طريق الدعاء للمريض بالشفاء بإذن الله، مما جعل العامة يقبلون على زيارتهن، بشكل رهيب لما يتميزون به من قدرة على شفاء الأمراض المستعصية ، وهن كثر نذكر منهن على سبيل المثال الصالحة لالة رؤيا التي كانت لها قوى خارقة، خاصة فيما يخص تنبؤها بالمستقبل، وقدرتها على علاج الأمراض خاصة داء الصرع الذي يعاني منه الأطفال.[4]

[1] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص237.

[2] – عادل النفاتي: مرجع سابق، ص158.

[3] – عبد الرؤوف زواري أحمد: مرجع سابق، ص 84.

[4] – آسلي ميمون وخنثير بن زيان: مرجع سابق، ص 89.

وهو ما يعرف بالعلاج الروحي استنادا للنبي صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في كتاب صحيح البخاري في باب الرقى بالقرآن والمعوذات، أن السيدة عائشة رضي الله عنها روت أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان ينفث في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنا انفث بهن وامسح بيدي نفسه لبركتها وفي حديث آخر أورده الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري أن أناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أتوا على حي من أحياء الريف لدغ واحد منهم فقالوا هل من دواء أو راق؟ فجعل احد منهم يقرأ بأم ويجمع بزاقه ويتفل حتى برأ.[1]

كما كان للمرأة حظ وتقدير من جميع فئات المجتمع خاصة النساء منهن اللاتي كن يقصدنهن للتبرك وقضاء حوائجهن، بناءا على ذهنيتها الآملة كثيرا في دعاء العابد وبركته[2]، وفي مسألة التنبؤ بالمستقبل، خاصة مسألة تسيير الزواج، أو الإنجاب وغيرها، أمثال الولية الصالحة لالة مغنية الفاسية التي كان تقصدها الفتيات العوانس قصد تسهيل زواجهن أو النساء اللاتي لم ينجبن الأولاد، و الصالحة لالة سيتي التي كانت لها كرامات تشهد لها مما جعل ضريحها محل استقطاب والتبرك بها قصد تيسير الزواج ، بل وكانت تفرض الزيارة على البنت العانس فقط خشوعا وتضرعا لأهل المكان[3].

ونجد جل المتصوفة يطبقون نظرية التضامن والتكافل الاجتماعي للتصدي الأزمات، ومساعدة المحتاجين، مثلما حصل في مدينة مكناس عندما اجتاحتهم مجاعة، قام أحد الأولياء الصالحين بتوزيع المئونة على الفقراء والمحتاجين، أحد النساء إلى بيع منزلها لأحد الأولياء الصالحين لتسد رمقها، وبعد انقضاء الأزمة أعاد لها الولي الصالح منزلها، ونفس

[1] – عبد الله حسن زروق: منهجية لدراسة أصول التصوف، (د.ط)، المركز القومي للإنتاج الإعلامي، 1994م، ص 83.

[2] – إسماعيل بركات: مرجع سابق، ص84.

[3] – آسلي ميمون وخنثير بن زيان: مرجع سابق، ص 89.

الوضع حدث في مدينة بجاية كان الصوفية هم السباقين لخدمة ومساعدة المتضررين والفقراء[1].

كما عمل الأولياء والصالحين على تسخير كراماتهم في خدمة المجتمع فهناك العديد من الكرامات الأولياء والصالحين التي ساهمت بشكل كبير في حل الأزمات في المجتمع[2]، مثل السيدة المنوبية (ت 665هـ/1267م) التي حرصت على فك العاني وفداء الأسير، ومن كراماتها أنها تستحضر الأسير متى أرادت. وهناك نص يصف قدرتها الخارقة التي تسمح لها باستحضار بعض الأسرى من مدينة روم وجاء فيها مايلي: " حدثنا من نثق به قال: حضرت ذلك اليوم وإذا بسيدتي عائشة المنوبية ربطت حبلا في وسطها، ومسحاة في يدها فلما كان يوم الخميس عند الظهر إذا بها واردة علينا وفي يدها أسير. فقلت للأسير: كيف جرى لك ؟ قال لي: كنت أسيرا في رأس الجبل برومة عشرة أيام فأتتني السيدة عائشة المنوبية وقالت لي: أعمل يدك على يدي ورجلك على رجلي وزعجت بي زعجة واحدة وإذا نحن عند باب الفلاق كما ترى. فأتته أمه وسلمت عليه وأرادت أن ترفعه، قالت لها سيدتي عائشة: والله ما يمشي معك حتى تأتي بفديته، الصرة في الصندوق في البيت القبلي. وكانت أمه أعدتها للفدية قبل[3]. فجاءت بها وهي تقول: شيء لله يا ولية الله وإذا في الصندوق صرة فيها أربعمائة دينار. قال: وكان رجل في تونس عليه دين كثير بقي في داره عامين ثم قال: سأمشي لسيدتي عائشة المنوبية لأزورها فدخل عليها فوجدها تعد في الدراهم متاع الأسير فقالت له: كم عليك من الدين؟ قال لها: أربعمائة دينار. قالت له: خذها خلص روحك وتب إلى الله من جميع المكروهات"[4].

---

[1] – يعقوب النوبلي: إسهامات صوفية المغرب في الحياة الاجتماعية والثقافية خلال العهد الموحدي (541/648 هـ/ 1156/ 1269م)، مذكرة ماستر في التاريخ الوسيط والحديث، إشراف واعظ نويوة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، 2015/ 2016م. ص- ص 62-63.

[2]– آنا ماري شيمل: مرجع سابق، ص230.

[3] – أبو العباس أحمد التادلي: مصدر سابق، ص126.

[4] – نفسه.

نجحت الكرامة الصوفية في فرض نفسها في المجتمع لارتباطها الوثيق بالدين الذي له تأثير على نفسية المجتمع لتقبل الكرامة والإيمان بالخوارق، في حين يرى آخرين أن ذلك يرجع إلى عجز المجتمع في حل مشاكله مما فرضت عليه اللجوء إلى تصديق كرامات الأولياء.[1] لكونها من أهم الأساليب الناجعة إلى السلم خاصة في الجانب السياسي وفي حل الأزمات الاجتماعية.

ولم تشمل الأعمال الخيرية لنساء الصالحات مجتمعها فقط بل تعدى استعمال وتدخل بعض الكرامات الخارقة في مساعدة الغير، ونشير بالذكر الكرامة الخارقة للسيدة فاطمة التي كانت من أهل الحظوة والطيران في الهواء، من خلال عنايتها بالشيخ إبراهيم الزواري عندما مرض وهو في طريقه إلى المغرب[2].

نظرا للحاجة المجتمع الماسة لبركة الصالحين والانتفاع بها في أوقات يشعر فيها الإنسان بنوع من الخوف من مواجهة همومه، كالمرض أو الفقر، كما يعجز في الكثير من الأحيان عن تحقيق رغباته كالإنجاب أو غنى غيرها، فيكون اللجوء إلى الصالحين الملاذ الوحيد[3]، ونشير بشأن هذا الخصوص دور النساء الصالحات من الناحية المعنوية في خدمة المجتمع والمتمثلة في غالب الأحيان بالدعاء لزوارهن حيث يذكر بن قنفذ قصة لامرأة مجهولة كان الشيخ عبد العزيز كان يأمر زائريه بالذهاب إليها لتدعوا لهم.[4]

حيث أصبحت المرأة ذات تقدير من العامة بفضل أعمالهن الخيرية وزهدهن في الدنيا، أطلق عليهن العامة عدة ألقاب تدل على مكانتهن وتقديرا لهن ومن بين الألقاب التي تلقبت

[1] – ميلودة كينة: المتصوفة والمجتمع في بلاد المغرب خلال العهد الموحدي، مذكرة ماستر، إشراف البشير غانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، 2015– 2016م، ص–ص 72–73.

[2] – الكتاني: مصدر سابق، ص153.

[3] – حسن جلاب: مرجع سابق، ص 192.

[4] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص385.

بها المرأة المغربية المتصوفة والذي انتشر بكثرة لفظة " لالة" وهي كلمة أكثر تشريفا للمرأة في بلاد المغرب[1]، يقصد بها في الهجة المغاربية " سيدتي ومولاتي" مثل لالة الكحلية ، ولالة عائشة الفتحية ولالة السمراء[2]، لالة ميمونة[3].

كما نعتت المرأة الصالحة أيضا بعدة صفات تدل على صلاحها وعبادتها، منها "...كانت من الصالحات.. .[4] ، ...كانت فاضلة.... "[5] ... كبيرة الشأن ... "[6] الحرة الصالحة..."[7]، ولم يقتصر التصوف على فئة عمرية من النساء بل منهن الصبية و العجوز صالحة ..."[8] العجوز العمياء...[9] ".

خلدت الذاكرة الشعبية المغربية العديد من أسماء النساء الصالحات التي لم يرد ذكرهن في الكتب المناقبية، ناسجين لهن قصص أسطورية حول قدرتهن الخارقة في شفاء الجسد والروح، التي أضفت عليهن طابع القداسة جاعلين من قبورهن مزارات للتبرك[10]، فأصبحت هذه العادة سلوك اجتماعي يؤمن به كل شرائح المجتمع ، ولم يقتصر هذا على الأولياء الأحياء فحسب بل تعدى به إلى التبرك بالموتى[11]، لدرجة أن بعض من المسلمين من فضل

[1] – ادموند دوتي: مرجع سابق، ص109.

[2] – أبو العباس أحمد التادلي: مصدر سابق، ص38.

[3]– مراد جدي: التدين الصوفي في طبعته النسوية ورهان النوع الاجتماعي" لالة ميمونة رمز الإصلاح الأنثوي، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، 2016م، ص 11.

[4] – عادل نويهض: مرجع سابق، ص298.

[5] – أبو عبد الله التميمي الفاسي: مصدر سابق، ص75.

[6] – محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني: مصدر سابق، ص 23.

[7]– ابن قنفذ: مصدر سابق، ص 80.

[8]– حسن حسني عبد الوهاب: مرجع سابق، ص 22.

[9] – ابن الزيات: مصدر سابق، 386.

[10]– بوبريك رحال: مرجع سابق، ص22.

[11] – حريرة مداني: الرمزية الصوفية في حل الأزمات الاجتماعية الكرامة وتمثلاتها في المغرب الأوسط من القرن 10 إلى القرن 14هجري، مذكرة ماجستير، إشراف بوزيد بومدين، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم الفلسفة، جامعة وهران السانية، 2012/ 2013م، ص107.

حتى بعد موته أن يدفن قرب الأولياء والصالحين للتبرك بهم والتوسل إلى الله عز وجل بقربهم.[1]

إن المتعارف عليه لدى المجتمع المغربي ظاهرة التبرك بالأولياء وتقديسهم خاصة لنسل النبي صلى الله عليه وسلم المعرفين في الغالب بالتقوى والصلاح ووراثة البركة، ومبدأ البركة معروف في الفكر الإسلامي، حيث يقول في هذا الصدد الشيخ أبو حامد الغزالي (ت505هـ/1111م) :" أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين بل شفاعة العلماء الصالحين، وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة، فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه فكن حريصا على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة "[2].

وكتب المناقب حافلة بالعديد من الأسماء التي خلدتها الذاكرة الشعبية، مآثرهن نذكر منهن على سبيل المثال: لالة القلعة[3] الصالحة لآلة العربية والتي يقع قبرها بجهة السور الغرب لمدينة تونس (باب الحديد)، ولآلة الهانية الحفناوية دفنية مقام سيدي الشيخ أحمد الزائر في شرق طرابلس[4] الغرب[5]، كذلك الصالحة مريم بنت عبود الأندلسية انتقلت إلى العيش بمكناسة الزيتون وتوفيت هناك، كان يقصدها الزائرون،[6] وقبر أخت عبد العزيز

---

[1]– بومرزاق فاطمة الزهراء: وصايا الأموات في المغرب الإسلامي من قيام الدويلات المستقلة إلى سقوط دولة الموحدين " وصايا الدفن أنموذجا" مذكرة ماستر في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي ، إشراف عبد الحق، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة بن خلدون، تيارت، 2013– 2014م، ص128.

[2]– منال عبد المنعم جاد الله: التصوف في مصر والمغرب، (د.ط)، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د. س. ن)، ص152.

[3] – لالة القلعة: وهي ولية صالحة شهيرة بالجنوب التونسي بالتحديد في الشمال الشرقي لمدينة القطار على الطريق الرابط بين مدينة قفصة وقابس، ومن أهم كراماتها انها تستقبل سنويا مئات الزائرين الباحثين عن البركة في مختلف الامور وتتطلب هذه الزيارة عدة طقوس وممارسات دقيقة مفترضة لغرض الحصول على البركة. للمزيد ينظر: سناء وفاطمة بومنجل: مرجع سابق، ص60.

[4] – طرابلس: مدينة تقع على شاطى البحر فتحها عمر بن العاص سنة 23للهجرة، وتعني الكلمة المدن الثلاث. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي: مصدر سابق، ج8، ص25.

[5]– أبو العباس احمد التادلي: مصدر سابق، ص33.

[6]– محمد رضا كحالة: أعلام النساء من عالمي العرب والإسلام، ج1، مطبعة الرسالة، بيروت، 1959م، ص 42.

التونسي كان الناس يتبركون بها ويدعون عند قبرها[1] والصالحة وأم اليمن ت حوالي 663هـ في بادس[2].

وفي هذا الصدد يقول أبو العباس التادلي: "حدثني من كان يعتقد في الصالحين ويزورهم ، قال: وقفت إزاء سيدتي عائشة المنوبية، فلقيت عند قبرها إيزارا، فلما أن رفعته وهبطت في الثنية (أخذت الطريق)، إذ بأسد عارضني من ثنية أخرى، فمشيت نحو القبلة فعارضني ثم قال لي: بلسان فصيح: حط الايزار وامشي في أمان الله، فانه متاع رجل ضعيف وحطيته ومشيت. ياأخي عليك بزيارة قبرها الكائن قبلة الباب الفلاق لأنه يكنى بمكان البركات، وهو قرب السيدة زينب بنت أبي عبد الله محمد الشريف التي كانت قبل وفاتها ختمت ألف ختمة وخمسمائة وعشرين ختمة القرآن"[3].

ظل هذه الظروف التي أحاطت بالمرأة المتصوفة والمكانة التي وصلت إليها في المجتمع المغربي من خلال الهالة والهيبة التي أحاطت بالصالحين جعلت العديد من أفراد المجتمع الذين لم تكن لها حظوة داخل مجتمع، وجدوا من خلال ذلك البديل لتخلص من دونيتهم فأصبحوا يركضون وراء ذلك ليكون الواحد منهم وليا صالحا الأمر الذي أفضى إلى انتشار الدجالين والمشعوذين، محاولين من خلال ذلك استلهام عقول وقلوب العامة[4].

[1] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص94.

[2] – عبد الحق بن إسماعيل البادسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تح سعيد إعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1993م، ص 92.

[3] – أبو العباس التادلي: مصدر سابق، ص–ص 138– 139.

[4] – بلحاج محمد: مرجع سابق، ص 35.

خامساً :علاقة المرأة المتصوفة بالسلطة.

لقد شكل التصوف وأقطابه في بلاد المغرب الإسلامي تيارا معارضا للسلطة ولا شك أن انخراط المرأة في هذا المجال أعطى زخما لهذه المعارضة،[1] فكان بعض رجال السلطة في بلاد المغرب في أواخر الدولة المرابطية وبداية الدولة الموحدية، خاصة في فترة حكم عبد المؤمن بن علي الكومي(ت 558هـ/ 1163م) وظهور العديد من الانشقاقات والصراعات التي أثرت على الحياة الفكرية والسياسية والتي من بينها: ثورة بن قسي[2] التي (ت 539هـ/1145م) في الغرب الأندلسي وابن هود(541هـ/1147م)[3] الدكالي التي التف حولها المتصوفة في وقت مبكر من حكم عبد المؤمن بن علي (527-558هـ/ - 1163 1133م)[4].

من أجل ذلك قام المتصوفة بخلق نظام سياسي شريفي خاص بهم تميزت علاقته بالمجتمع إذا مقارناها بالنظام السياسي للدولة فالسلطان السياسي الجديد متميز عن نظيره بطبيعته الشريفة المشحونة بالقداسة والقدسية ويصبح السلطان السياسي للدولة جزء من الحقل الديني والتي ساهم في تشكلها الكرامة التي تربط بين المجتمع السياسي بالمجتمع المدني،[5] فأصبح السلطان يؤمن بأمور المجاهدة والكشف وينخرط في الزوايا ويؤمن بالأولياء

---

[1]- رشيد قطان: "المرأة المغربية في أدب المناقب التشوف إلى رجال التشوف أنموذجا"، **مجلة أمل**، مرجع سابق، ص133،

[2]- ابن قسي: متصوف من منطقة شلب غرب الأندلس من أسرة متواضعة أي من عامة الناس، تقلد في بداية حياته بعض الوظائف في الدولة حيث يذكر ابن الآبار انه نشأ بالأعمال المخزنية، لكن بقي الاختلاف بين بعض المؤرخين حول الوظائف التي تقلدها، اتبع طريق الزهد وتصدق بماله، استفاد من الجو الصوفي السائد في الأندلس في تلك الفترة خاصة في المرية ، وبعدما قام بجولة في الأندلس عاد إلى مدينة شلب، وابتنى رابطة له وجمع حوله الأتباع والمريدين. للمزيد ينظر: فاطمة الزهراء جدو: المرجع السابق ص، ص 77، 78، 79.

[3]- ابن هود: هو محمد بن عبد الله بن هود، أعلن ثورته على الموحدين ببلاد السوس بالمغرب الأقصى، وتسمى بالهادي، ادعى المهدوية كون لنفسه أنصار شملت جميع الأقطار، كادت ثورته أن تفوض أركان الدولة الموحدية، لكن استطاع أبا حفص عمر بن يحي الهنتاتي أن يقضي على ثورته. للمزيد ينظر: فاطمة جدو: المرجع نفسه، ص123.

[4] – عبد الله محمد التميمي الفاسي: مصدر سابق، ص44

[5] – نور الدين الزاهي: بركة السلطان، (د.ط)، دفاتر وجهة النظر، الرباط، (د. س. ن)، ص64.

ويندفع لزيارتهم[1]، ويحترم أهله إلى درجة أن هناك من الحكام من سلك طريق التصوف مثل السلطان أبي يعقوب الصنهاجي(558-580هـ-/1163-1185م) وتخلى على الدنيا وزينتها، ومساندة الصوفية له في صراعه ضد المالكية.[2]

تشير النصوص التاريخية إلى علاقة بين الأمير والعابد عندما تشتد الأزمة، وفي هذا الصدد يقول الصباغ: " وقد رأينا عيانا والحمد لله والمنة لله، السلاطين والقواد وغيرهم وسائر الظلمة يعظمون أولاد الصالحين والحفائد ويحرمونهم ويكرمونهم مع ما هم عليه من الظلال وسوء الحال والتحاسد والتباغض بينهم"[3].

كما ساهمت الكرامة بشكل كبير في إقبالهم على التصوف ودعاته، من خلال الدعوة للسلطان ومساندة سلطان ضد آخر، الوقوف على السلطان في المنام وتهديده وغيرها من ممارسات الصوفية، فكان بعض رجال السلطة من يحرص على كسب ود النساء الصالحات يخطب ودهن من خلال غدق الأموال وإعطاء الصدقات والهدايا لهن لقضاء حوائجهم السياسية.

نظرا لضعف المرأة في مواجهة السلطة عن طريق العنف والحرب، كانت الكرامة هي السبيل الوحيد في التصدي لظلم السلطان[4] وسلاح متجه نحو عمال المدن والقضاة ورؤساء

[1] – بركات إسماعيل: الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ص83.

[2] – الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 هجريين و12 و13 ميلاديين، (د. ط)، دار الهدى للطباعة، عين مليلة، الجزائر، 2004م، ص84.

[3] – إسماعيل بركات: الدرر المكنونة في نوازل مازونة أبو زكريا بن يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني (ت 883هـ/ 1478م) دراسة وتحقيق من مسائل الطهارة إلى مسألة النزاع بين طلبة غرناطة، مذكرة ماجستير، إشراف عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009/ 2010م، ص 83.

[4] – إبراهيم القادري بودشيش: تاريخ المغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص109.

البلاد، إما عن طريق الدعاء عليه، أو الرؤيا، أو تسليط بعض القوى الخارقة(كالجن) على السلطان المستبد، وتزخر الكتب المناقبية بالعديد من النماذج من هذا القبيل.[1]

حيث روي عن السيدة عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م) نصرتها للمظلوم، تذكر في مناقبها: " كان أصحاب الحاكم يطاردون رجلا قد سرق وهرب إلى السيدة عائشة المنوبية في باب الفلاق، فلحقه الحراس وقالوا مانمشي إلا به، فقالت لهم التفتوا لي فإلتفتوا فجعلوا يدرون مثل حما رفي الناعورة وطلع الحاكم للسلطان فقال السلطان أنا ما اعرف المنوبية ولا غيرها، فقالت الليلة ينتف ذقنه، قال: فلما جن الليل أخذ السلطان المبخرة ... وفطارت عليه شرارة منها فحرقت ذقنه ... وفي نفس الليلة توفي ابنه الوحيد، فجاء الوزير إلى السلطان وقال له ما بك إلا سيدتي عائشة المنوبية ، فبعث لها السلطان قائلا: نحب أن نزوركي فقالت له بأن تجئ حافي الرجلين... ولما قدم عليها أعطاها ألف دينار وطلب منها السماح ..."[2].

كما بجل السلاطين النساء المتصوفات وقربوهن، مثل السلطان الموحدي المنصور (ت 595هـ/1199م) الذي كانت تدخل مريدة قصره[3] وقرب مجموعة من العجائز الصالحات ويستعين بهن في بعض أموره[4]، والسلطان أبي الحسن المريني (ت 752هـ/1351م) يقوم بمئونة الصالحات المجاورات لضريح أبي مدين شعيب (ت 594هـ/1198م)[5] والولية عزيزة السكسوية (ت خلال القرن9هـ/15م) التي كان يأتيها أمير مراكش لمشورتها والوقوف عند رأيها عندما أراد تأديب ثائر في الجبل الذي تستقر به، فضمنت له طاعة ذلك الثائر[6].

[1] – إبراهيم القادري بوتشيش: تاريخ المغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص 115.

[2] – توفيق بن عامر: مرجع سابق، ص 150.

[3] – العباس بن إبراهيم السملالي: مصدر سابق، ج1، ص284.

[4] – ابن عذارى: مصدر سابق، ج4، ص 233.

[5]– ابن مرزوق: المسند الصحيح، مصدر سابق، ص242.

[6] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص 87.

كما استطاعت السيدة عائشة الإدريسية(969هـ/ 1562م) أن تتخذ من التصوف سبيلا لمواجهة الضغوطات المتتالية على الأمير شفشاون، مولاي إبراهيم عليها، وتنصيب ابنها قاضي بالقصر الكبير من طرف السلطة المناوئة لبني راشد[1].

وما يمكن استخلاصه في مسألة علاقة المتصوفات بالسلطة، أن السلطة مارست سياسة الاحتواء مع المتصوفة، وهذا مرده إلى الانتشار الذي عرفه التصوف ببلاد المغرب الإسلامي، ومكانتهم عند العامة وبتالي ضمان ولاء المتصوفة يعني ولاء العامة، خاصة بعدما أصبح المتصوفة كقوة دينية فاعلة في المجتمع لانتشار المريدين والأولياء، كان في مقدورها أن تنازع السلطة الحاكمة في فرض نفوذها على العامة[2].

هذا راجع إلى التفاف العامة حول الصلحاء مما ينجم عنه تخوف السلطان على ملكه من الزوال[3]، خاصة في عهد الدولة الوطاسية، التي حافظت على علاقاتها مع الفئات النافذة في لمجتمع خاصة في المدن التي يمثلها العلماء وأعيان المدينة، لكنهم وطدوا علاقاتهم أكثر مع سكان البوادي والتي يمثلها الصلحاء والمتصوفة نظرا لتقهقر الأوضاع السياسية في البلاد فكان لزاما على الصلحاء أن تسد هذا الفراغ وخاصة في البوادي مغتنمين الفرصة في فرض نفوذهم على العامة.

[1] – فاطمة بوشمال: "المرأة والسلطة بشمال المغرب خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ميلاديين من خلال بعض النماذج"، المرأة في الغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص277.

[2] – ميلودة كينة: مرجع سابق، ص– ص 62–63 .

[3] – نور الدين الزاهي: مرجع سابق، ص64.

سادسا: مساهمة المرأة في نشر التصوف المغربي.

أدت المرأة المغربية دور رئيسي وفعال في دعوة المجتمع إلى التصوف وتثبيت أركانه من خلال جهودها التي وجهتها لبناء مؤسسات التنشئة الصوفية والعناية بها، والدعوة إلى دخول في هذا المسلك ويمكن حصر الأدوار التي قامت بها المرأة المتصوفة في بعض المجالات التي احتفظت بها الكتب التاريخية.

ومن أهم الأدوار المنوطة للأولياء في المجتمع[1]، نظرا للظروف التي كانت تمر بها بلاد المغرب الإسلامي وحاجة المجتمع الماسة لخدمات هؤلاء الصالحين سواء كانوا رجالا ونساءً، الذين كان هدفهم دوما خدمة المجتمع سواء كان من الناحية المادية أو المعنوية.

وللحديث على الجانب المعنوي اتبعت المرأة الصالحة أسلوب اللين والإقناع والمحاورة في تثبيت قلوب المريدين لتعاليم هذا الطريق بأسلوب مؤثر، وفي هذا يقول بن الزيات: "...حدثني أبو العباس أحمد بن إبراهيم الأزدي البسطي قال: مشيت إلى رباط شاكر فوجدت فيه منية(ت595هـ/1199م) فقالت لي: ما رأيت هذا المكان قبل هذه المرة ولقد تمنيتك فيه..."[2] و من خلال عبارة " تمنيتك فيه" تدل على استقطاب المتصوفات للمريدين كما تلعب فصاحة اللسان دور في جلب المريدين ويذكر بن قنفذ عن الصالحة عزيزة السكسوية (ت خلال القرن 9هـ/15م)فصيحة جدا في أجوبتها وأوامرها ووعظها ورأيت الناس يتزاحمون عليها وما رأيت ألين من كلامها في السؤال عن الحال[3].

اتبعت مؤمنة التلمسانية(ت خلال القرن9هـ/15م) مع بن قنفذ (ت810هـ/1408م) أسلوب اللين والنصح فاستطاعت أن تعلمه معنى التصوف ودقائق الورع، فيذكر: "انصرفت

[1]– حسن جلاب :الحركة الصوفية بمراكش، مرجع سابق، ص 192.

[2] – ابن الزيات: مصدر سابق، ص316.

[3] – ابن قنفذ: مصر سابق، ص87.

وعلمت أن قصدها أن تطلعني على آداب دقيقة وتنبهني على ما انتفع به"[1]، فهذه الشواهد كلها دالة على أن إتباع المرأة لمنهج اللين والحكمة في إيصال المعنى الحقيقي للتصوف.

كما ساهمت في تفعيل الحركة الصوفية ونشر التصوف الشعبي من خلال حضور حلقات الذكر الجماعي وتنشيط عنصري الغناء والرقص فيها خصوصا في البوادي حيث سلطة الفقهاء ومراقبتهم ضعيفة[2].

وللحديث عن الجانب المادي، المتمثل أغلبه في بناء المساجد والرباطات والزوايا التي تعتبر من مؤسسات التنشئة الصوفية، فعملت المرأة المغربية الصالحة جاهدة ببنائها والعناية بها، والأمثلة عن إسهامات المرأة المتصوفة في هذا المجال كثيرة ومتعددة نذكر منهن:

الرابطة التي أمرت أم اليمن ببنائها وأصبحت تعرف فيما بعد بـ "رابطة أم اليمن" الكائنة فوق الجبل المطل على ساحل مكرم[3]، كما يذكر الباديسي أن امرأة موسرة كلفت بن سبعين بسبتة[4] فأنفقت عليه مالا، وبنت له زاوية في داخل دارها[5]، كما يذكر الونشريسي في نوازله إلى أن نساء قمنا ببناء زوايا وحبسنها على الفقراء والمريدين.[6]

ويذكر أيضا صاحب كتاب خلع النعلين إسهامات الصالحة أم الحسن بنت سليمان بن نافع بن أصبغ المكناسية، التي انتقلت إلى قرطبة وأسست هناك مسجدا بجوار منزلها في فحص البلوط شمال غرب قرطبة، وكان يقصدها أهل ناحيتها من النساء الصالحات للقيام

---

[1] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص81.

[2] – الطاهر بونابي: "ظاهرة التصوف النسائي في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط"، **مجلة البحوث التاريخية**، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، العدد 01، مارس 2017م، ص 153.

[3] – الباديسي: مصدر سابق، ص92.

[4] – سبتة: مدينة من مدن المغرب الأقصى قيل أسسها رجل اسمه سبت من ولد سام بن نوح، و اشتق لها اسمها من اسمه ودعا لها بالبركة والنصر فما رماها أحد بسوء إلا رد الله بأسه عليه. للمزيد ينظر: بن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ص200.

[5] – المصدر نفسه، ص 69.

[6] – الونشريسي: مصدر سابق، ج7، ص، ص115، 118.

بالتعبد والذكر، وسرد قصص العباد والعابدات[1]، وبنت الصالحة عائشة الزاهدة[2] مسجد بطريق غمارة[3].

كما قامت الصالحة ملالة بنت زيادة الله التي بنت على قبر الشيخ أبي موسى الدكالي قبة وأنفقت عليها خمسمائة دينا الذي كانت تختزنه لشراء كفنها لكنها فضلت أن التصدق به في بناء قبة الشيخ، الكائن في رابطة القدم[4].

وهناك من الصالحات من قامت ببناء المساجد مثل الصالحة مسعودة بنت أحمد بن عبد الله الوزكيني التي بنت مسجد باب دكالة بمراكش سنة 965هـ، ووقفت عليه أحوال سبعين حانوت، وأسست بجواره مدرسة لطلبة العلم الغرباء، ومكتبة وضعت فيها ذخائر كتب النفيسة[5].

ومن الصالحات أيضا من اتخذت من مكان خلوتها مكانا للذكر وللتعبد، وهو ما اشتهرت به خلوة السيدة عائشة المنوبية (ت 665هـ/1267م) التي تقع في الضاحية الشرقية لمدينة تونس قبالة ربض سعود[6]، الذي أصبح مزار تقام فيه مجالس الذكر وتلاوة القرآن، يقصده مريدها للتبرك والدعاء وإقامة الحضرة بالنسبة للنساء المريدات اللاتي خصص لهن يوم الاثنين والجمعة، ينشدون فيها قصائدها التي فاقت الثمانين قصيدة[7]، أو مدائح في خصال وكرامات المنوبية[8].

---

[1]– أحمد بن قسي: مصدر سابق، ص 18.

[2] – عمر رضا كحالة: مرجع سابق، ص 134.

[3]– غمارة وهي منطقة واقعة على الجنوب الشرقي من مدينة تطوان على ساحل البحر، يرجع اسم المنطقة الى قبيلة غمارة. للمزيد ينظر: عبد الوهاب منصور: مرجع سابق، ص326.

[4]– ابن الزيات: مصدر سابق، ص–ص 205– 206– 207.

[5] – عبد العزيز بن عبد الله: مرجع سابق، ص162.

[6]– حسن حسني عبد الوهاب: مصدر سابق، ص 83.

[7] ادموند دوتي: مرجع سابق، ص 109.

[8] – أبو العباس التادلي: مصدر سابق، ص93.

كما أخذت المرأة المتصوفة على عاتقها مهمة تحفيظ القرآن ووعظ الناس وإرشادهم الى طريق الصلاح فكانت الصالحة ورقاء تقوم بتحفيظ القرآن الكريم للطلبة بمدينة غرناطة، فتحون(724هـ/1323م)، البزازية التي أخذ عنها التصوف أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن سيدي إمام المسجد الأعظم، التي قامت ببناء روضة برأس التاج[1].

كذلك دور الفاضلة أم العلاء العبدرية التي أصلها من تونس واصلها من الأندلس، احترفت مهنة تعليم القرآن للنساء طوال حياتها، وكانت ما تتقاضاه من أجرها في التعليم ومن الجوائز التي تأتيها من قبل السلاطين بني حفص، قامت بتخصيصه لأسرى فقراء المسلمين وفك أسرهم من قيد النصارى[2].

وهناك من النساء الصالحات من أخذن على عاتقهن مهمة وعظ الناس وإرشادهم إلى الطريق الصحيح ولم تخلو الذاكرة الإباضية من تخليد العديد من النساء الصالحات اللاتي عملن على عمل الخيرات ووعظ العامة أمثال الصالحة الربانية" **ناناتابر كانت**[3]" السدراتية كانت إذا زارها العلماء قالوا لها:(أوصينا يا عجوز)، قالت لهم: (إياكم وكثرة الكلام لئلا تحنثوا والتهمة لئلا تظلموا) وكانت توصيهم بتصحيح بعض السلوكيات المنحرفة، وتحذرهم من الزيارة في طلب الحوائج والمصافحة بالمقارعة، والأكل أكل النهم، والمشي مشي المرضى، والنوم نوم الموتى، وهذا بفضل حنكتها في سبر أسرار النفوس، ومن أقولها: " شر الصدور صدر لا رأفة فيه، وشر الأقدار قدم لا تزور في الله، وشر البيوت بيت لا يدخله المسلمون، وشر المال مال لا ينفق منه"[4].

[1] – محمد رضا كحالة: مرجع سابق، 135.

[2] – حسن حسنى عبد الوهاب: مرجع سابق، ص73

[3] – نانا: تعني الجدة، وتابر تعني الفاضلة الصالحة. للمزيد ينظر: بدرية بنت حمد الشقصية: السيرة الزكية للمرأة الاباضية، تقديم احمد بن حمد الخليلي، ط1، المطبعة العالمية روي، سلطنة عمان، 2000م، ص109.

[4] – نفسه.

كما كان للصلحاء دور فعال في إحياء والاحتفال بالأعياد الدينية عن طرق إعداد الموائد للمريدين، خاصة الاحتفال بليلة المولد النبوي الشريف لكونه أهم مناسبة تجلت فيها الأبعاد الاحتفالية[1] للأعمال الخيرية، الذي كان هدفها بالمقابل إطعام المساكين والفقراء حيث كانت السيدة عائشة الإدريسية (969هـ/ 1562م) تقوم ليلة المولد النبوي الشريف بذبح البقر والغنم وتطعم الطعام حبا لنبي صلى الله عليه وسلم[2]، وهناك من كانت تحبس الأرض المزروعة كي يقدم قمحها للصوفية الفقراء في ليلة المولد النبوي[3] ومن الأولياء من فضل الاحتفال بهذه المناسبة في الرباطات والزوايا، ويذكر الونشريسي في نوازله:"...إذ سئل عن امرأة تصدقت بموضع على ليلة المولد؛ يزرع ذلك الموضع ويؤخذ قمحه ويعمل به في تلك الليلة المذكورة فيجتمع فقراء هذا الزمان ويذكرون الله فيأخذونه في الغناء والرقص ثم يأكلونه..."[4] .

برزت المرأة المتصوفة كعنصر فاعل ومتفاعل في حل النزاعات والمشاكل السياسية، والمشاركة في الحروب[5]، خاصة عقب انهيار دولة الموحدين سنة 668هـ/1269م في بلاد المغرب الإسلامي، وظهور النزاعات الداخلية والفتن وانقسام بلاد المغرب إلى ثلاث دويلات الحفصية بالمغرب الأدنى المرينية بالمغرب الأقصى والزيانية بالمغرب الأوسط ، أثرت على جميع جوانب الحياة، خاصة الحياة الفكري الذي ساهم بشكل كبير عل الجانب السلطوي، كان تدخل المتصوفة في الشؤون السياسية للصلح بين الأطراف المتحاربة، وفي هذا الشأن

[1] – سعيد بنحمادة: الأغذية والمجتمع بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط مدخل لدراسة العوائد والقيم، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، مكناس، (د.س.ن)، ص14.

[2] – محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني: مصدر سابق، ص 23.

[3] – الطاهر بونابي: ظاهرة التصوف النسائي، مرجع سابق، ص 153.

[4] – الونشريسي: مصدر سابق، ج7، ص114.

[5] – آسلي ميمون وخنثير بن زيان: مرجع سابق، ص 26.

يقول الونشريسي:" يتدخلون بالبوادي لحماية المسافرين والتجار من عبث القبائل البدوية وأهل الحرابة "[1].

كما قام بعض المتصوفات بالسعي إلى الإصلاح بين المتخاصمين وإخماد الفتن كالصالحة عزيزة السكسوية (ت خلال القرن 9هـ/15م) التي التقى بها بن قنفذ وهي متوجهة لإصلاح بين فئتين عظيمتين، كما أنها كانت تقوم بالدعاء للناس ووعظهم وإرشادهم مما جعل الناس يتزاحمون عليها لبلغتها وقوة حجتها[2]، كما استنجد بها عمر الهنتاتي في ردع أحد الخارجين عليه، حيث جهز جيش كبير يفوق عن ستة آلاف جندي قاصدا حصار السكسوي ليدخل تحت حكمه، فطابت منه الصالحة عزيزة السكسوية (ت خلال القرن9هـ/15م) الرجوع وبأنها سوف تتولى هي أمر ذلك، إلى أن جاءه كتابه بخدمته وطاعته[3]، وبهذا شكلت المرأة المتصوفة همزة وصل بين الأطراف المتنازعة.

ويذكر ابن الزيات (ت617هـ/1220م)، عن أم محمد سلامة(عاصرت معركة الأرك سنة595هـ/1199م) أي خلال القرن السادس هجري، كانت مع ابنها في فصل الحصاد حتى صاحت وسقطت، فسمعت ابنها يقول الكرة لهمن ثم أفاقت من غشيتها وصرخت صرخة فرح، قائلة فاجتمع حولها الناس منكرين فعلها. فقالت لهم: كنت رأيت الروم قد حملوا على المسلمين حملة عظيمة، فعظم ذلك علي، ثم كانت الكرة للمسلمين عليهم فهزموهم، وإذا بالخبر جاء من جزيرة الأندلس، بأن المسلمين قد هزموا ادفونش ملك الروم، وهي غزوة الأرك[4] في سنة 519هـ/1195م[5].

---

[1]– الونشريسي: مصدر سابق، ج 2، ص 403.

[2] – ابن قنفذ: مصدر سابق، ص87.

[3]– نفسه.

[4] – موقعة الأرك: وهي منطقة بالقرب من نواحي بطليوس، كانت فيها الواقعة المشهودة بين النصارى والجيوش الإسلامية بقيادة المنصور الموحدي، انهزم فيها النصارى واضطروا إلى عقد الصلح، سنة 591هـ. للمزيد ينظر: فاطمة جدوا: مرجع سابق، ص130.

[5]– ابن الزيات: مصدر سابق، ص 388.

ومما تقدم نخلص إلى نتيجة مفادها أن المرأة المتصوفة قامت بجهود كبيرة لرعاية ونشر التصوف والتمكين له، كما ساهمت في بناء مجتمعها وتقديم خدمات جليله له، وكانت هذه الأدوار متنوعة وفعالة؛ فقد وجدناها تربي الناشئة على الأخلاق الصوفية، وتساهم في بناء مؤسسات التنشئة الصوفية، كما كان لها دور سياسي تمثل في فض النزاعات والصراعات على السلطة أو بين القبائل.

خاتمة جزئية:

- اختيار الزوجة الصالحة يعتبر اللبنة الأولى لصلاح المجتمع.

- عزوف بعض المتصوفات على الزواج إما من اجل الانقطاع والتفرغ لعبادة الله وحده، أو إما بسبب صعوبة العيش وعدم تلبية حاجياتها، بالإضافة إلى خوفهن من الله سبحانه وتعالى من عدم معاشرة أزواجهن بالمعروف.

- اختلف المتصوفة المغرب في العصر الوسيط في الزواج فمنهم من يرى ضرورة ذلك خوفا من الوقوع في الحرام وبذلك فهو وسيلة من أجل الفوز بالآخرة، ومنهم من يرى العكس ويعتبره من ملذات الدنيا ويشغل عن عبادة الله تعالى.

- ملازمة بعض المريدين لشيوخهم للنهل منهم مبادئ علوم التصوف والارتقاء في مدارج الصوفية مثل صحبة عائشة المنوبية للولي أبي حسن الشاذلي (ت656هـ/1258م)، ولتلميذه أبو سعيد الباجي(ت628هـ/ 1231م).

- كثرة تردد النساء على الزوايا والأولياء والأضرحة قصد التبرك وتحقيق أهدافهن.

- ملازمة الولية لمريدها فكانت حريصة على إيصال علوم ومبادئ الصوفية.

- علاقة المرأة المتصوفة مع الفقهاء لم تكن في بادئ الأمر حسنة حيث عمل الفقهاء على التصدي إلى كل الممارسات الدينية التي كانت تقوم بها المرأة ، معتبرين المرأة رمز للشيطان ولا يمكن أن تتساوى مع الرجل، مستدلين في ذلك بنصوص شرعية من القرآن والسنة.

- بروز المرأة المتصوفة كعنصر فعال في المجتمع، أصبح من المقرر على الفقهاء الاعتراف بها وبمجهودها في نشر العلم وتفقيه العامة ممن يعتقدون في ولاية المرأة وصلاحها.

- ساهمت علاقة المرأة المتصوفة بالسلطان في تحسين المستوى الاجتماعي للمرأة المتصوفة ومجتمعها وتسخير كراماتها من طرف السلطان من أجل مصالحه الخاصة حفاظاً على ملكهم من الزوال.

- في حين تلخصت علاقة المرأة بالمجتمع من خلال جهودها التربوية والاجتماعية والسياسية تجاه أفراد مجتمعها سواء من الناحية المادية أو المعنوية والتي غالبا ما تكون عن طريق الكرامات.

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة التي تناولنا فيها موضوع: " المرأة المغربية المتصوفة في الغرب الإسلامي من القرن الخامس إلى القرن العاشر هجري القرن الحادي عشر إلى السادس عشر ميلادي" توصلنا إلى جملة من النتائج التي يمكننا تلخيصها في النقاط التالية:

- بلوغ المرأة المغربية المتصوفة أعلى رتبة في التصوف ألا وهي درجة القطبية التي وصلت إليها السيدة عائشة المنوبية (665هـ/1267م) وذلك مزاحمة الأولياء والصالحين في مكانتهم وقداستهم، حيث أثارت بعض النسوة اقتحام هذا الميدان الرجولي لتثبت عبره أن المرأة ليست أقل تقوى من الرجل، ولا أقل منه علما طبقا للمساواة التي أقرها الإسلام بينهما، بالإضافة إلى الدور الكبير الذي أدته العوامل الاجتماعية والسياسية والثقافية.
- دور المؤسسات الدينية في مساعدة المرأة المغربية في اختيارها منحى التصوف من بينها المساجد و الربطات والزوايا التي كانت بمثابة الفضاء الروحي والعلمي الذي نهلت منه العديد من الصالحات مبادئ الزهد الذي فتح أمامها المجال لاعتناق التصوف لتصبح تبث الرقائق والمواعظ التي تدعو إلى الزهد والعزوف عن الدنيا والإقبال على الآخرة.
- ساهم المحيط الذي ترعرعت فيه المرأة، وخاصة إذا كانت من بيئة متدينة، وكما يقال الإنسان بن بيئته فهو يؤثر ويتأثر بما حوله، خاصة الأسرة التي تعتبر النواة الأولى في

تصوف المرأة؛ مثل أسرة بن مرزوق وأسرة المزوغي وغيرها من الأسر الصوفية، بالإضافة إلى القبيلة المتصوفة، مع ما تعنيه، نظرة الرجل الصوفي بالنسبة للمرأة سواء كان بالإيجاب أو بالسلب كل هذا ساهم بشكل أو بأخر في تشجيع المرأة على التصوف.

- وجدت المرأة المغربية الميل نحو حياة العزلة والانقطاع، كسبيل نحو التصوف لكونه الملاذ الروحي والنفسي، الذي فجرت من خلاله الطاقات الوجدانية والروحية والفكرية والسلوكية.

- يعتبر انتشار التصوف النسوي في البوادي والحواضر المغربية واعتلاء المرأة مراتب الصوفية وبلوغها درجة القطبية، غير مجرى حياة المرأة من مرأة عادية إلى مرأة متصوفة متشبعة بمظاهر الزهد سواء من ناحية الأكل أو الملبس أو المسكن مكتفية بما تنتجه أناملها من غزل الصوف من أجل الاعتكاف على عبادة الله عز وجل و الفناء من أجله سبحانه وتعالى، ولم يمنعها مستواها الاجتماعي البسيط من طلب العلم وتطوير مستواها المعرفي في الدين ومجالسة كبار الفقهاء و مناظرتهم.

- كما قامت المرأة المتصوفة بتسخير نفسها لخدمة التصوف من خلال انتهاج كل واحدة منهن مسلك خاص بها تكبح من خلاله شهوات النفس وملذات الدنيا، فعرف المسلك الصوفي للمرأة المغربية اتجاهين اثنين هما:

- اتجاه الزهد والورع والاجتهاد في العبادة فيما يعرف بالتصوف السني، بعيدا عن الأحوال والمقامات والحياة الفلسفية.
- اتجاه التفرغ للمجاهدة ولقاء الأولياء والسياحة في الأرض.

- كما خصت المرأة المتصوفة بكرامات متعددة مثلها مثل الرجال؛ وتنقسم الكرامات إلى قسمين: حسية والتي من بينها شفاء الأمراض المستعصية وإنزال الغيث والمشي على الماء، معنوية التي تمثلت في العلم بالأمور الغيبية و تكليم الطعام والحيوانات وغيرها.

- وعلى الرغم من محاولة المرأة المتصوفة الابتعاد عن الدنيا وملذاتها الا أن هذا لم يمنعها من القيام بواجباتها الأسرية كزوجة صالحة قائمة بشؤون زوجها، أو كأم تحرص على

تربية أبنائها تربية صالحة، في حين فضل البعض منهن حياة العزوبية رغبة منها في التفرغ لعبادة الله عز وجل.

- كان الرجل الصوفي قدوة المرأة المتصوفة في الأخلاق والتربية الروحية، التي ساهمت في إنشاء العلاقة بينهما والمتمثلة في صحبة وملازمة المريدة للشيخ و صحبة الشيخة للمريد من أجل استقطاب وجذب المريدين إليهم لضمان استمرارية نهجم الصوفي .

- سمح طريق التصوف للمرأة في خلق علاقات متبادلة بينها وبين الفقهاء تمحورت حول مسألة تصوف المرأة ونظرة الفقيه إليها بين معارض ومساند.

- العلاقة المتبادلة بين المرأة المتصوفة و السلطة في فترات القوة والضعف تمكنت من خلالها المرأة المتصوفة من خدمة المجتمع مقابل سعي السلاطين إلى مصالحهم الخاصة حفاظاً على ملكهم من الزوال.

- في حين تلخصت علاقة المرأة بالمجتمع من خلال جهودها التربوية والاجتماعية والسياسية تجاه أفراد مجتمعها سواء من الناحية المادية أو المعنوية والتي غالبا ما تكون عن طريق الكرامات.

الـــمـــلاحـــق

الملحق: رقم 01.

جدول توضيحي للمسلك الصوفي لنماذج من النساء الصالحات ببلاد المغرب الإسلامي من القرن الخامس إلى القرن العاشر هجري

المسلك الصوفي	المتصوفات	تاريخ الوفاة	المصدر
اتجاه الوعظ والتذكير	- أم هانئ العبدوسية	(ت860هـ/1456م)	الصومعي : مصدر سابق، ص 130.
	- عائشة الإدريسية	(ت 969هـ/ 1562م)	محمد عسكر حسني: مصدر سابق، ص150.
	- حفصة الصنهاجية	/	محمد شريف سيدي موسى: مرجع سابق، ص 91.
	- عائشة بنت أحمد بن حسن المديوني	(ت ق8هـ/13م)	عادل نويهض: مرجع سابق، ص289.
	- أم العلاء	(ت 647هـ/1249م).	- إبراهيم القادري بودشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين الذهنيات والمجتمع، مرجع سابق، ص 127.
اتجاه الترغيب والترهيب	- الصالحة عزيزة السكسوية	(ت خلال ق9هـ/15م)	ابن قنفذ: مصدر سابق، ص86.

اتجاه المجاهدات النفسية	– منية بنت ميمون الدكالي	(ت 595هـ/1199م)	ابن الزيات: مصدر سابق، ص316.
	– أم العز زوجة الولي الصالح أبو يعزى	/	العزفي : مصدر سابق، ص 49.
	– العجوز الصالحة من مدينة القيروان	/	الدباغ: مصدر سابق، ج3، ص141
	– أخت عبد العزيز التونسي	(ت خلال ق7هـ/13م)	ابن الزيات: مصدر سابق، ص94.
	– الشابة الهسكورية	(ت خلال ق9هـ/15م)	ابن الزيات: مصدر سابق، ص285.
	– عائشة المنوبية	(ت665هـ/1267م)	التادلي: مصدر السابق، ص 13.
	فاطمة الأندلسية	(ت خلال ق7هـ/13م)	ابن الزيات: مصدر سابق، ص331.
	– الصالحة الضريرة	/	ابن قنفذ: مصدر سابق، ص73.
	– مؤمنة التلمسانية	(ت خلال ق9هـ/15م)	ابن قنفذ: مصدر سابق، ص87.
	أمية بنت يغروسن	توفيت في النصف الأول من القرن 6هـ/12م	الطاهر بونابس: الحركة الصوفية، مرجع سابق، ص75.
اتجاه	– فاطمة الأندلسية	(ت خلال ق7هـ/13م)	ابن الزيات: مصدر سابق، ص332.

السياحة والأسفار	– فاطمة الصنهاجية	(ت خلال ق9هـ/15م)	ابن قنفذ: مصدر سابق، ص86.

إعداد شخصي

الملحق: رقم 02.

أعمدة بيانية توضح مدى انتشار ظاهرة التصوف عند النساء في البوادي والمدن

(من القرن 6-10هـ /12-16م)

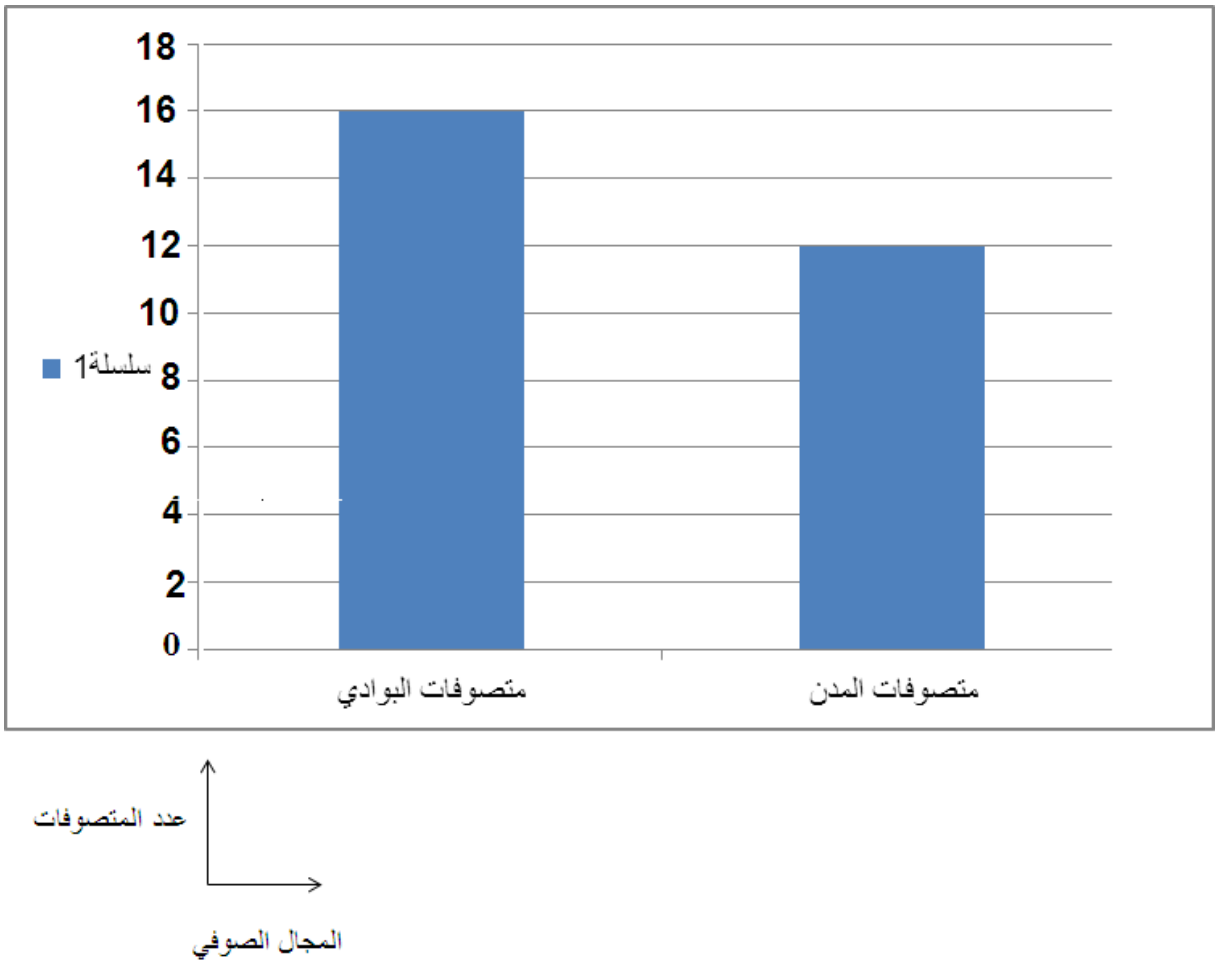

إعداد شخصي

الملحق: رقم 03.

مدحة السيدة عائشة المنوبية.

جيناك يا كونية بصدق ونية

جيناك يا عدالة نبغوا منك دالة

واللي تضيق حوالة ينادي على الشرعية

جيناك محبوبة نبغوا منك نوبة

حجة ومعاها توبة وزورة إلى سيدي رقية

جيناك تحن علينا بالك تفرط فينا

ياسيدة واسقينا خمرة ربانية

جيناك نبغوا أسرارك حني على زيارك

معلوم تحمى جارك والحاجة مقضية

جيناك يا مشهورة يافائزة بالصورة

مقامك مشعشع نوره يضوي مثيل ثريا

يا زيار المنوبية زوروها والحاجة مقضية

زوروها راهي مسرارة محبوبة عند الذّكارة

واللي يغيب تجيه إلى داره وتجيب عن كل ثنية

زوروها راهي نفاعة من جاها يشتكي بأوجاعه

يتضرع كثيرا في ساعة هلموا يا أهل النية

زوروها راهي محبوبة والخدمة فيها مطلوبة

حضرتها للالة منصوبة نعم الحضرة الشاذلية

ياداخل في هذه الحضرة تسعد في الدنيا وفي الأخرى

يحضرلك في وقت الغسرة الغوث إمام الصوفية

الشاذلي مولى العناية لا تحصى له مزايا

يكفيه فخر الولاية جده خير البرية

يارب صل وبارك على المصطفى المبارك

وعلى الآل كذلك والصحابة والذرية

والأزواج الطاهرين أهل البيت أجمعين

وجميع التابعين للشريعة الإسلامية[1]

[1] - أبو العباس أحمد التادلي: مصدر سابق، ص-ص 174-175.

قائمة المصادر والمراجع

❖ **المصادر والمراجع.**

1- المصادر:

❖ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

❖ صحيح البخاري.

أولا: المخطوطات.

1- ابن عباد الرندي (ت 792هـ/1390م): الرسائل الكبرى المسماة نزهة الناظر المتأمل وقيد السائر المستعجل، طبعة حجرية، 1339.

2- ابن عربي محي الدين (ت 560هـ/1165م): كتاب ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق، (د.ط)، المطبعة الأنسية، بيروت، لبنان، 1313هـ.

3- ابن هلال السجلماسي(ت903هـ/1497م): الدر النثير على أجوبة أبي الحسن الصغير، كتاب مخطوط، المكتبة العامة، الرباط، المغرب، (د.س.ن).

ثانيا: المصادر المطبوعة.

4- ابن الأثير محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ/ 1233م): الكامل في التاريخ، مراجعة محمد يوسف الدقاق، مج 8، ط1، دار الكتي العلمية، بيروت، لبنان، 1987م.

5- ابن الأحمر إسماعيل (ت 807هـ/1405م): بيوتات فاس الكبرى، (د.ط)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1972م.

6- الإدريسي الشريف(ت 560هـ/1165م):المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،(د.ط)، مطبعة بريل، لندن، 1863م.

7- البادسي عبد الحق بن إسماعيل(على قيد الحياة إلى هذا التاريخ722هـ/ 1322م): المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تح سعيد إعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1993م.

8- البرزلي (ت 844هـ/1438م): جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام، تح محمد الحبيب الهيلة، ج2، ج3، ج4،ج5،ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002م.

9- البقلي أبو نصر (ت 606هـ/1209م): مشرب الأرواح، تح إبراهيم الكيالي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2005م.

10- البكري أبو عبيد الله (ت 487هـ/1094م): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، (د.ط)، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، (د.س.ن).

11- ـــــــــ، ـــــــــ : المسالك والممالك، تح أدريان فان ليوفن وأندري فيري، ج2، دار الغرب الإسلامي، (د.ب.ن)، 1992م.

12- البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي(توفي أواسط القرن السادس هجري/ الثاني عشر ميلادي): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، (د.ط)، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب،1971م.

13- التادلي ابن الزيات (ت 627هـ/1229م): التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح أحمد توفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1997م.

14- التادلي المغربي أبو العباس أحمد: مناقب السيدة عائشة المنوبية، تح محمد الكحلاوي، تقديم توفيق بن عامر، ط1، المغاربية للطباعة والإشهار، تونس، 2011م.

15- التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد(ت خلال القرن 7هـ/13م): رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، (د.ط)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981م.

16- التميمي أبو العرب محمد بن أحمد (ت 333هـ/945م): طبقات علماء إفريقية، (د.ط)، دار الكتاب اللبناني، لبنان، (د.س.ن).

17- التميمي الفاسي أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم (ت603هـ/ 1206م): المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تح محمد الشريف، ج1، ج2، ط1، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2002م.

18- التنبكتي أحمد بابا(ت963هـ/1036م): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد الهراحة، ط2، دار الكتاب، طرابلس، 2000م.

19- ابن تيمية (ت 728هـ/1328م): الصوفية والفقراء، تح محمد جكيل غازي، (د.ط)، دار المدني، القاهرة، (د س.ن).

20- الجامي أبو البركات عبد الرحمان (ت 998هـ/1590م): الدرة الفاخرة في تحقيق مذاهب الصوفية والمتكلمين والحكماء المتقدمين، تح أحمد عبد الرحيم السايح و أحمد عبده عوض، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2002م.

21- ـــــــــــ،ـــــــــــ: نفحات الأنس من حضرات القدس، (د.ط)، مكتبة الشؤون الفنية، مصر، 1989م.

22- أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي (ت 708هـ/1308م): كتاب صلة الصلة، تح شريف أبو العلاء العدوي، مج3، ط1، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، مصر، 2008م.

23- ابن الحاج النميري (ت 768هـ/1367م): فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، إعداد محمد بن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.

24- أبو حامد الأندلسي الغرناطي (ت 565هـ/1080م): تحفة الألباب ونخبة الأعجاب، تح إسماعيل العربي، ط1، دار الأفاق الجديدة، المغرب،1993م.

25- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت 456هـ/1064م): رسائل بن حزم الأندلسي (374-456)، تح إحسان عباس، ج1، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1987م.

26- الحموي ياقوت (ت 622هـ/1225م): معجم البلدان، مج3، (د.ط)، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.س.ن).

27- ابن الخطيب لسان الدين (ت 776هـ/1374م): أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تاريخ إسبانيا الإسلامية، تح ليفي بروفنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت لبنان، 1956م.

28- ـــــــــــ،ـــــــــــ: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، (تح) أحمد مختار العيادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م.

29- ـــــــــــ،ـــــــــــ : نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تح أحمد مختار العبادي، (د.ط)، دار النشر العربية، الدار البيضاء، المغرب، (د.س.ن).

30- ابن خلدون عبد الرحمان (ت 808هـ/1406م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار،ج6، ج7، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م.

31- ـــــــــــ،ـــــــــــ: مقدمة ابن خلدون، تح محمد الإسكندراني، (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2014م.

32- ابن خلكان (ت 681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس ج7،(د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.س.ن).

33- الدباغ الأنصاري أبو زيد عبد الرحمان بن محمد (ت 699هـ/1300م): مشارق أنوار القلوب ومفتاح أسرار الغيوب، تح هـ ريتر، (د.ط)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.س.ن).

34- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1374م) : سير أعلام النبلاء ج 23، (د-ط)، مؤسسة الرسالة، 2001م.

35- الزركشي أبو عبد الله بدر الدين (ت 794هـ/1392م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح محمد ماضود، (د.ط)، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.

36- زروق الفاسي أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي (ت 899هـ/1494م): عدة المريد الصادق، تح الصادق بن عبد الرحمان الغرياني، ط1، دار بن حزم، بيروت، لبنان، 2006م.

37- ـــــــــــ،ـــــــــــ: اللوائح الفاسية في شرح المباحث الأصلية، على جملة الطريقة الصوفية، تح عبد القادر نصار وعبد الله جمال حمدنا الله، ط1، دار الإحسان، القاهرة، 2015م.

38- ـــــــــــ،ـــــــــــ: مقدمة التصوف وحقيقته، تح نزار حمادي، (د.ط)، دار الإمام ابن عرفة، تونس، (د. س.ن).

39- ابن سحنون محمد (ت 256هـ/870م): كتاب آداب المعلمين، تح حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة محمد العروسي المطوي، ط2، مطبعة ليدن، تونس، 1972م.

40- شعيب أبو مدين (ت 594هـ/1198م): الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان، تح عبد الحميد حاجيات، (د.ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

41- الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني (ت 986هـ/1578م): دوحة الناشر لما كان بالمغرب من القرن العاشر هجري، تح محمد حجي، طبعة الثانية، مطبوعات دار المغرب، الرباط، المغرب، 1977م.

42- الشماخي أحمد بن سعيد (ت 928هـ/1522م): كتاب السير، تح أحمد بن سعود السيابي، ج1، (د.ط)، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، 1987م.

43- الشماع أبو محمد عبد الله بن أحمد (ت 861هـ/1457م): الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح الطاهر بن محمد المعموري، (د.ط)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م.

44- الصومعي أحمد التادلي (ت1013هـ/1604م): كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبو يعزى، تح علي الجاوي، (د.ط)، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1996م.

45- ابن عربي محي الدين (ت 638هـ/1241م): الفتوح المكية، تح عثمان يحي، تصدير إبراهيم مدكور، ج7، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1981م.

46- العزفي أبو العباس (ت 633هـ/1236م): دعامة اليقين في زعامة المتقين " مناقب الشيخ أبي يعزى"، تح أحمد التوفيق، (د.ط)، مكتبة خدمة الكتاب، (د.ب)، 1989م.

47- ابن غازي المكناسي (ت 919هـ/ 1513م): الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح عطا أبورية و سلطان بن مليح الأسمري، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2007م.

48- الغبريني أبو العباس (ت 704هـ/1304م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض، ط2، دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979م.

49- القاضي عياض(أبو الفضل بن موسى اليحصبي)(ت 544هـ/1149م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط محمد سالم هاشم، ج1، ج3، ج8، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م.

50- ابن الأبار (أبو عبد الله القضاعي محمد بن عبد الله) (ت 658هـ/1260م): الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، ج2، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1985م.

51- ابن قسي أحمد (ت 546هـ/1151م): خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين، تح محمد الأماني، ط1، مطبعةَ اب م ش، 1997م.

52- القلصادي أبو الحسن علي (ت 891هـ/1487م): رحلة القلصادي، تح محمد أبو الأجفان، (د.ط)، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م.

53- ابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1408م): أنس الفقير وعز الحقير، تح محمد الفاسي وأدولف فور، (د.ط)، مطبعة أكدال، الرباط، المغرب، 1965م.

54- الكتبي محمد بن شاكر (ت 764هـ/1363م): فوات الوفيات والذيل عليها، تح إحسان عباس، مج3، (د.ط)، دار صادر، بيروت، لبنان، 1974م.

55- أبو عبد الله القرطبي (ت 671هـ/1273م): قمع الحرص بالزهد والقناعة، تح مجدي فتحي السيد، ط1، دار الصحابة للتراث، مصر، 1989م.

56- المالكي أبو بكر بن عبد الله (ت بعد 453هـ/1061م) : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، ج1، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م.

57- ابن عذارى المراكشي (ت 695هـ/1295م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح إحسان عباس، ج4، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م.

58- ابن القطان المراكشي (ت 628هـ/1230م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح محمود علي مكي، ط2، دار الغرب الإسلامي، (د.ب.ن)، 1980م.

59- ابن مرزوق التلمساني محمد (ت 781هـ/ 1379م): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح ماريا خيسوس، تقديم محمود بوعياد، (د.ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

60- ابن مرزوق التلمساني محمد (ت 781هـ/ 1379م): المناقب المرزوقية، تح سلوى الزاهري، (د.ط)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2008م.

61- مخلوف محمد بن محمد بن عمر قاسم (ت 842هـ/1438م): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2003م.

66- المكي أبو طالب (ت 386هـ/996م): قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تح محمود إبراهيم محمد الرضواني، ج1، ط1، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، 2001م.

67- مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، (د.ط)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، (د.س.ن).

62- مؤلف مجهول: مفاخر البربر، تح عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2005م.

63- الهجويري علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي (ت 465هـ/1077م): كشف المحجوب، تح إسعاد عبد الهادي قنديل، (د.ط)، مكتبة الإسكندرية، (د.ب.ن)، 1974م.

64- الوزان حسن (ت 957هـ/1550م) : وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م.

65- الوسياني (ت بعد557هـ/1161م): سير الوسياني، تح عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصابة، ج2، (د.ط)، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 2009م.

66- الونشريسي أبو العباس (ت 914هـ/1509م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف محمد حجي، ج2، ج4، ج7، ج11، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981م.

67- النويري شهاب الدين (ت 733هـ/1333م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تح عبد المجيد ترحيني، ج24، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.س.ن).

2- المراجع.

أولا: المراجع العربية.

68- ابن إبراهيم التاسافتي عبد الله: رحلة الوافد لحظات من تاريخ أدرار ن-درن (أطلس مراكش) وسوس في القرن 12 الهجري/18الميلادي، تح علي صدقي ءازايكو، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة بن طفيل، القنيطرة، المغرب،1993م.

69- أحمد طه جمال: مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين448هـ/1056م إلى 668هـ/1269م دراسة سياسية حضارية، (د.ط)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2001م.

70- أزايكو علي صدقي: نماذج من أسماء الأعلام والجغرافية البشرية المغربية، (د.ط)، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 2004م.

71- الأهواني أحمد فؤاد: التربية والتعليم في الإسلام، (د. ط)، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د .س.ن).

72- باشا أحمد تيمور: نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة الحنفي المالكي الشافعي الحنبلي، تقديم محمد أبو زهرة، ط1، دار القادري، بيروت، 1990 م.

73- البختي جمال علال: الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2005م.

74- بدوي عبد الرحمان: شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1962م.

75- براضة نزهة: الأنوثة في فكر بن عربي، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2008م.

76- بوبريك رحال: بركة النساء الدين بصيغة المؤنث، (د.ط)، إفريقيا الشرق، المغرب، 2010م.

77- بوتشيش إبراهيم القادري: الإسلام السري في المغرب العربي، طبعة الأولى، مطبعة سينا، القاهرة، 1995م.

78- ـــــــ،ـــــــ: المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع –الذهنيات– الأولياء، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1993م.

79- بوتشيش إبراهيم القادري: تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1994م.

80- ـــــــ،ـــــــ: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، (د.ط)، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1997م.

81- البيلي محمد بركات: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس هجري، (د.ط)، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1993م.

82- التازي عبد الهادي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مج5، (د.ط)، مطابع الفضالة، المحمدية، المغرب، 1986م.

83- التاقتازاني أبو الوفاء الغنيمي: مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط 3، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،(د.س.ن).

84- التلدي عبد الله بن عبد القادر: المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، ط4، دار الأمان، الرباط، 2003م.

85- تليسي بشير رمضان: الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003م.

86- الثعالبي عبد العزيز: تاريخ شمال افريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، (تح) أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، تقديم حمادي الساحلي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.

87- جاد الله منال عبد المنعم: التصوف في مصر والمغرب، (د.ط)، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1997م.

88- جلاب حسن: الحركة الصوفية بمراكش: ظاهرة سبعة رجال، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب، 1994م.

89- ـــــــ،ـــــــ: الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب، ط3، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب الأقصى، 1995م.

90- الجمل شوقي عطا الله: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر 1977م.

91- جودة ناجي حسين: المعرفة الصوفية دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة، ط1، دار الهادي، بيروت، لبنان،2006م.

92- حارش محمد الهادي: دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، (د.ط)، دار هومة للنشر، الجزائر، 2014م.

93- حجي محمد: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 1988م.

94- حجي محمد: موسوعة أعلام المغرب، ج2،ط 1، دار الغرب الإسلامي 1996م.
95- حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، ج1، (د.ط)، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 2000م.
96- حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاجتماعية، ج3، (د.ط)، منشورات الحضارة، بئر توتة، الجزائر، 2009م.
97- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس" عصر المرابطين والموحدين"، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م.
98- حسن محمد: الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع الهجري، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، 2003م.
99- ـــــــ،ـــــــ: المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، ج1، ج2، (د.ط)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، تونس، 1999م.
100- ـــــــ،ـــــــ: القبائل والارياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربع، تونس، 1986م.
101- حلمي محمد مصطفى: ابن الفارض والحب الإلهي، ط2، دار المعارف، القاهرة، (د.س.ن).
102-بنحمادة سعيد: الأغذية والمجتمع بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط مدخل لدراسة العوائد والقيم، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، مكناس، (د.س.ن).
103-حمادة محمد ماهر: الوثائق الإدارية والسياسية في الأندلس وشمالي افريقية 64-897هـ/683-1492م، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1986م.
104- حمودة عبد الحميد حسين: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، 2007م.
105-الحيدري إبراهيم: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2011م.
106-خميس حميدي: مقالات في الأدب والفلسفة والتصوف، (د .ط)، دار الحكمة، الجزائر، (د.س.ن).

107- دبوز محمد علي: تاريخ المغرب الكبير، ج2، ط2، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2010م.

108-دندش عصمت عبد اللطيف: أضواء جديدة على المرابطين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991م.

109-الراوي عبد الستار: التصوف والباراسايكولوجي مقدمة أولى في الكرامات الصوفية و الظواهر النفسية الفائقة، ط1، دار الخلود للتراث، القاهرة ، 2006م.

110-الزاهي نور الدين: بركة السلطان، (د.ط)، دفاتر وجهة النظر، الرباط، المغرب،(د.س.ن).

111-زروق عبد الله حسن: منهجية لدراسة أصول التصوف، (د.ط)، المركز القومي للإنتاج الإعلامي، 1994م.

112-زيادة نقولا: إفريقيا دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي، (د.ط)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2002م.

113-السائح الحسن: الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1986م.

114-سالم السيد عبد العزيز: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1999م.

115-سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، ط1، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، لبنان، 1985م.

116-السعدي مهدي: المرأة والحياة الدينية في العصور الإسلامية الأولى والوسطى، مؤتمر وأبحاث دور المرأة السياسي والحضاري عبر العصور، مج 1، مركز البحوث والدراسات التاريخية، القاهرة، 2002م.

117-السعيد صلاح الدين محمود: زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، ج1، (د.ط)، دار البيان العربي، مصر، 2006م.

118-السملالي العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تح عبد الوهاب بن منصور، ج1، ج4، ج10، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1983م.

119- شافع راوية عبد الحميد: المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة (92-422هـ) (711-1031م)، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر 2006م.

120- شرف محمد جلال: دراسات في التصوف الإسلامي، شخصيات ومذاهب، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، (د.س.ن).

121- الشقصية بدرية بنت حمد: السيرة الزكية للمرأة الإباضية، تقديم أحمد بن حمد الخليلي، ط 1، المطبعة العالمية روي، سلطنة عمان، 2000م.

122- صحراوي عبد القادر: الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520-1830، (د.ط)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2016م.

123- صفر أحمد: مدنية المغرب العربي في التاريخ عشرون قرنا من تاريخ افريقية من عصور ماقبل التاريخ إلى آخر العهد البيزنطي، ج1، (د.ط)، دار بوسلامة، تونس، (د.س.ن).

124- ظهير إحسان إلهي: التصوف المنشأ والمصادر، ط1، إدارة ترجمان السنة، باكستان، 1986م.

125- الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 هجريين و12 و13 ميلاديين، (د.ط)، دار الهدى للطباعة، عين مليلة، الجزائر، 2004م.

126- الطمعي محي الدين: التكملة جامع كرامات الأولياء، (د. ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م.

127- ابن عامر توفيق: التجربة الدينية بين الوحدة والتنوع، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2013م.

128- العامري نللي سلامة: التصوف بافريقية في العصر الوسيط من القرن 3هـ/9م إلى نهاية القرن 9هـ/15م، (د.ط)، دار كونتراست للنشر، سوسة، تونس، 2009م.

129- ـــــــ، ـــــــ: الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي، ط2، دار الفارابي، تونس، 2006م.

130- العتيبي خالد بن الناصر بن مناجر: الطريقة الشاذلية عرض ونقد، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 2011م.

131- عثمان عبد الكريم: نظرية التكليف آراء القاضي عبد الجبار الكلامية، (د.ط)، مؤسسة الرسالة، (د.س.ن).

132-أبو عبد العزيز بن إدريس محمود إدريس: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية، (مج) 1، مكتبة الرشد، الرياض، (د.س.ن).

133-عفيفي أبو العلاء: الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، ط1، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، 2015م.

134- العقبي صلاح مؤيد: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها، (د.ط)، دار البراق، بيروت، لبنان، 2002م.

135- عون فيصل برير: التصوف الإسلامي الطريق والرجال، (د.ط)، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1983م.

136-غرميني عبد السلام: المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 2000م.

137- غريب مأمون: أبو الحسن الشاذلي حياته. تصوفه. تلاميذه وأوراده، (د.ط)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2000م.

138-الغنيمي التفتازاني أبو الوفاء: مدخل إلى التصوف الإسلامي، (د.ط)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1979م.

139-فوار زينب (ت 1332هـ/ 1914م) : الدرر المنثور في طبقات ربات الخدور، (د.ط)، مؤسسة هنداوي لتعليم والثقافة ، مصر، 2012م.

140-فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، ج1، (د.ط)، دار موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.

141-الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ المغرب والأندلس، (د.ط)، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1990م.

142- القبلي محمد: الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط علائق وتفاعل، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1997م.

143-ـــــ،ـــــ: مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الأوسط، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1987م.

144- الكتاني عبد الكبير بن هاشم: زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، تح علي بن المنتصر الكتاني، ج1، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2002م.
145- الكتاني محمد بن جعفر: سلوة الأنفاس في محادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، ج1، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د.س.ن).
146- كحالة عمر رضا: أعلام النساء من عالمي العرب والإسلام،ج1، مطبعة الرسالة، بيروت، 1959م.
147- الكحلاوي محمد: الفكر الصوفي في افريقية والغرب الإسلامي(القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، (د.س.ن).
148- بن عبد الله عبد العزيز: معلمة التصوف، ج2، (د.ط)، دار المعارف، الرباط، (د.س.ن).
149- الكيلاني عبد الرزاق: الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، ط1، دار القلم، بيروت، لبنان، 1994م.
150- ماسيون ومصطف عبد الرزاق: التصوف، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984م.
151- محمد إبراهيم مجدي: التجربة الصوفية بحث في تحقيق العلاقة بين اعتقاد الثنائية ورؤية الواحدية في تجربة "العارف" الروحانية، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2003م.
152- محمد حسين حمدي عبد المنعم: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، (د.ب.ن)، 1997م.
153- محمود حسن أحمد: قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، (د.ط)، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، (د.س.ن).
154- محمود عبد الحليم: شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته ومعراجه لله تعالى، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1985م.
155- مرسي محمد منير: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، (د.ط)، دار المعارف، (د.ب.ن)، 1987م.

156- ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، (د.ط)، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.
157- المعطي فاروق: محي الدين ابن عربي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م.
158- المقري أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، ج5، دار صادر، بيروت، لبنان، 1986م.
159- ـــــــ،ـــــــ: زهرة الآس العاطرة الأنفاس في اكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، تح عبد الوهاب بن منصور، ط2، المكتبة الملكية، الرباط، 1983م.
160- المكناسي أحمد بن القاضي: جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، ط1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1973م.
161- ابن منصور عبد الوهاب: قبائل المغرب، ج1، (د.ط)، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1968م.
162- الناصري أبو راس محمد المعسكري الجزائري: نبأ الإيوان في ذكر صلحاء القيروان، (د.ط)، منشورات مركز الدراسات الإسلامية ، تونس، 2012م.
163- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية، تح جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2، (د.ط)، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954م.
164- النبهاني يوسف بن إسماعيل: جامع كرامات الأولياء، تح إبراهيم عطوة عوض، ج1، ط1، مركز أهلنسة بركات رضا فور بندر غجرات، الهند، 2001م.
165- نجمي عبد الله: التصوف البدعة بالمغرب طائفة العكاكزة ق16-17م، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2000م.
166- النفاتي عادل: المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب في الهوية والتدين والثقافة حفريات في أدب الرحلة- القرن 16، (د.ط)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2015م.
167- هويدي يحي: تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، ج1، (د.ط)، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1965م.

168- الوصفى علي بن السيد أحمد: موازين الصوفية ، تقديم سعد عبد الرحمن ندى، (د.ط)، دار الإيمان، الإسكندرية، 2001م.

169- عبد الوهاب حسن حسني: شهيرات تونسيات، (د.ط)، المطبعة التونسية، تونس، 1353هـ.

170- ياسر محمد شرف: فلسفة الوحدة المطلقة عند بن سبعين، (د.ط)، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، 1981م.

171- يوسف جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3و4هـ(9-10م)، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د.س.ن).

ثانيا: المراجع المعربة.

172- بال ألفرد: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر عبد الرحمن بدوي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م.

173- برنشفيك روبار: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13إلى نهاية القرن 15م، تر حمادي الساحلي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م.

174- بلاثيوس أسين: بن عربي حياته ومذهبه، تح عبد الرحمن بدوي، (د.ط)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1965م.

175- الدشراوي فرحات: الخلافة الفاطمية بالمغرب التاريخ السياسي والمؤسسات (296-365هـ/909-975م)، تر حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م.

176- دوتي أدموند: الصلحاء مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، تر محمد ناجي بن عمر، (د.ط)، دار افريقيا الشرق للنشر، المغرب، 2014م.

177- دوزي: ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، تر كامل كيلاني، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر، 1933م.

178- شيمل آنا ماري: الأبعاد الصوفية في الإسلام و تاريخ التصوف، تر محمد إسماعيل السيد و رضا حامد قطب، طبعة 1، منشورات الجمل، بغداد، 2006م.

179-فيور باخ: أصل الدين، تر أحمد عبد الحليم عطية، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005م.

180-كاربخال مارمول: إفريقيا، ج2، تر محمد حجي وآخرون، ط3، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1989م.

181-لوبون غوستاف: حضارة العرب، تر عادل زعيتر، (د.ط)، هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م.

182- لوتورنو روجيه: فاس في عصر بني مرين، تر نقولا زيادة، (د.ط)، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1967م.

3- المقالات.

183-إسكان حسين: "المرأة الصنهاجية"، **مجلة أمل**، الدار البيضاء، المغرب، العدد 13-14، 1998م.

184- أعراب فؤاد: "تجليات المرأة والأنوثة في الخطاب الصوفي -نموذج بن عربي"، **مجلة فكر ونقد**، العدد81، 2006م.

185-بوشمال فاطمة: " المرأة والسلطة بشمال المغرب خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر"، **المرأة في الغرب الإسلامي الصفحات المشرقة والتحديات المحدقة والأسئلة العالقة**، تنسيق عبد الباسط المستعين، مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2016م.

186- البوعبدلي المهدي: "الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى"، **مجلة الأصالة الجزائرية**، العدد13، الجزائر، 1973م.

187-البوعبدلي المهدي: "مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر"، **مجلة الأصالة الجزائرية**، العدد07، الجزائر، 1972م.

188-الطاهر بونابي: "ظاهرة التصوف النسائي في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط"، **مجلة البحوث التاريخية**، جامعة محمد بوضياف- المسيلة، العدد 01، مارس 2017م.

189-توفيق أحمد: "التاريخ وأدب المناقب من مناقب أبي يعزى"، ضمن ملتقى التاريخ وأدب المناقب، **منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي**، (د.ط)، مطبعة عكاظ، الرباط، المغرب، 1989م.

190-جلاب حسن: "الحركة الصوفية في مراكش الموحدية"، ملتقى "مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض، ط1، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1989م.

191-جياد عبد الرضا حسن: "أقطاب المدرسة الصوفية ببلاد المغرب والأندلس"، **مجلة القادسية**، كلية التربية، جامعة القادسية، مج 13، العدد 2، 2010م.

192-حمدي محمد: "المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي"، **مجلة حوليات التراث**، العدد13، مستغانم، الجزائر، 2013م.

193-عبد الهادي حميتو: "حياة أبي عمران الفاسي ومناقبه"، **أبو عمران الفاسي ت430هـ حافظ المذهب المالكي**، ط1، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، المغرب، 2009م.

194-درقام نادية: "المرأة في رحاب التصوف: التصوف النسوي المغاربي نموذجا"، **المرأة في الغرب الإسلامي الصفحات المشرقة والتحديات المحدقة والأسئلة العالقة**، تنسيق عبد الباسط المستعين، مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2016م.

195- رابطة الدين محمد: "أبو العباس السبتي ومجال مراكش، الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب"، دراسة تاريخية مهداة للأستاذ إبراهيم حركات، **الجمعية المغربية للبحث التاريخي**، تنسيق نفيسة الذهبي، ط1، منشورات كلية الآداب العلوم الإنسانية ، الرباط، 1997م.

196-الرسيوني البشير: " التصوف المغربي وأثره في تجديد التصوف السني"، **ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية تيارات الفكر في المغرب والأندلس الروافد والمعطيات**، منشورات الكلية، جامعة عبد الملك السعدي ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، 1993م.

197- السمعلي خديجة: "الفكر الصوفي من خلال مناقب أبي سعيد الباجي"، **مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث**، قسم الدراسات الدينية، المملكة المغربية، الرباط، (د.ع)، (د. تاريخ الصدور).

198-شرويك محمد الأمين: "انتقال التصوف إلى بلاد المغرب"، **مجلة أفاق فكرية**، العدد السادس، جامعة جيلالي اليابس، النعامة، 2017م.

199-ابن عامر توفيق: "منزلة السيدة عائشة المنوبية في الطريقة الشاذلية"، **المرأة في الغرب الإسلامي الصفحات المشرقة والتحديات المحدقة والأسئلة العالقة**، تنسيق عبد الباسط المستعين، مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2016م.

200-عموري رشيد: " المرأة بين شبهات الخصوم وأخطاء بعض علماء المسلمين"، **المرأة في الغرب الإسلامي الصفحات المشرقة والتحديات المحدقة والأسئلة العالقة**، تنسيق عبد الباسط المستعين، مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2016م.

201- القرشي سليمان: الحضور الأنثوي في التجربة الصوفية بين الجمالي والقدسي، **مجلة فكر ونقد**، العدد 40، 2001م.

202-قطان رشيد: المرأة المغربية في أدب المناقب، التشوف إلى رجال التصوف " أنموذجا"، **مجلة أمل**، الدار البيضاء، المغرب، العدد 13-14، 1998م.

203-المازوني محمد: "رباط تيط من التأسيس إلى ظهور الحركة الجزولية"، الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، دراسات تاريخية مهداة للأستاذ إبراهيم حركات، **الجمعية المغربية للبحث التاريخي**، ندوات ومناظرات رقم 69، تنسيق نفيسة الذهبي، ط1، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1997م.

204-محمد ياسر الهلالي: "نظرة المجتمع للمرأة في مغرب القرن15/14م"، **مجلة أمل**، الدار البيضاء، المغرب، العدد 13-14، 1998م.

205-محمود خالد حسين: "الخلافات الزوجية بالمغرب الأدنى خلال العصرين الفاطمي والزيري296-543هـ/909-1148م"، **مجلة العصور الجديدة**، جامعة وهران، الجزائر، العدد13، 2014م.

206-بن مقلة رضا جاب الله وطيب: "تاريخ الوجود الصوفي في الجزائر وتأثيره على الحياة الاجتماعية للأفراد"، **مجلة الخطاب الصوفي**، الجزائر، العدد السابع، 2017م.

207- ZAIM KHENCHELAOUI: Los Camions de la Fe Abu Madyan: un faro en el Comino, Colloque International, les Routes de la foi Abu Madian: une lanterne sur la voie, Université Abou- Baker Belkaid-Tlemcen, les18, 19, 20, et 21 décembre 2011.

4- الرسائل الجامعية.

208-آسلي ميمون وخثير بوزيان: المرأة في تلمسان على العهد الزياني(633هـ/ 962م)، مذكرة ماستر إشراف قراوي نادية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة الطاهر مولاي سعيدة، 2015/ 2016م.

209-بكاي هوارية: العلاقات الزيانية والمرينية سياسيا وثقافيا، مذكرة ماجستير، إشراف بودواية مبخوت، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2008/2007م.

210-سناء بلحاج بومنجل فاطمة: الصلحاء والسلطة في العهد الحفصي (627-982هـ/1228-1573م)، مذكرة ماستر، إشراف لعرج جبران، شعبة التاريخ قسم العلوم الإنسانية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الطاهر مولاي ،سعيدة 2016/2015م.

211- بلحاج محمد: مخطوط النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، ج1، دراسة وتحقيق، مذكرة ماجستير، إشراف بن معمر محمد، كلية العلوم الإنسانية، قسم الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران، 2008/2007م.

212-بلغيث محمد الأمين: الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، إشراف عبد الحميد حاجيات، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1987/1986م.

213-بولعراس خميسي: الحياة الاجتماعية والثقافية في عصر ملوك الطوائف 400-479هـ/1009-1086م، مذكرة ماجستير، إشراف مسعود مزهودي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007/2006م.

214-بومرزاق فاطمة الزهراء: وصايا الأموات في المغرب الإسلامي من قيام الدويلات المستقلة إلى سقوط دولة الموحدين " وصايا الدفن أنموذجا" مذكرة ماستر في تاريخ وحضارة

المغرب الإسلامي، إشراف عبد الحق، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة بن خلدون، تيارت، 2013- 2014م.

215-بونابي الطاهر: الحركة الصوفية في المغرب الأوسط مابين القرنين الثامن والتاسع هجريين، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط ، إشراف عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009/2008م.

216-جدو فاطمة: السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين(479-635هـ/1086-1238م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف إبراهيم بكير بحاز، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة منتوري قسنطينة، 2008/2007م.

217- جدي مراد: التدين الصوفي في طبعته النسوية ورهان النوع الاجتماعي" لالة ميمونة رمز الإصلاح الأنثوي، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، 2016م.

218-الجندي علي محمود عبد اللطيف: مدينة فاس خلال عصري المرابطين والموحدين، أطروحة دكتوراه، إشراف محمد عبد الوهاب فضل، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، 2004م.

219-حريرة مداني: الرمزية الصوفية في حل الأزمات الاجتماعية الكرامة وتمثلاتها في المغرب الأوسط من القرن 10 إلى القرن 14هجري، مذكرة ماجستير، إشراف بوزيد بومدين، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم الفلسفة، جامعة وهران السانية، 2012/ 2013م.

220- حمادة ياسمين عبد الله ذيب: مظاهر الصلاح عند النساء المسلمات في الأندلس (137-400هـ/755-1009م)، رسالة ماجستير، إشراف خالد يونس الخالدي، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2018 م.

221- حميدي مليكة: المرأة المغربية في عهد المرابطين(448هـ-541هـ/1056م-1146م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف صالح بن قربة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1422هـ-1423هـ/2001م-2002م.

222- ابن داود نصر الدين: بيوتات العلماء بتلمسان من القرن 7هـ /13م إلى القرن 10هـ/16م، أطروحة دكتوراه، إشراف محمد بن معمر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، 2010/2009م.

223-دحروج إلهام حسين: مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية(442-625هـ/ 1051-1247م)، أطروحة دكتوراه، إشراف محمد بركات البيلي، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 1421هـ/2000م.

224-ابن الذيب عيسى: المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 480- 540هـ/ 1056-1145م، أطروحة دكتوراه، إشراف أحمد شريفي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2009/2008م.

225-رحماني عائشة ورحماني مريم: الحركة العلمية في الدولة الحفصية 625-981هـ/1227-1574م، مذكرة ماستر، إشراف خالدي مسعود، تخصص تاريخ، جامعة 08 ماي 1945م، قالمة، 2017/2016م.

226- زواري أحمد عبد الرؤوف : الدلالات التاريخية لكرامات الأولياء بتلمسان الزيانية (633-962هـ /1235-1555م)، مذكرة ماستر، إشراف عبد الحميد العابد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، 2015/ 2016م.

227-سعيد بشكور بسمة وزويتين ياسمين: التصوف بالغرب الإسلامي في عصري المرابطين والموحدين، من القرن (7 9هـ) مذكرة شهادة الماستر في التاريخ الوسيط، إشراف بوتغماس حفيظة، معهد العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة،2015/2014م.

228-سيدي موسى محمد شريف: الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، من الاحتلال البيزنطي إلى عصر الموحدين، (10/6هـ /16/12هـ)، إشراف عبد الحميد حاجيات، كلية العلوم الإنسانية ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2010/2009م.

229- شرقي نوارة: الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524-667هـ/1126-1268م)، مذكرة ماجستير، إشراف عبد العزيز محمود لعرج، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008/2007م.

230- شقدان بسام كامل عبد الرزاق: تلمسان في العهد الزياني (633- 962هـ/ 1235- 1555م)، رسالة ماجستير، إشراف هشام أبو رميلة، كلية الدرسات العليا ، قسم التاريخ، جامعة النجاح ، نابلس فلسطين، 1422هـ/2002م.

231- عامر يحي نسرين و بوشارب أسماء: الحواضر العلمية في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط 2-9هـ/8-15م (دراسة مقارنة)، مذكرة ماستر، إشراف نسيم حسبلاوي، شعبة تاريخ، قسم العلوم الإنسانية، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، الجزائر، 2015/2014م.

232- غريب روز: بن الفارض وتائيته، رسالة دكتوراة، (د.إشراف)، (د.جامعة)، (د.موسم جامعي)، 1924م.

233- قادة إبراهيم: صورة المرأة في الشعر المغربي، مذكرة ماجستير في الأدب المغربي القديم، إشراف عبد الحميد بن صخرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة باتنة، 2009/2008م.

234- قصاري سكورة وسوداني نعيمة: عبد المؤمن بن علي ودوره في الدولة الموحدية، (524-558هـ/ 1130-1164م)، مذكرة ماستر، إشراف محمد شافع بوعناني، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، جامعة آكلي محند أولحاج، البويرة، 2015/2014م.

235- كينة ميلودة: المتصوفة والمجتمع في بلاد المغرب خلال العهد الموحدي، مذكرة ماستر، إشراف البشير غانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، 2015- 2016م.

236- لعناني مريامة: الأسرة الأندلسية في عصري المرابطين والموحدين، مذكرة ماجستير، إشراف عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، (د.موسم الجامعي).

237- نوبلي يعقوب: إسهامات صوفية المغرب في الحياة الاجتماعية والثقافية خلال العهد الموحدي (541- 668هـ/ 1156- 1269م)، مذكرة ماستر، إشراف واعظ نويوة، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2016/2015م.

238-رضا بن النية: صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر دراسة اجتماعية (80-362هـ / 699 - 973م)، مذكرة ماجستير، إشراف بوبة مجاني، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006/2005م.

239- هبيرات بلال وحلاق أحلام: تجارة الرقيق ببلاد المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي إلى القرن: 6هـ/12م، مذكرة ماستر، إشراف سرحان عبد الحليم، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2017/2016م.

5- المعاجم.

240- الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف: معجم التعريفات قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والمحو والصرف والعروض والبلاغة، (تح) محمد صديق منشاوي، (د.ط)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر، (د.س.ن).

241-الجمعية المغربية للتأليف: معلمة المغرب قاموس مرتب على أحرف الهجاء محيطة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، ج17، مطبعة سلا، الرباط، 2003م.

242-الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة العربية وصحاح العربية، مراجعة محمد محمد تامر وآخرون، (د.ط)، دار الحديث، مصر، 2009م.

243-الحنفي عبد المنعم: معجم مصطلحات الصوفية، ط2، دار المسرة، بيروت، لبنان، 1987م.

244-العجم رفيق: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 1999م.

245-مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م.

246-نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من الصدر الإسلام حتى العصر الحاضر، الطبعة الثانية، مؤسسة نويهض، بيروت، لبنان، 1980م.

الفهرس

فهرس المحتويات

مقدمة..... 01

الفصل الأول: العوامل الممهدة لتصوف المرأة المغربية..... 11-65.

أولا: وضعية المرأة المغربية في العصر الوسيط.....11

1-مكانة المرأة المغربية في العصر الوسيط.....12

2- اضطهاد الذي تعرضت له المرأة في المجتمع المغربي.....22

2-1- ظاهرة الكراهية والاحتقار.....22

2-2- ظاهرة ضرب المرأة.....24

2-3- حرمان المرأة من الميراث.....25

2-4- ظاهرة استرقاق المرأة. 27

ثانيا: مؤسسات التنشئة الصوفية.....29

1-المساجد.....29

2-الرباط.....34

3-الرابطة.....37

4-الزوايا.....40

ثالثا: المحيط الصوفي.....43

1-الأسرة الصوفية.....43

2-بيوتات الصلاح.....45

3-القبيلة الصوفية.....48

رابعا: نظرة الرجل المتصوف المغربي للمرأة.....50

1-أبو يعزى يلنور (ت572هـ/1178م).....50
2- الغوث أبو مدين شعيب (ت 594هـ/1198م).....53
3- ابن عربي(ت638هـ/1241م).....55
خامسا: تطور ظاهرة الزهد عند النساء.....59
خاتمة جزئية.....65
الفصل الثاني: التعريف بالمرأة المغربية المتصوفة.....66-112
أولا: المجال الصوفي النسوي في بلاد المغرب.....69
1-متصوفات البوادي والأرياف.....69
2-متصوفات المدن والحواضر.....72
ثانيا: الحياة اليومية للمرأة الصوفية. 79
1-لباس المرأة الصوفية.....79
2-مأكل المتصوفات.....82
3-مسكن المرأة الصوفية.....84
4-حرفة المتصوفات.....86
ثالثا: المستوى العلمي للمرأة الصوفية.....87
رابعا: المسلك الصوفي للمرأة المغربية.....91
خامسا: مراتب المتصوفات.....95
1-المكتومون.....95
2-أهل الحل والعقد.....95
3-القطب أو الغوث.....96

4- الأوتاد.....96
5-الأبدال.....97
6-الأفراد.....98
7-المريدات.....98
سادسا: المرأة الصوفية ومسألة الكرامة.....100
سابعا: متصوفات المغرب والحب الإلهي. 106
خاتمة جزئية.....111
الفصل الثالث: تواصل المرأة الصوفية وعلاقاتها مع المجتمع..... 116-154
أولا: واقع المرأة الصوفية وعلاقتها بأسرتها.....115
ثانيا: تجليات علاقة المتصوفات بالمتصوفة الرجال.....119
1- صحبة المريدة للشيخ.....119
2- صحبة الشيخة للمريد.....123
ثالثا: علاقة المرأة الصوفية بالفقهاء.....126
رابعا: علاقة المرأة الصوفية بالسلطة.....133
خامسا: علاقة المرأة الصوفية بالمجتمع.....143
سادسا: مساهمة المرأة في نشر التصوف المغربي.....147
خاتمة 156
الملاحق.....161
قائمة المصادر والمراجع 168
فهرس المحتويات.....193